١٤

[illegible] ان [illegible] ان [illegible] لانه منكر

لا تبذل العرف [illegible] لمشتري الحمد او لمعنا

تفعل انه حين تفعله لجوهر العرف لا لاعراضه

او [illegible] [illegible] الباب [illegible]

[illegible] عنا [illegible] الى اليكم [illegible]

[illegible] اذا المرء [illegible]

[illegible] ذنبا العجلة [illegible]

لا [illegible] والذي [illegible]

[illegible] اذا [illegible] في الصف [illegible]

[illegible] اذا لاحق منح [illegible]

[illegible] ان [illegible] عنه [illegible]

[illegible] الى [illegible] من الجوارح وكان [illegible]

[illegible] والالفة ووصله [illegible]

[illegible] الحاج [illegible] والله [illegible]

[illegible] الى اذا [illegible]

[illegible] طول [illegible]

[illegible] ومن [illegible] الحليم [illegible]

روي عن النبي صلى الله [illegible]

انه قال [illegible] عظمت نعمة الله

عليه عظمت مؤونة الناس

عليه فمن لم [illegible]

عرض تلك النعم للزوال

صدق رسول الله صلى الله

عليه وسلم

قال ابو الحسن الماوردي

[illegible] بالجاه ارخص

[illegible] المكارم [illegible] والطف [illegible]

وربما كان [illegible]

[illegible] الظل [illegible]

[illegible] اسمع [illegible] الاتصال [illegible]

[illegible] فبعضا انقطع [illegible]

[illegible] فهو [illegible]

[illegible] الكف [illegible]

لمن منح جاهه ان [illegible]

[illegible] البخل [illegible]

[illegible] واسترق رقبة معتقها

[illegible] الا [illegible]

[illegible] الطالب [illegible]

وعند الله تجتمع [illegible]

[illegible] انا زاهد [illegible]

[illegible] ولست نعدي [illegible]

وترى سفيه القوم يدنس عرضه سفها ويمسح نعله وشراكها

اللهم انا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل ونعوذ بك من فتنة التكلف لما لا نحسن كما نعوذ بك من العجب بما نحسن ونعوذ بك من شر السلاطة والهذر كما نعوذ بك من العي والحصر امين يا رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

كفاك سيوف الهند تنبو ظباتها
وتقطع احيانا مناط التمائم
ولن نعجل الاسرى ولكن نفكهم
اذا اثقل الاعناق حمل المغارم
وهل ضربة الرومي جاعلة لكم
ابا عن كليب او اخا مثل دارم

للفرزدق

طير الناس لا ترى فضائلا
واعذر الدهر لا تشبه بلوم
اي يوم خصصته بصعود
والمنايا ينزلن في كل يوم
ليس يوم الا وفيه سعود
ونحوس تجري لقوم فقوم
لعمرك ما تدري الضوارب بالحصا
ولا زاجرات الطير ما الله صانع

للقاضي التنوخي رحمه الله

آداب

القى العدو بوجه لا قطوب به
يكاد يقطر من ماء البشاشات
فاحسن الناس من يلقى اعاديه
في جسم حقد وثوب من مودات
الرفق يمن وخير القول اصدقه
وكثرة المزح مفتاح العداوات

لابراهيم الصولي

وكل اخ عند الهوينا ملاطف
ولكنما الاخوان عند الحقائق

فصل

روى عمر بن عبد العزيز عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بشر الناس قالوا بلى يا رسول الله
من نزل وحده ومنع رفده وجلد عبده ألا أنبئكم بشر من ذلك
قالوا بلى يا رسول الله قال من يبغض الناس ويبغضونه

كتاب أدب الدين والدنيا

للشيخ الإمام الأجل السيد الأوحد
أقضى القضاة أبي الحسن علي
بن محمد بن حبيب الماوردي
رضي الله عنه

أحب فلي وما دري بذلك ولو دري ما أقام في السمن

تكلم وسدد ما استطعت فإنما كلامك حي والسكوت جماد
فإن لم تجد قولا سديدا تقوله فصمتك عن غير السداد سداد

يا من تعرض لي بدينا بأي لا يعرض فقد صح لي السلم

يمضي زمن والناس يستعجلونه هل لي الليل والأيام سمع
أحسن من أحلام دار لسهم ومن يرم المعشوق معشوق
كأنك منهم ما تعلله من حكمه يمضي عليه مسرور
إذا ما أسرت أنفس الناس ذكره تنسمه فهم وإن لم تكلموا
وهل يرسل أو دع الروح تكلم تطعمهم أنفاسهم عند نعسا

من كتب الفقير محمد بن محمد الصفدي عفي عنهما

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم ربّ اعنْ

الحمد لله ذي الطول والآلاء وصلى الله على سيدنا محمد خاتم
الرسل والانبيا وعلى اله واصحابه الاتقيا اما بعد فان شرف
المطلوب بشرف نتائجه وعظم خطره بكثرة منافعه وبحسب العنايه
وعلى قدر العنايه به يكون اجتنا ثمرته واعظم الامور خطرًا
وقدرًا واعمها نفعًا ورفدًا ما استقام به الدين والدنيا وانتظم
به صلاح الاخرة والاولى لان باستقامة الدين تصح العباده
وبصلاح الدنيا تتم السعاده وقد توخيت بهذا الكتاب بهذين
الامرين من ايجاز وبسط اجمع فيه ما بين تحقيق الفقها وترقيق
الادبا فلا ينبو عن فهم ولا يدق في وهم مستشهدًا من كتاب الله
جل اسمه ما يقتضيه ومن سنن رسوله صلى الله عليه وسلم ما
يضاهيه ثم متبعًا ذلك بامثال الحكما واداب البلغا واقوال الشعراء
لان القلوب ترتاح الى الفنون المختلفه وتسام الفن الواحد
وقد قال علي بن ابي طالب عليه السلام ان القلوب تمل كما تمل
الابدان فاهدوا لها طرايف الحكمه وكان
المامون يتنقل كثيرًا في داره من مكان
الى مكان وينشد قول ابي العناهيه

اراد وا ليخفوا قبره عن عدوه فطيب تراب القبر دل على القبر

العناهيه شعر
لا يصلح النفس اذ كانت مدبرة الا التنقل من حال الى حال
وجعلت ما تضمنه من ذلك في خمسة ابواب فالباب الاول في
فضل العقل وذم الهوى والباب الثاني في ادب العلم والباب
الثالث في ادب الدين والباب الرابع في ادب الدنيا والباب
الخامس في ادب النفس وانا استمد الله حسن معونته
واستودعه حفظ ما وهبه بطوله ومشيئته وهو حسبي من
معين حفيظ

باب فضل

العقل وذم الهوى اعلم ان لكل فضيلة اسًّا ولكل ادب
ينبوعًا واس الفضايل وينبوع الاداب هو العقل الذي
جعله الله سبحانه للدين اصلًا وللدنيا عمادًا فاوجب التكليف
بكماله وجعل الدنيا مدبرة باحكامه والف بين خلقه مع
اختلاف هممهم ومآربهم وتباين اغراضهم ومقاصدهم وجعل ما
تعبدهم به قسمين قسمًا وجب بالعقل فاكده الشرع وقسمًا جاز
في العقل فاوجبه الشرع وكان العقل عليهما عيارًا روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما اكتسب المرء مثل
عقل يهدي صاحبه الى هدى او يرده عن ردى روي

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لكل شي دعامة ودعامة
عمل المراء عقله فبقدر عقله تكون عبادته لربه اما سمعتم قول
الفاجر لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير ه وقال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه اصل الرجل عقله وحسبه دينه
ومروته خلقه ه وقال الحسن البصري ما استودع
الله احدًا عقلًا الا استنقذه به يومًا ما ه وقال بعض الحكماء
العقل افضل مرجو والجهل انكى عدو ه وقال بعض الادبا صديق
كل امراء عقله وعدوه جهله ه وقال بعض الشعراء وهو ابرهيم
ابن حسان ه ه ه ه

يزين الفتى في الناس صحة عقله وان كان محظورًا عليه مكاسبه
تبين الفتى في الناس فله عقله وان كرمت اعراقه ومناسبه
يعيش الفتى بالعقل في الناس انه على العقل تجري علمه وتجاربه
وافضل قسم الله للمراء عقله فليس من الاشيا شي يقاربه
اذا اكمل الرحمن للمراء عقله فقد كملت اخلاقه ومآربه

واعلم ان بالعقل تعرف حقايق الامور وتفصل بين الحسنات
والسيات وقد ينقسم قسمين غريزي ومكتسب فالغريزي
هو العقل الحقيقي وله حد يتعلق به التكليف ولا يتجاوز الي
زياده

زياده ولا تقصر عنه الي نقصان وبه يمتاز الانسان فيه من
ساير الحيوان فاذا تم في الانسان سمي عاقلا وخرج به الي
حد الكمال كما قال صالح ابن عبد القدوس ه

اذا تم عقل المراء تمت اموره وتمت اياديه وتم بناوه

وروي عن الضحاك في قوله تعالي لينذر من كان حيًا اي من كان
عاقلًا واختلف الناس فيه وفي صفته علي مذاهب شتي فقال
قوم هو جوهر لطيف يفصل به بين حقايق المعلومات ومن
قال بهذا القول ثم اختلفوا في محله فقالت طايفة منهم محله الدماغ
لان الدماغ محل الحس وقالت طايفة اخري محله القلب لان
القلب معدن الحياة ومادة الحواس وهذا القول في العقل
بانه جوهر لطيف فاسد من وجهين احدهما ان الجواهر
متماثلة فلا يصح ان يوجب بعضها ما لا يوجبه ساير ها ولو اوجب
ساير ها ما يوجبه بعضها لاستغني العاقل بوجود نفسه عن
وجود عقله ه والثاني ان الجوهر يصح قيامه بذاته فلو كان
العقل جوهرًا لجاز ان يكون عقلًا بغير عاقل كما جاز ان يكون
جسم بغير عقل فامتنع بهذين ان يكون العقل جوهرًا وقال
آخرون العقل هو المدرك للاشياء علي ما هي عليه من حقايق

احطا
لما لم الحوا

المعنى وهذا القول وان كان اقرب مما قبله فبعيد من الصواب
من وجه واحد وهو ان الادراك من صفات الحي والعقل
عرض يستحيل ذلك منه كما يستحيل منه ان يكون ملتذا والما ومشتهيا
وقال اخرون من المتكلمين العقل هو جملة العلوم الضروريه
وهذا الحد غير محصور لما تضمنه من الاجمال وتناوله من
الاجمال والحد انما هو بيان المحدود بما ينفي عنه الاجمال
والاجمال وقال اخرون وهو القول الصحيح ان العقل هو
العلم بالمدركات الضروريه وذلك نوعان احدهما ما وقع
عن درك الحواس والثاني ما كان مبتدا في النفوس فاما
ما كان واقعا عن درك الحواس فمثل المرئيات المدركه بالنظر
والاصوات المدركه بالسمع والطعوم المدركه بالذوق والروايح
المدركه بالشم والاجسام المدركه باللمس فاذا كان الانسان
ممن لو ادرك بحواسه هذه الاشيا ثبت له هذا النوع من العلم
لا نخرجه من حال تغميض عينيه من ان يدرك بهما ويعلم
لا نخرجه من ان يكون كامل العقل من حيث علم من حاله انه
لو ادرك لعلم واما ما كان مبتدا في النفوس فالعلم بان
الشي لا يخلو من وجود او عدم وان الموجود لا يخلو من
حدوث

حدوث او قدم وان من المحال اجتماع الضدين وان الواحد اقل
من الاثنين وهذا النوع من العلم لا يجوز ان ينتفي عن العاقل
مع سلامه حاله وكمال عقله واذا كان عالما بالمدركات الضروريه
من هذين النوعين فهو كامل العقل وسمي بذلك تشبيها بعقال
الناقه لان العقل يمنع الانسان من الاقدام على شهواته اذا
قبحت كما يمنع العقال الناقه من الشرود ان تفوت وكذلك قال
عامر بن عبد قيس اذا عقلك عقلك عما لا ينبغي فانت عاقل
وقد جات السنه بما يويد هذا القول في العقل وهو ما روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العقل نور في القلب يفرق به
بين الحق والباطل وكل من نفى ان يكون العقل جوهرا اثبت محله
في القلب لان القلب محل العلوم كلها قال الله تعالى افلم يسيروا
في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها فدلت هذه الايه على
امرين احدهما ان العقل علم والثاني ان محله القلب من قوله
يعقلون بها تاويلان احدهما يعقلون بها والثاني يعتبرون بها
فهذا جمله القول في العقل الغريزي واما العقل المكتسب
فهو نتيجه العقل الغريزي وهو نتايج المعرفه وصحه السياسه
واصابه الفكر وليس لهذا حد لانه ينمى ان استعمل وينقص

ان اهمل ونماؤه يكون باحد وجهين اما بكثرة الاستعمال اذ لم
يعارضه مانع من هوى ولا صاد عن شهوة كالذي يحصل لذوي
الاسنان من الحنكة وصحة الروية بكثرة التجارب وممارسة الامور
ولذلك حمدت العرب آراء الشيوخ حتى قالوا المشايخ اشجار الوقار
ومنابع الاخبار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم وهم ان راوك
في قبيح صدوك وان ابصروك على جميل امدوك وقالوا عليكم بآراء
الشيوخ فانهم ان فقدوا ذكاء الطبع فقد مرت على عيونهم وجوه
العبر وتصدت لاسماعهم آثار الغير وقيل في منثور الحكمة
من طال عمره نقصت قوة بدنه وزادت قوة عقله وقيل فيه
لا تدع الايام جاهلا الا ادبته وقال بعض الحكماء كفى
بالتجارب تأدبا وتقلب الايام عظة وقال بعض البلغاء التجربة
مرآة العقل والغرة ثمرة الجهل وقال بعض الادباء كفى
مخبرا عما مضى ما بقي [ما مضى ما بقي] وكفى عبرا لاولي الالباب ما جربوا
وقال بعض الشعراء

الم تر ان العقل زين لاهله ولكن تمام العقل طول التجارب

وقال اخر

اذا طال عمر المرء في غير آفة افادت له الايام في كرها عقلا

واما

واما الوجه الثاني فقد يكون بفرط الذكاء وحسن الفطنة وذلك
جودة الحدس في زمان غير مهمل للحدس فاذا امتزج بالعقل الغريزي
صارت نتيجتهما هو العقل المكتسب كالذي يكون في الاحداث
من وفور العقل وجودة الراي حتى قال هرم ابن قطنة حين
تنافر اليه عامر ابن الطفيل وعلقمة ابن علاثة عليكم بالحديث السن
الحديد الذهن ولعل هرما اراد ان يدفعهما عن نفسه فاعتذر بما
قال لكن لم ينكروا قوله اذ عانا للحق فصار الى جهل لحداثة سنه
وحدة ذهنه فابا ان يحكم بينهما فرجعا الى هرم فحكم وفيه يقول لبيد

يا هرم ابن الاكرمين منصبا انك قد اوتيت حكما معجبا

وقد قالت العرب عليكم بمشاورة الشباب فانهم ينتجون رايا لم يفله
طول القدم ولا استولت عليه رطوبة الهرم وقد قال الشاعر

رايت العقل لم يكن انتهابا ولم يقسم على عدد السنينا
ولو ان السنين تقاسمته حوى الاباء انصبة البنينا

حكى الاصمعي قال قلت لغلام حدث السن من اولاد العرب
كان يحادثني فامتعني بفصاحته وملاحته ايسرك ان يكون لك
مائة الف درهم وانت احمق قال لا والله قلت ولم قال اخاف ان
يجني علي حمقي جناية تذهب مالي ويبقى علي حمقي فانظر الى هذا

الصبي كيف استخرج بفرط ذكايه واستنبط بجوده قريحته ما لعله
يدق على من هو اكبر منه سنا واكثر تجربة ٥ واحسن من هذا
في الذكاء والفطنة ما حكى ابن قتيبة ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
مر بصبيان يلعبون وفيهم عبد الله ابن الزبير فهربوا منه الا
عبد الله فقال له عمر ما لك لم تهرب مع اصحابك فقال يا امير
المومنين لم اجن فاخافك ولم يكن بالطريق ضيق فاوسع لك
انظر الى ما تضمنه هذا الجواب من الفطنه وقوة المنه وحسن البديهه
كيف نفا عنه اللوم واثبت له الحجه وليس للذكا غايه ولا الجوده
القريحة نهايه ٥ حكى ان سليمن ابن عبد الملك امر الفرزدق
بضرب اعناق اسارى من الروم فاستعفاه الفرزدق فلم يفعل
واعطاه سيفا لا يقطع شيا فقال الفرزدق بل اضربهم بسيف
ابي رعوان مجاشع يعني سيف نفسه فقام فضرب به عنق
رومي فنبا السيف عنه فضحك سليمن ومن حوله فقال الفرزدق

ايعجب الناس ان اضحكت سيدهم خليفه الله يستسقى به المطر
لم ينب سيفي من رعب ولا دهش عن الاسير ولكن اخر القدر
ولن تقدم نفس قبل منيتها جمع اليدين ولا الصمصامه الذكر

ثم غمد سيفه وهو يقول ما ان يعاب سيد اذا صبا ولا يعاب

صارم

صارم اذا نبا ولا يعاب شاعر اذا كبا ثم جلس وهو يقول
كاني بابن المراغه العبسي قد هجاني فقال

لسيف ابي رعوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

وقام وانصرف وحضر جرير فخبر الخبر ولم ينشد الشعر فانشا
يقول ٥ بسيف ابي رعوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم
ثم قال يا امير المومنين كاني بابن العبسي قد اجابني فقال

ولا يقتل الاسرى ولكن يفكهم اذا اثقل الاعناق حمل المغارم

فاستحسن سليمن حدس الفرزدق على جرير ثم اخبر الفرزدق
بشعر جرير ولم يخبر بحدسه فقال الفرزدق

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها وتقطع احيانا مناط التمايم
ولن يقتل الاسرى ولكن يفكهم اذا اثقل الاعناق حمل المغارم
وهل ضربه الرومي جاعله لكم ابا عن كليب او اخا مثل دارم

فشاع حديث الفرزدق بهذا حتى حكي ان المهدي اتي باسارى
من الروم فامر بقتلهم وكان عنده شبيب ابن شيبه فقال اضرب
عنق هذا العلج فقال امير المومنين قد عرفت ما ابتلى به الفرزدق
فعيرته قومه الى اليوم فقال انما اردت تشريفك وقد اعفيتك
وكان ابو الهول الشاعر حاضرا فقال

جزعت من الروي وهو مقيد وكيف ولولا فيته وهو مطلق
دعاك امير المومنين لقتله فكان شبيب عند ذلك يعرف
مع شيئًا عن قراع كتيبه وادن شيئًا من كلام يطلق
وليس العجب من خبر الفرزدق وان يصح من جوده القريحتين
ولكن من اتفاق الخاطرين ٥ ولمثل ذلك قالت الحكما اية العقل سرعة
الفهم وغايته اصابه الوهم وليس لمن منح جوده القريحه وسرعة
الخاطر عجز عن جواب وان اعضل كما قيل لعلي عليه السلام كيف
يحاسب الله العباد علي كثره عددهم قال كما يرزقهم علي كثرة عددهم
وقيل لعبد الله ابن عباس رضي الله عنه اين تذهب الارواح
اذا فارقت الاجساد فقال اين تذهب نار المصابيح عند فنا الادهان
وهذان الجوابان جوابا اسكات تضمنا دليلي ادعان وحجتي
قهر ومن غير هذا الفن وان كان مسكتا ما حكي ان ابليس لعنه
الله حين ظهر لعيسي ابن مريم عليه السلام فقال له الست تقول انه
لن يصيبك الا ما كتب الله عليك قال نعم قال فارم بنفسك من دون
هذا الجبل فانه ان يقدر لك السلامه تسلم فقال له يا ملعون
ان الله ان يختبر عباده وليس للعبد ان يختبر ربه ومثل هذا
الجواب لا يستغرب من انبيا الله الذين امدهم بوحيه وايدهم
بنصره

بنصره وانما يستغرب ممن يلجا الي خاطره ويعول علي بديهته
روي قثم ابن العباس قال قيل لعلي ابن ابي طالب عليه السلام
كم بين السماء والارض فقال دعوه مستجابه قيل فكم بين المشرق
والمغرب فقال مسيره يوم للشمس فكان هذا السوال من سايله
اما اختبار واما استبصار فصدر عنه من الجواب ما اسكت
فاما اذا اجتمع هذان الوجهان في العقل المكتسب وهو ما
ينميه فرط الذكا وجوده الحدس وصحه القريحه وحسن البديهه
مع ما ينميه الاستعمال بطول التجارب ومرور الزمان بكثره الاختبار
فهو العقل الكامل علي الاطلاق من الرجل الفاضل بالاستحقاق
وروي انس ابن مالك قال اثني علي رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم
بخير فقال كيف عقله قالوا يا رسول الله ان من عبادته ان من
خلقه ان من فضله فقال كيف عقله فقالوا يا رسول الله نثني
عليه بالعباده واصناف الخير وتسلنا عن عقله فقال رسول
الله ان الاحمق العابد يصيب بجهله اعظم من فجور الفاجر وانما
يقرب الناس من ربهم بالزلف علي قدر عقولهم واختلف
الناس في العقل المكتسب اذا تناهي وزاد هل يكون فضيله
ام لا فقال قوم لا يكون فضيله لان الفضايل هيات متوسطة

بين فضيلتين نافضتين كما ان الخير توسط بين رذيلتين
فما جاوز التوسط خرج عن حد الفضيله وقد قالت الحكما للاسكندر
عليك ايها الملك بالاعتدال في كل الامور فان الزياده عيب والنقصان
عجز هذا ما وردت به السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال خير الامور اوسطها ٥ وقال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
خير الامور النمط الاوسط اليه يرجع العالي ومنه يلحق التالي
وقال الشاعر ٥
لا تذهبن في الامور فرطا لا تسالن ان سالت شططا وكن من الناس جميعا وسطا
قالوا ولان زياده العقل تفضي بصاحبها الي الدها والمكر
وذلك مذموم وصاحبه ملوم ٥ وقد امر عمر ابن الخطاب رحمه الله عليه
ابا موسى الاشعري ان يعزل زيادا عن ولايته فقال زياد يا
امير المومنين اعن موجدة او خيانه فقال لا عن واحدة منهما ولكني
خفت ان احمل علي الناس فضل عقلك ٥ ومن اجل هذا المعنى عن
عمر ما قيل قديما افراط العقل مضر بالجد ٥ وقد قال بعض الحكما
كفاك من عقلك ما دلك علي سبيل رشدك ٥ وقال
بعض البلغاء قليل يكفي خير من كثير يطغي وقال اخرون
وهو اصح القولين زياده العقل فضيله لان المكتسب غير
محدود

محدود وانما يكون زيادة الفضايل المحدوده نقصا مذموما
لان ما جاوز الحد لا يسمى فضيلة كالشجاع اذا زاد علي حد
الشجاعه نسب الي التهور والسخي اذا زاد علي حد السخاء
نسب الي التبذير وليس كذلك حال العقل المكتسب لان
الزياده فيه زياده علم بالامور وحسن اصابه الظنون
ومعرفه ما لم يكن الي ما يكون وذلك فضيله لا نقص ٥ وقد
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الناس
اعقل الناس ٥ وروي عنه عليه السلام انه قال العقل
حيث كان الوف مالوف ٥ وقد قيل في تاويل قوله تعالى
قل كل يعمل على شاكلته اي بحسب عقله ٥ وقال القسم ابن
محمد كانت العرب تقول من لم يكن عقله اغلب خصال الخير
عليه كان حتفه من اغلب خصال الخير عليه وقيل في منثور
الحكم كل شي اذا كثر رخص الا العقل فانه اذا كثر كان غاليا
وقال بعض البلغاء ان العاقل من عقله في ارشاد ومن
رايه في امداد فقوله سديد وفعله حميد والجاهل من جهله
في عنا ومن هواه في اغوا فقوله سقيم وفعله ذميم وانشدني
ابن لنكك لابيه ٥ من لم يكن اكثر ما فيه عقله اهلكه اكثر ما فيه ٥

فاما الدها والمكر فهو مذموم لان صاحبه صرف فضل عقله الي
الشر ولو صرفه الي الخير كان محمودا ه وقد ذكر المغيرة عمر
ابن الخطاب رحمه الله عليه فقال كان والله افضل من ان
يخدع واعقل من ان يخدع ه وقال عمر رضي الله عنه لست
بالخب ولا يخدعني الخب واختلف الناس في من صرف فضل عقله
الي الشر كزياد واشباهه من الدهاه هل يسمي الداهيه منهم
عاقلا ام لا فقال بعضهم اسميه عاقلا لوجود العقل منه وقال
اخرون لا نسميه عاقلا حتي يكون خيرا دينا لان الخير والدين
من موجبات العقل فاما الشرير فلا اسميه عاقلا وانما اسميه
صاحب رويه وفكر ه وقد قيل العاقل من عقل عن الله امره
ونهيه حتي قال اصحاب الشافعي رضي الله عنه فيمن اوصي
بثلث ماله لاعقل الناس انه يكون مصروفا في الزهاد لانهم
انقادوا للعقل ولم يغتروا بالامل ه وروي لقمن ابن عامر عن
ابي الدرداء ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال يا عويمر
ازدد عقلا تزدد من ربك قربا قلت بابي وامي ومن لي
بالعقل قال اجتنب محارم الله وادِّ فرايض الله فتزدد من
ربك قربا وبه عزا ه وانشدني بعض اهل الادب هذه الابيات

لعلي

وذكر انها لعلي ابن ابي طالب عليه السلام

ان المكارم اخلاق مطهرة   فالعقل اولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها   والجود خامسها والعرف سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها   والشكر تاسعها واللين عاشيها
والنفس تعلم اني لا اطاوعها   ولست ارشد الا حين اعصيها
والعين تعلم من عيني محدثها   من كان من حزبها او من اعاديها
عيناك قد دلتا عيناي منك علي   اشيا لولاهما ما كنت ادريها

واعلم ان العقل المكتسب لا ينفك عن العقل الغريزي لانه
نتيجه منه وقد ينفك العقل الغريزي عن العقل المكتسب فيكون
صاحبه مسلوب الفضايل موفور الرذايل كالانوك الذي لا تجد
له فضيله والاحمق الذي قلما تخلوا منه رذيله ه وقد روي
عن النبي صلي الله عليه انه قال الاحمق ابغض خلق الله اليه
اذ حرمه اعز الاشيا عليه وقد روي عن النبي صلي الله عليه وسلم
انه قال الاحمق كالفخار لا يرقع ولا يشعب وقال بعض الحكما
الحاجه الي العقل اقبح من الحاجه الي المال ه وقال بعض
البلغا دوله الجاهل عبرة العاقل ه وقال انوشروان لبزرجمهر
اي الاشيا خير للمرء قال عقل يعيش به قال فان لم يكن قال

قال فاخوان يستيرون عليه قال فان لم يكن قال فمال يتحبب به
الى الناس قال فان لم يكن قال فعي صامت قال فان لم يكن قال
فموت جارف ۞ وقال شابور ابن اردشير العقل نوعان احدهما
مطبوع والاخر مسموع ولا يصلح واحد منهما الا بصاحبه
فاخذ ذلك بعض الشعرا فقال

رايت العقل نوعين فمسموع ومطبوع ۞ ولا ينفع مطبوع
اذا لم يك مسموع ۞ كما لا ينفع العين وضو الشمس ممنوع ۞

وقد وصف بعض الادبا العاقل بما فيه من الفضايل والاحمق بما
فيه من الرذايل فقال العاقل اذا والى بذل في المودة نصره
واذا عادا رفع عن الظلم قدره فيسعد مواليه بعقله ويعتصم
معاديه بعدله ان احسن الى احد ترك المطالبه بالشكر وان
اسا اليه مسي سبب اليه اسباب العذر او منحه الصفح والعفو
والاحمق ضال مضل ان اونس تكبر وان اوحش تكدر وان
استنطق تخلف وان ترك تكلف مجالسته مهنه ومعاينته
محنه ومجاورته تغر وموالاته تضر ومقارنته عمي ومفارقته
شفا ۞ وكان يقال لو الفرس اذا غضبت على عاقل حبسته مع
جاهل ۞ والاحمق يسي الى غيره ويظن انه قد احسن اليه

فيطالبه

فيطالبه بالشكر ويحسن اليه فيظن انه قد اسا اليه فيطالبه
بالوتر فمساوي الاحمق لا تنقضي وعيوبه لا تتناهي ولا يقف
النظر منها الي غاية الا لوجب ما وراها مما هو ازني منها واردى
وامر وادهي فما اكثر العبر لمن نظر وانفعها لمن اعتبر وقال
الاحنف ابن قيس من كل شي يحفظ الاحمق الا من نفسه وقال
بعض البلغا الدنيا قد ربما اقبلت علي الجاهل بالاتفاق وادبرت
عن العاقل بالاستحقاق فاذا اتتك منها سهمه مع جهل او فاتتك
منها بغيه مع عقل فلا يحملنك ذلك علي الرغبه في الجهل والزهد
في العقل فدولة الجاهل من الممكنات ودولة العاقل من
الواجبات وليس من امكنه شي من ذاته كمن استوجبه بالته
واداته وبعد فدولة الجاهل كالغريب الذي يحن الي
النقله ودولة العاقل كالنسيب الذي يحن الي الوصله فلا
يفرح المرء بحال جليله نالها بغير عقل او منزله رفيعه حلها بغير
فضل فان الجهل يزله منها ويزيله عنها ويحطه الي رتبته
ويرده الي قيمته بعد ان تظهر عيوبه وتكثر ذنوبه
ويصير مادحه هاجيا ووليه معاديا واعلم
انما تنيسر من فضايل العاقل كذلك يظهر من رذايل

الجاهل حتى يصير مثلا في الغابرين وحديثا في الاخرين
مع هتكه وقبح ذكره كالذي رواه عطا ابن
جابر قال كان في بني اسرايل رجل حمار فقال يارب لو
كان لك حمار لعلفته مع حماري فهم به نبي من انبيا
الله فاوحى الله تعالى اليه انما اثيب كل انسان على قدر
عقله واستعمل معوية رجلا من كلب فذكر المجوس يوما
فقال لعن الله المجوس ينكحون امهاتهم والله لو اعطيت عشرة الاف
درهم ما نكحت امي فبلغ ذلك معوية فقال قبحه الله اترونه
لو زادوه فعل وعزله وولى الربيع العامري وكان من
النوكى على اليمامه فاقاد كلبا فقال فيه الشاعر

شهدت بان الله حق لقاؤه وان ربيع العامري رقيع
اقاد لنا كلبا بكلب ولم يدع كلاب المسلمين تضيع

لديه

وليس لعار الجهل غاية ولا لمضار الحمق نهاية وقد قال الشاعر

لكل دا دوا يستطب به الا الحماقة اعيت من يداويها

فصل

فاما الهوى فهو عن الخير صاد وللعقل
مضاد لانه ينتج من الاخلاق قبايحها ويظهر من الافعال
فضايحها ويجعل ستر المروة مهتوكا ومدخل الشر مسلوكا
قال

قال عبد الله ابن عباس رضي الله عنه الهوى اله يعبد من قوله
ولكنكم فتنتم انفسكم يعني بالشهوات وتربصتم يعني بالتوبة
وارتبتم يعني في امر الله عز وجل وغرتكم الاماني يعني بالتسويف
حتى جا امر الله يعني الموت وغركم بالله الغرور يعني الشيطان
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طاعة الشهوة دا
وعصيانها دوا وقال عمر رضي الله عنه اقدعوا هذه النفوس
عن شهواتها فانها طلاعة تنزع الى شر غاية ان هذا الحق ثقيل
مري وان الباطل خفيف وبي وترك الخطية خير من معالجة التوبة
ورب نظرة زرعت شهوة وشهوة ساعة اورثت حزنا طويلا وقال
علي ابن ابي طالب عليه السلام اخاف عليكم اثنتين اتباع الهوى وطول
الامل فان اتباع الهوى يصد عن الحق وطول الامل ينسي الاخرة
وقال الشعبي انما سمي الهوى لانه يهوي بصاحبه وقال اعرابي
الهوى هوان غلط باسمه فاخذه الشاعر فقال

ان الهوان هو الهوى قلب اسمه فاذا هويت فقد لقيت هوانا

وقال بعض الحكما العقل صديق مقطوع والهوى عدو متبوع
وقال بعض البلغاء افضل الناس من عصى هواه وافضل منه
من رفض دنياه وقال هشام ابن عبد الملك ابن مروان

إذا انت لم تعص الهوى قادك الهوى الى كل ما فيه عليك مقال
وقال ابن المعتز لم يقل هشام غير هذا البيت وقال الشاعر

اذا ما رايت المرء يقتاده الهوى فقد ثكلته عند ذاك ثواكله
وقد اشمت الاعداء جهلا بنفسه وقد وجدت فيه مقالا عواذله
ولن ينزع النفس اللجوج عن الهوى من الناس الا حازم الراي كامله

فلما كان الهوى غالبا والى سبيل المهالك موردا جعل العقل
عليه رقيبا مجاهدا يلاحظ عثرة غفلته ويدفع سطوة بادرته
ويوضح خداع حيلته لان سلطان الهوى قوي ومدخل مكره
خفي ومن هذين الوجهين يوتى العاقل حتى تنفذ احكام الهوى
عليه اعني باحد الوجهين قوة سلطانه وبالاخر خفا مكره فاما
الوجه الاول فهو ان يقوى سلطان الهوى بكثرة دواعيه
حتى يستولي عليه مغالبة الشهوات فيكل العقل عن دفعها ويضعف
عن منعها مع وضوح قبحها في العقل المقهور بها وهذا يكون
في الاحداث اكثر وعلى الشباب اغلب لقوة شهواتهم وكثرة دواعي
الهوى المسلط عليهم وانهم ربما جعلوا الشباب عذرا لهم كما قال
محمد بن بشير ٥ كل يرى ان الشباب له في كل مبلغ لذة عذر ٥
ولذلك قال بعض الحكما الهوى ملك غشوم ومتسلط ظلوم وقال
بعض

بعض الادبا الهوى عسوف والعدل مالوف وقال بعض الشعراء

يا عاقلا اردى الهوى عقله ما لك قد سدت عليك الامور
اتجعل العقل اسير الهوى وانما العقل عليه امير

وحسم ذلك ان يستعين العقل بالله تعالى ويعلم النفس ويشعرها
ما في عواقب الهوى من شدة الضرر وقبح الاثر وكثرة الاجرام وتراكم
الاثام فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره والنار
بالشهوات اخبر ان الطريق الى الجنة احتمال المكاره والطريق الى
النار اتباع الشهوات ٥ وقال علي بن ابي طالب عليه السلام اياكم
وتحكيم الشهوات على انفسكم فان عاجلها ذميم وآجلها وخيم فان
لم ترها تنقاد بالتحذير والارهاب فسوفها بالتاميل والارغاب فان
الرغبة والرهبة اذا اجتمعتا على النفس ذلت لهما وانقادت
وقد قال ابن السماك كن لهواك مسوفا ولعقلك مسعفا وانظر
ما تسوء عاقبته فوطن نفسك على مجانبته فان ترك النفس وما تهوى
داؤها وترك ما تهوى دواها فاصبر على الدوا لما تخاف من الداء
قال الشاعر ٥

صبرت على اللذات حتى تولت والزمت نفسي هجرها فاستمرت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى فان اطمعت تاقت والا تسلت

فاذا انقادت النفس للعقل بما قد اشعرت من عواقب الهوى
لم يلبث الهوى ان يصير بالعقل مدحورا وبالنفس مقهورا ثم له
الحظ الاوفى في ثواب الخالق وثنا المخلوقين قال الله تعالى
واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة
هي الماوى وقال الحسن البصري افضل الجهاد جهاد الهوى
وقال بعض البلغاء اعز العز الامتناع من تملك الهوى وقال بعض
البلغاء خير الناس من اخرج الشهوة من قلبه وعصى هواه في
طاعة ربه ه وقال بعض الادبا من امات شهوته احيا مروته
وقال بعض العلما ركب الله تعالى الملايكة من عقل بلا شهوة
وركب البهايم من شهوة بلا عقل وركب ابن ادم من كلهما فمن
غلب عقله شهوته فهو خير من الملايكة ومن غلبت شهوته عقله
فهو شر من البهايم ه وقيل لبعض الحكما من اشجع الناس واحراهم
بالظفر في مجاهدته قال من جاهد الهوى طاعة لربه واحترس
من ورود خواطر الهوى على قلبه وقال بعض الشعراء

شعر

فقد يدرك الحازم ذو الراي المنى بطاعة الحزم وعصيان الهوى

واما الوجه الثاني فهو ان يخفى الهوى مكره حتى يتموه افعاله
على العقل فيتصور القبيح حسنا والضرر نفعا وهذا يدعو
الي

اليه احد شيين اما ان يكون للنفس ميل الى ذلك الشي فيخفى
عنها القبيح لحسن ظنها وتتصوره حسنا لشدة ميلها ولذلك قال
النبي صلى الله عليه وسلم حبك للشي يعمي ويصم اي يعمي عن الرشد
ويصم عن الموعظه وقال عليه السلام الهوى عمى وقال الشاعر
حسن في كل عين من تود ه وقال عبد الله ابن معويه ابن
عبد الله ابن جعفر ابن ابي طالب ه

ولست براء عيب ذي الود كله ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبدي المساويا

واما السبب الثاني فهو استثقال الفكر في طلب ما اشتبه وطلب
الراحه في اتباع ما يسهل حتى يظن ان ذلك اوفق امريه واحمد
حاليه اغترارا بان الاسهل محمود والاعسر مذموم فلن يعدم ان
يتورط بخدع الهوى وزينه المكر في كل مخوف حذر ومكروه
عسر وكذلك قال عامر ابن الظرب الهوى يقظان والعقل راقد
فمن ثم غلب ه وقال سليمن ابن وهب الهوى امنع والراي
انقع وقيل في المثل العقل وزير ناصح والهوى وكيل فاضح وقال
الشاعر ه

اذا المرء اعطى نفسه كلما اشتهت ولم ينهها تاقت الى كل باطل
وساقت اليه الاثم والعار بالذي دعته اليه من حلاوة عاجل

وحسم السبب الاول ان تجعل فكر قلبه حكما على نظر عينه فان
العين رايد الشهوة والشهوة من دواعي الهوى والقلب رايد
الحق والحق من دواعي العقل وقد قال بعض الحكما نظر الجاهل
بعينه ونظر العاقل بقلبه وخاطره ثم يتهم نفسه في صواب ما
احبه وتحسين ما اشتهاه ليصح له الصواب ويتبين له الحق
فان الحق اثقل محملا واصعب مركبا فان اشكل عليه امران اجتنب
احبهما اليه وترك اسهلهما عليه فان النفس عن الحق انفر وللهوى
اثر وقد قال العباس رضي الله عنه اذا اشتبه عليك امران
فدع احبهما اليك وخذ اثقلهما عليك وعلة هذا القول ان التثقيل
يبطي النفس عن التسرع اليه فيتضح مع الابطاء وتطاول الزمان
صواب ما استعجم وظهور ما استبهم وقد قال علي بن ابي طالب عليه السلام
من تفكر ابصر والمحبوب السهل تسرع النفس اليه وتعجل بالاقدام
عليه فيقصر الزمان عن تصفحه ويفوت استدراكه لتقضي
فعله فلا ينفع التصفح بعد العمل ولا الاستبانة بعد الفوت
وقد قال بعض الحكما من كان عنك معرضا فلا تكن به متعرضا ۝

وقال الشاعر ۝

البس طلاب ما قد فات جهلا وذكر المرء ما لا يستطيع

ولقد

ولقد وصف بعض البلغا حال الهوى وما يقارنه من محن الدنيا
فقال الهوى مطية الفتنة والدنيا دار المحنة فاترك الهوى تسلم
واعرض عن الدنيا تغنم ولا يغرنك هواك بطيب الملاهي ولا
تفتننك الدنيا بحسن العواري فمدة اللهو تنقطع وعارية الدهر
ترتجع ويبقى عليك ما ترتكبه من المحارم وتكتسبه من المآثم ۝ وقال
علي بن عبد الله الجعفري سمعتني امراة بالطواف وانا انشد
اهوى هوى الدين واللذات تعجبني فكيف لي بهوى الدين واللذات
فقالت هما ضرتان فذر ايهما شئت وخذ الاخرى فاما فرق ما
بين الهوى والشهوة مع اجتماعهما في العلة والمعلول واتفاقهما
في الدلالة والمدلول فهو ان الهوى مختص بالآراء والاعتقادات
والشهوة تختص بنيل المستلذات فصارت الشهوة من نتايج
الهوى وهي اخص والهوى اصل هو اعم ونحن نسال الله تعالى
ان يكفينا دواعي الهوى ويصرف عنا سبل الردى ويجعل
التوفيق لنا قايدا والعقل لنا مرشدا ۝ فقد حكي ان الله تعالى ۝
اوحى الى عيسى ابن مريم عليه السلام عظ نفسك فان اتعظت
فعظ الناس والا فاستحي مني وقال محمد بن كناسة

ما من روى ادبا فلم يعمل به ويكف عن زيغ الهوى باديب

حتى يكون بما تعلم عاملاً من صالح فتكون غير معيب
ولقل ما تغني إصابة قايل أفعاله أفعال غير مصيب

وقال آخر

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك تعذر إن وعظت ويقتدى بالقول منك ويقبل التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

حكى أبو فروه أن طارقاً صاحب شرطة خالد العنسري مر بابن شبرمه
وطارق في موكبه فقال ابن شبرمه

أراها وإن كانت تحب كأنها سحابة صيف عن قليل تقشع

اللهم لي ديني ولهم دنياهم فاستعمل ابن شبرمه بعد ذلك على
القضا فقال له ابنه أتذكر قولك يوم كذا إذ مر بك طارق في
موكبه فقال يا بني إنهم يجدون مثل أبيك ولا يجد أبوك مثلهم
إن أباك أكل من حلواهم فحط في هواهم أما ترى هذا الدين
الفاضل كيف عوجل بالتقريع وقوبل بالتوبيخ من أخص ذويه
ولعله من بر بنيه فكيف بنا ونحن أطلق منه عناناً وأقوى
منه جناناً إذا رمقتنا أعين المتبعين وتناولتنا ألسن المتعنتين
هل نجد غير توفيق الله تعالى ملاذاً وسوى عصمته معاذاً

باب

باب أدب العلم

اعلم أن العلم
أشرف ما رغب فيه الراغب وأفضل ما طلبه وجد فيه الطالب
وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب لأن شرفه ينم على صاحبه وفضله
ينمي عند طالبه قال الله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون فمنع من المساواة بين العالم والجاهل لما قد خص به العالم
من فضيلة العلم وقال الله تعالى وما يعقلها إلا العالمون
فنفى أن يكون غير العالم يعقل عنه أمراً أو يفهم عنه نهياً وزجراً
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إني عليم أحب كل عليم
وروى أبو أمامة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
رجلين أحدهما عالم والآخر عابد فقال النبي صلى الله عليه وسلم
فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم وقال علي بن أبي
طالب رضي الله عنه الناس أبناء ما يحسنون وقال مصعب
ابن الزبير لابنه العلم العلم فإن يكن لك مال كان لك جمالاً
وإن لم يكن لك مال كان لك مالاً وقال عبد الملك بن مروان
لبنيه يا بني تعلموا العلم فإن كنتم سادة فقتم وإن كنتم وسطاً
سدتم وإن كنتم سوقة عشتم وقال بعض الحكماء العلم شرف لا قدر
له والأدب مال لا خوف عليه وقال بعض الأدباء العلم أفضل

(هامش: إنما يتذكر أولو الألباب)
(هامش: انه قال الله تعالى)

خلف والعمل به اكمل شرف وقال بعض البلغاء تعلم العلم فانه
يقومك ويسددك صغيرًا ويقدمك كبيرًا ويصلح زيغك ه
وفاسدك ويرغم عدوك وحاسدك ويقوم عوجك وميلك
ويصحح همتك واملك ه وقال علي ابن ابي طالب عليه السلم قيمة
كل امراء ما يحسن فاخذه الخليل فنظمه شعرًا فقال ـــــ

لا يكون العلي مثل الدني ولا ذو الذكا مثل الغبي
قيمة المرا قدر ما يحسن المرا قضا من الامام علي

وليس يجهل فضل العلم الا اهل الجهل لان فضل العلم انما يعرف
بالعلم وهذا ابلغ في فضله لان فضله لا يعلم الا به فلما عدم
الجهال العلم الذي به يتوصلون الى فضل العلم جهلوا فضله
واسترذلوا اهله وتوهموا انما يميل اليه نفوسهم من الاموال
والمقتناة والطرف المشتهاه اولى ان يكون اقبالهم عليها
واحرى ان يكون اشتغالهم بها وقال ابن المعتز في منثور
الحكم العالم يعرف الجاهل لانه كان جاهلا والجاهل لا
يعرف العالم لانه لم يكن عالما وهذا صحيح ولاجله ما انصرفوا
عن العلم واهله انصرف الزاهدين وانحرف عنه وعنهم
انحراف المعاندين لان من جهل شيئا عاداه انشدني ابن

لنكك

لنكك لابي بكر ابن دريد

جهلت فعاديت العلوم واهلها كذاك يعادي العلم من هو جاهله
ومن كان يهوى ان يرى متصدرًا ويكره لا ادري اصيبت مقاتله

وقيل لبزرجمهر العلم افضل ام المال فقال بل العلم قيل فما بالنا نرى
العلما على ابواب الاغنياء ولا نكاد نرى غنيا على ابواب العلما فقال
ذاك لمعرفة العلما بمنفعة المال وجهل الاغنيا بفضل العلم ه وقيل
وقيل لبعض الحكما لم لا تجتمع العلم والمال فقال لعز الكمال وانشدت
لبعض اهل هذا العصر ه

وفي الجهل قبل الموت موت لاهله فاجسامهم قبل القبور قبور
وان امرا لم يحي بالعلم ميت فليس له حتى النشور نشور

ووقف بعض المتعلمين بباب عالم ثم نادى تصدقوا علينا بما لا يتعب
ضرسا ولا يسقم نفسا فاخرج له طعاما ونفقة فقال يا فتى الى كلامكم
اشد من حاجتي الى طعامكم اني طالب هدي لا سائل ندي فاذن
له العالم وافاده من كل ما سال عنه فخرج جذلان فرحا وهو
يقول علم اوضح لبسا خير من مال اغنى نفسا ه واعلم ان كل العلوم
شريفة ولكل علم منها فضيلة والاحاطة بجميعها محال قيل لبعض
الحكما من يعرف كل العلوم فقال كل الناس ه وروي عن النبي

صلى الله عليه وسلم انه قال من ظن ان للعلم غاية فقد بخسه حقه
ووضعه في غير منزلته التي وضعه الله تعالى بها حيث قال وما
اوتيتم من العلم الا قليلا ه وقال بعض الحكما لو كنا نطلب العلم لنبلغ
غايته لكنا قد بدانا العلم بالنقيصه ولكنا نطلبه لينتقص
في كل يوم من الجهل ويزداد في كل يوم من العلم وقال بعض العلما
المتعمق في العلم كالسابح في البحر ليس يرى ارضا ولا يعرف
طولا ولا عرضا وقيل لحماد الراويه اما تشبع من هذه العلوم
فقال استفرغنا فيها المجهود فلم نبلغ منها المحدود ونحن كما قال
الشاعر ه اذا قطعنا علما بدا علم ه وانشد الرشيد عن المهدي
وقال اراها له ه

يا نفس غوصي بحار العلم او خوضي فالناس ما بين معموم ومخصوص
لا شي في هذه الدنيا نحيط به الا احاطة منقوص بمنقوص

واذا لم يكن الي جميع معرفه سبيل وجب صرف الاهتمام الي معرفة اهمها
والعنايه باولاها واولي العلوم وافضلها علم الدين لان الناس
بمعرفته يرشدون وبجهله يضلون اذ لا يصح اداء عباده جهل
فاعلها صفات ادايها ولم يعلم شروط اجرايها ولذلك قال
النبي صلى الله عليه وسلم فضل العلم خير من فضل العباده وانما
كان

كان ذلك لان العلم يبعث على فضل العباده مع خلو فاعلها من
العلم بها قد لا يكون عباده فلزم علم الدين كل مكلف وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وفيه تاويلات
احدهما علم لا يسع جهله من العبادات والثاني حمله العلم اذا
لم يقم بطلبه من فيه كفايه واذا كان علم الدين قد اوجب
الله تعالى فرض بعضه على الاعيان وفرض جميعه على الكافه
قال الله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في
الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون
وروي عبد الله ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخل المسجد فاذا هو بمجلسين احدهما يذكرون الله تعالى
والاخرون يتفقهون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلا المجلسين على خير واحدهما احب الي من صاحبه اما هولاي
فيذكرون الله تعالى ويسالونه فان شا اعطاهم وان شا
منعهم واما المجلس الاخر فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل
وانما بعثت معلما وجلس الي اهل الفقه ه وروى مروان ابن
جناح عن يونس ابن ميسره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال الخير عاده والشر لجاجه ومن يرد الله به خيرا يفقهه

في الدين ٥ وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
خيار امتي علماوها وخيار علمايها فقهاوها وروي معاذ ابن
رفاعه عن ابرهيم ابن عبد الرحمن العدري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله
ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتاويل
الجاهلين ٥ وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال على
خلفاي قالوا وما خلفاوك قالوا وما خلفاوك قال الذين يحيون
سنتي يعلمونها عباد الله ٥ وروي حميد عن انس ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال الفقه في الدين حق على كل مسلم الا فتعلموا
وعلموا وتفقهوا ولا تموتوا جهالا ٥ وروي سليمن ابن يسار
عن ابي هريره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما عبد الله تعالى
بشي افضل من فقه في الدين ولفقيه واحد اشد على الشيطان
من الف عابد ولكل شي عماد وعماد الدين الفقه وربما مال
بعض الهنا وتين بالدين الى العلوم العقليه وراي انها احق
بالفضيله واولي بالتقدمه استشعالا لما تضمنه الدين من
التكليف واستبذالا لما جاء به الشرع من التعبد والتوقف
والكلام مع مثل هذا في اصل لا يتسع له هذا الفصل ولن
نري

نري ذاك فيمن سلمت فطرته وصحت رويته لان العقل يمنع من
ان يكون الناس همــلا او سدا يتعمدون على رايهم المختلفه وينقادون
لاهوايهم المتشعبه لما تؤول اليه امورهم من الاختلاف
والتنازع وتفضي اليه احوالهم من التباين والتقاطع فلم يستغنوا
عن دين يتالفون به ويتفقون عليه ثم العقل موجب له او متابع
ولو تصور هذا المتخيل المتصور ان الدين ضروره في العقل وان العقل
للدين اصل لقصر عن التقصير واذعن للحق ولكن اهمل نفسه فضل
واضل وقد يتعلق بالدين علوم قد بين الشافعي رحمه الله عليه
فضيله كل واحد منها فقال من تعلم القران عظمت قيمته ومن تعلم
العلم نبل مقداره ومن كتب الحديث قويت حجته ومن تعلم الحساب
جزل رايه ومن تعلم الغريب رق طبعه ومن لم يصن نفسه لم ينفعه
علمه ولعمري ان صيانه النفس اصل الفضايل لان من اهمل صيانه نفسه
ثقة بما منحه العلم من فضيله وتوكلا على ما يلزم الناس من صيانته
سلبوه فضيله علمه ووسموه بقبيح تبذله فلم يف ما اعطاه العلم بما
سلبه التبذل لان القبيح انم من الجميل والرذيله اشهر من الفضيله
لان الناس لما في طباعهم من بعضه الحسد ونزاع المنافسه ٥
تنصرف عيونهم عن المحاسن الى المساوي فلا ينصفون محسنا ولا

وانتشبه بالعلمى وان قصر باوا اصل سوى عا اشد على الشيطان من الف عابد

يخافون مسيئا لا سيما من كان بالعلم موسوما واليه منسوبا
فان زلته لا تقال وهفوته لا تعذر اما لقبح اثرها واغترار
كثير من الناس بها فقد قيل في منثور الحكم زلة العالم كالسفينه
تغرق ويغرق معها خلق كثير وقيل لعيسى ابن مريم عليه السلام
من اشد الناس فتنة قال زلة العالم اذا زل زل بزلته ناس كثير
فهذا وجه واما لان اهل الجهل بذمه اغرى وعلى تنقصه احرى
ليسلبوه فضيله التقدم ويمنعوه مباينه التخصص عنادا لما
جهلوه ومقتا لمن باينوه لان الجاهل يري العلم تكلفا ولوما كما
ان العالم يرى الجهل تخلفا وذما وانشدت عن الربيع للشافعي
رضي الله عنه • ومنزلة السفيه من الفقيه كمنزلة الفقيه من السفيه •
• فهذا زاهد في قرب هذا وهذا فيه ازهد منه فيه •
• اذا غلب الشقا على سفيه تنطع في مخالفة الفقيه •
وقال يحيى ابن خالد لابنه عليك بكل نوع من العلم فخذ منه فان
المرء عدو ما جهل وانا اكره ان تكون عدو شي من العلم وانشد
• تفنن وخذ من كل علم فانما يفوق امرؤ في كل فن له علم •
• فانت عدو للذي انت جاهل به ولعلم انت تتقنه سلم •
واذا صان ذو العلم نفسه حق صيانتها ولازم فعل ما يلزمها امن
اغترار

اغترار الموالي وتنقص المعادي وجمع الى فضيله العلم جمال
الصيانه وعز النزاهة فصار بالمنزله التي يستحقها بفضايله ٥
روي ابو الدردا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العلما ورثة الانبياء
ان الانبيا لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم وروي ابو
هريره ان النبي صلى الله عليه قال للانبيا على العلما فضل درجتين
وللعلما على الشهدا فضل درجه وقال بعض البلغا ان من الشريعة
ان تجل اهل الشريعه ومن الصنيعه ان ترب اهل الصنيعة
فينبغي لمن استدل بفطنته على استحسان الفضايل واستقباح
الرذايل ان ينفي عن نفسه رذايل الجهل بفضايل العلم وغفلة
الاهمال باستيقاظ المعاناه ويرغب في العلم رغبة متحقق
لفضايله واثق بمنافعه ولا يلهيه عن طلبه كثرة مال وجده
ولا نفوذ امر وعلو منزلة فان من نفذ امره فهو الى العلم احوج
ومن علت منزلته فهو بالعلم احق ٥ روي انس ابن مالك عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الحكمه تزيد الشريف
شرفا وترفع العبد المملوك حتى تجلسه مجلس الملوك وقد قال
بعض الادبا كل عز لا يوطده علم مذله وكل علم لا يؤيده عقل
مضله ٥ وقال بعض علما السلف اذا اراد الله بالناس خيرا

جعل العلم في ملوكهم والملك في علمايهم ٥ وقال بعض البلغا
العلم عصمة الملوك لانه يمنعهم من الظلم ويردهم الي الحكم
ويبعدهم عن الاذية ويعطفهم علي الرعية فمن حقهم ان يعرفوا
حقه ويبسطوا اهله فاما المال فظل زايل وعارية مسترجعة
وليس في كثرته فضيله ولو كانت فيه فضيله لخص الله تعالي به
من اصطفاه لرسالته واجتباه لنبوته وقد كان اكثر انبيا الله مما
خصهم به من كرامته وفضلهم علي ساير خلقه فقرا لا يجدون
بلغة ولا يقدرون علي شي حتي صاروا في الفقر مثلا فقال البحتري

فقر كفقر الانبياء وغربة وصبابة ليس البلا بواحد ٥

ولعدم الفضيله في المال ما منحه الله تعالي للكافر وحرمه المومن
فقال الشاعر ٥

كم كافر بالله امواله تزداد اضعافا علي كفره
ومومن ليس له درهم يزداد ايمانا علي فقره
يا لايم الدهر وافعاله مستعتبا يزري علي دهره
الدهر مامور له امر ينصرف الدهر علي امره

وقد بين علي ابن ابي طالب عليه السلام فضل ما بين العلم والمال
فقال العلم خير من المال فالعلم يحرسك وانت تحرس المال العلم
حاكم

حاكم والمال محكوم عليه ٥ مات خزان المال وبقي خزان العلم
اعيانهم مفقوده واشخاصهم في القلوب موجوده ٥ وسيل بعض
الحكما ايما افضل المال ام العلم فقال الجواب عن هذا ايما افضل
المال ام العقل وقال صالح ابن عبد القدوس ولا خير فيمن كان
خير ثيابه في الناس فوقهم غني واحد ٥ وربما امتنع الانسان
من طلب العلم لكبره وعلو سنه واستحيا من تقصيره في صغره
ان يتعلم في كبره فرضي بالجهل ان يكون موسوما به واثر علي العلم
ان يكون مبتديا به وهذا من خدع الجهل وغرور الكسل
لان العلم اذا كان فضله فرغبة ذوي الاسنان فيه اولي والابتدا
بالفضيله فضيله ولان يكون شيخا متعلما اولي من ان يكون شيخا
جاهلا ٥ حكي ان بعض الحكما راي شيخا يحب النظر في العلم
ويستحي فقال يا هذا اتستحي ان تكون في اخر الزمان عمرك
افضل مما كنت في اوله ٥ وذكر ان ابرهيم ابن المهدي دخل
علي المامون وعنده جماعة يتكلمون في الفقه فقال يا عم ما
عندك فيما يقول هولا فقال يا امير المومنين شغلونا في
الصغر واشتغلنا في الكبر فقال لم لا تتعلمه اليوم فقال او يحسن
بمثلي تعلم العلم قال نعم والله لان تموت طالبا للعلم خير من
طلب

ان تعيش فانّ قبحًا بالجهل قال والي متي يحسن بي العلم قال ما
حسنت بك الحياه ولان الصغير اعذر وان لم يكن في الجهل عذر
لانه لم يطل به مدة التفريط ولا استمرت عليه ايام الاهمال وقد
قيل في منثور الحكم جهل الشباب معذور وعلمه محقور فاما الكبير
فالجهل به اقبح ونقصه عليه افضح لان علو السن اذا لم يكسبه فضلا
ولم يفده علما وكانت ايامه في الجهل ماضيه ومن الفضل خاليه
كان الصغير افضل منه لان الرجا له اكثر والامل فيه اظهر وحسبك
نقصا في رجل يكون الصغير المساوي له في الجهل افضل منه انشدت
لبعض اهل الادب

اذا لم يكن مر السنين مترجمًا عن الفضل في الانسان سميته طفلا
وما تنفع الاعوام حين تعدها ولم يستفد فيهن علمًا ولا فضلا
اري الدهر من سو التصرف مايلًا الي كل ذي جهل كان به جهلا

وربما امتنع من طلب العلم لتعذر المادة عليه وشغله اكتسابها عن
التماس العلم فهذا وان كان اعذر من غيره مع انه قل ما يكون
ذلك الا عند ذي شره رغيب وشهوه مستعبده فينبغي ان
يصرف الي العلم حظا من زمانه فليس كل الزمان زمان اكتساب
ولا بد للمكتسب من اوقات استراحه وايام عطله فمن صرف كل

نفسه الي الكسب حتي لم يترك لها فراغا الي غيره فهو من عبيد الدنيا
واسرا الحرص وقد روي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال
ان لكل شي فتره فمن كانت فترته الي العلم فقد نجا وروي عن
النبي صلي الله عليه وسلم انه قال كونوا علما صالحين فان لم تكونوا
علما صالحين فجالسوا العلما واسمعوا علما يدلكم علي الهدي
ويردكم عن الردي وقال بعض العلما من احب العلم احاطت
به فضايله وقال بعض الحكما من صاحب العلما وقر ومن جالس
السفها حقر وربما منعه من طلب العلم ما يظنه من صعوبته وبعد
غايته ويخشي من قله ذهنه وبعد فطنته وهذا الظن اعتذار ذوي
النقص وخيفه اولي العجز لان الاخبار قبل الاختبار جهل والخشيه
قبل الابتلا عجز وقد قال الشاعر

لا تكونن من الامور هيوبا فالي خيبه يكون الهيوب

وقال رجل لابي هريره اريد ان اتعلم العلم واخاف ان اضيعه
فقال كفي بترك العلم اضاعه وليس وان تفاضلت الاذهان
وتفاوتت الفطن ما ينبغي لمن قل منها حظه ان يياس من نيل
القليل وادراك اليسير الذي يخرج به من حد الجهاله الي
ادني مراتب التخصيص فان الما للينه يوثر في صم الصخور فكيف

لا يؤثر العلم الزكي في نفس راغب شهي وطالب خلي لا سيما وطالب
العلم معان ه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لتضع
اجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب وربما منع ذا السفه اهه من
طلب العلم ان يصور في نفسه حرفه اهله وتضايق الامور مع
الاشتغال به حتى يتهم بالادبار ويتوسمهم بالحرمان وان
راي مخبرة نظيرا منها وان وجد حانا اعرض عنه وان راي متحليا
بالعلم هرب منه كانه لم ير عالما مقبلا وجاهلا مدبرا ولقد رايت
من هذه الطبقة جماعة ذوي منازل واحوال كنت اخفي عنهم
ما يحجبني من مخبر او حال ليلا اكون عندهم مستقبلا وان
كان العبد منهم مونسا ومصلحا والقرب منهم موحشا ومفسدا
فقد قال بزرجمهر الجهل في القلب كالبر في الارض يفسد ما
حوله لكن اسعد منهم الحديث المروي عن ابي الاشعث
عن ابي عثمان بن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
خالطوا الناس باخلاقهم وخالفوهم في اعمالهم وكذلك
قال بعض البلغاء رب جهل وقيت به علما وسفه حميت به حلما
وهذه الطبقة ممن لا يرجى لها صلاح ولا يؤمل لها فلاح
لان من اعتقد ان العلم شين وان تركه زين وان للجهل اقبالا

مهديا

مهديا وللعلم ادبارا مكديا كان ضلاله مستحكما ورشاده مستبعدا
وكان هو الخامس الهالك الذي قال فيه علي بن ابي طالب
عليه السلام اغد عالما او متعلما او مستمعا او محبا ولا تكن
الخامس فتهلك ه وقد رواه خالد الخزاعي عن عبد الرحمن
ابن ابي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا وليس لمن هذه
حاله في العذل نفع ولا في الاستصلاح مطمع وقد قيل لبزرجمهر
ما لكم لا تعاتبون الجهال فقال انا لا نكلف العمي ان يبصروا ولا
الصم ان يسمعوا ه وهذه الطائفة التي ينفر من العلم هذا النفور
وتعاند اهله هذا العنادين العقل عند المتابه وينفر من العقلا
هذا النفور ويعتقد من هذا اعتقاده وفي العلم والعقل هل
يكون لخير اهلا او لفضيلة موضعا وقد قال بعض البلغا احب
الناس المساوي بين المحاسن والمساوي وعلة هذا انهم ربما
راوا عاقلا غير محظوظ وعالما غير مرزوق فظنوا ان العلم ه
والعقل هما السبب في قلة حظه ورزقه وقد انصرفت عيونهم
عن حرمان اكثر النوكى وادبار اكثر الجهال لان في العقلاء
والعلما قلة وعليهم من فضلهم سمة وكذلك قيل العلما غرباء
والعلما غربا لكثرة الجهال فاذا ظهرت سمة فضلهم وصادف

ذلك فله حظ بعضهم سموهوا بالتمييز واشتهروا بالتعيين
فصاروا مقصودين باشاره المتعيبين ملحوظين بإيماء الشامتين
والجهال والحمقى لما كثروا ولم يتخصصوا انصرفت عنهم النفوس
فلم يلحظ المحروم منهم بطرف شامت ولا قصد المحدود منهم باشارة
غايب فلذلك ظن الجاهل المرزوق ان الفقر والضيق مختص
بالعلم والعقل دون الجهل والحمق ولو تفتش احوال العلماء
والعقلاء مع قلتهم لوجدت الاقبال في الزهم وانما يصير ذوا
الحال الواسعه منهم ملحوظا مشتهرا لان حظه عجيب واقباله
مستغرب كما ان حرمان العاقل العالم غريب واقلاله عجيب ولم
يزل الناس على ساير الدهور من مثل ذلك متعجبين وبه
معتبرين حتى قيل لبزرجمهر ما اعجب الاشيا فقال نجح الجاهل
واكدا العاقل ولكن الرزق بالجد والحظ لا بالعلم والعقل
حكمة منه تعالى يدل بها على قدرته واجرا الامور على مشيته
وقد قالت الحكما لو جرت الاقسام على قدر العقول لم تعش
البهايم فنظمه ابو تمام الطايي فقال

ينال الفتى من عيشه وهو جاهل ... ويكدي الفتى في دهره وهو عالم
ولو كانت الارزاق تجري على الحجى ... هلكن اذا من جهلهن البهايم

وقال

لكعب ابن زهير ابن ابي سلمى ه

لو كنت اعجب من شي لاعجبني ... سعي الفتى وهو مخبو له القدر
يسعى الفتى لامور ليس يدركها ... والنفس واحدة والهم منتشر

على ان للعلم والعقل سعاده واقبال وان قل معهما المال وضاقت
معهما الحال والجهل والحمق حرمان وادبار وان كثر معهما
المال واتسعت فيهما الحال لان السعاده ليست بكثره المال
فكم من مكثر شقي ومقل سعيد وكيف يكون الجاهل الغني
سعيدا والجهل يضعه ام كيف يكون العالم الفقير شقيا والعلم يرفعه
وقد قيل في منثور الحكم كم ذليل اعزه علمه ومن عزيز اذله جهله
وقال عبد الله ابن المعتز نعمه الجاهل ازداد فيها قبحا وقال
بعض العلما لبنيه يا بني تعلموا العلم وان لم تنالوا به من الدنيا
حظا فلان يذم الزمان لكم احب الي من ان يذم الزمان بكم
وقال بعض الادبا من لم يفد بالعلم مالا كسب به جمالا وانشدني
بعض اهل الادب لابن طباطبا ه

حسود مريض القلب يخفي انينه ... ويضحي كئيب البال عندي حزينه
يلوم على ان رحت للعلم راغبا ... اجمع من عند الرواه فنونه
واعرف ابكار الكلام وعونه ... واحفظ مما استفيد عيونه

ويزعم ان العلم لا يجلب الغنا ويحسن بالجهل الذميم ظنونه
فيا لايمي دعني اغالي بقيمتي فقيمة كل الناس ما يحسنونه
وانا استعيذ الله تعالى من خدع الجهل المذله ونوادر الحمق المضله
واساله الاستعانه بعقل رادع يستنفيم به من زلل وعلم نافع
يستهدي به من ضلاله فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اذا استرذل الله عبدا حظر عليه العلم فينبغي لمن زهد في العلم
ان يكون فيه راغبا ولمن رغب فيه ان يكون له طالبا ولمن طلبه ان
يكون منه مستكثرا ولمن استكثر منه ان يكون به عاملا ولا يطلب
لتركه احتجاجا ولا للتقصير فيه عذرا وقال الشاعر

فلا تعذراني في الاساءه انه شرار الرجال من يسيء فيعذر

ولا يسوف نفسه بالمواعيد الكاذبه ويمنيها بانقطاع الاشغال
المتصله فان لكل وقت شغلا وفي كل زمان عذرا وقال الشاعر

نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضي

وليقصد طلب العلم واثقا بتيسير الله تعالى قاصدا به وجهه بنية
خالصه وعزيمة صادقه فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من تعلم علما لغير الله او اراد به غير الله فليتبوا
مقعده من النار وروى ابو هريره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال

قال تعلموا العلم قبل ان يرفع ورفعه ذهاب اهله فان
احدكم لا يدري متى يحتاج اليه او متى يحتاج الى ما عنده وليحذر
ان يطلبه لمراء او رياء فان المماري به محجوب لا ينتفع والمرائي
به محقور لا يرتفع وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال لا تعلموا العلم لتماروا به السفها ولا تعلموا العلم لتجادلوا به
العلما فمن فعل ذلك منكم فالنار النار وليس المماري به هو
المناظر به طلبا للصواب منه ولكنه القاصد لدفع ما يرد عليه
من فاسد او صحيح وفيهم جاءت السنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لا تجادل المنافق مرتاب وقال الاوزاعي اذا اراد
الله بقوم شرا اعطاهم الجدل ومنعهم العمل وانشد
الرياشي لمصعب بن عبد الله ا اجادل كل معترض خصيم واجعل دينه غرضا لديني

فاترك ما علمت لراي غيري وليس الراي كالعلم اليقين
وما انا والخصومه وهي شيء يصرف في الشمال وفي اليمين
فاما ما علمت فقد كفاني واما ما جهلت فجنبوني

وقد بين ذلك بعض العلما فقال لصاحبه لا يمنعك
حذر المراء من حسن المناظره فان المماري هو الذي لا
يريد ان يتعلم منه احد واعلم ان لكل مطلوب باعثا والباعث

على المطالب شيان رغبة او رهبة فليكن طالب العلم راغبا او راهبا
اما الرغبة ففي ثواب الله لطالبي مرضاته وحافظي مفترضاته
واما الرهبة فمن عقاب الله لتاركي اوامره ومهملي زواجره
فاذا اجتمعت الرغبة والرهبة ادتا الى كنه العلم وحقيقة
الزهد لان الرغبة اقوى الباعثين على العلم والرهبة
السعادة واصل الزهد الرهبة وثمرته العبادة فاذا اقترن
الزهد والعلم فقد تمت السعادة وعمت الفضيلة وان افترقا
فياويح مفترقين ما اضر افتراقهما واقبح انفرادهما ه وقد
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ازداد في
العلم رشدا فلم يزدد في الدنيا زهدا لم يزدد من الله
الا بعدا ه وقال مالك بن دينار من لم يؤت من العلم
ما يقمعه فما اوتي من العلم لا ينفعه ه وقد قال بعض
الحكما الفقيه بغير ورع كالسراج يضي البيت ويحرق
نفسه

فصل واعلم ان للعلوم اوايل تودي
الى اواخرها ومداخل تفضي الى حقايقها ولا تطلب الاخر
قبل الاول ولا الحقيقة قبل المدخل فلا يدرك الاخر ولا
يعرف الحقيقة لان البنا على غير اس لا يبنى والثمر من غير
غرس

غرس لا يجنى ولذلك اسباب فاسدة ودواع واهية فمنها
ان يكون في النفس اغراض تختص بنوع من العلم فيدعو الغرض
الى قصد ذلك النوع ويعدل عن مقدماته كرجل يؤثر القضا
وتصدي للحكم فيقصد من علم الفقه ادب القاضي وما يتعلق
عليه من الدعوى والبينات او يحب الارتسام بالشهادة فيتعلم
داب الشهادات ليلا يصير موسوما بجهل ما يعاني فاذا ادرك
ذلك ظن انه قد حاز من العلم جمهوره وادرك منه مشهوره ولم
ير ما بقي منه الا غامضا طلبه عنا وعويصا استخراجه فيا
لقصور همته على ما ادرك لان بعض العلم مرتبط ببعض ولكل
باب منه تعلق بما قبل فلا يقوم الاواخر الا باوايلها وقد يصح
قيام الاواخر بانفسها فيصير طلب الاواخر بترك الاوايل
تركا للاواخر والاوايل فاذا ليس يعري من لوم وان كان
تارك اللوم ه ومنها ان يحب الاشتهار بالعلم اما للتكسب
او للتجمل فيقصد من العلم ما يشتهر به من مسايل الجدل وطريق
النظر ويتعاطى علم ما اختلف فيه دون ما اتفق عليه ليناظر
على الخلاف وهو لا يعرف الوفاق ويجادل الخصوم وهو
يجهل مذهبه مخصوم ولقد رايت من هذه الطبقة عددا

تحققوا بالعلم تحقق المتكلمين واشتهروا به اشتهار المتحرين
اذا اخذوا في مناظرة الخصوم ظهر كلامهم واذا سئلوا عن
واضح مذهبهم ضلت افهامهم حتى انهم ليخبطوا في الجواب
خبط عشوا فلا يظهر لهم صواب ولا ينتقر لهم جواب ثم لا يرون
ذلك نقصا اذا احتجوا في المجالس كلاما مرصوفا ولفقوا على
المخالف حجاجا مالوفا وقد جهلوا من المذهب ما يعلمه المبتدي
ويتداوله الناشي فهم دائبا في لغط متصل وغلط متراكب
قوما منهم يرون الاشتغال بالمذهب تكلفا والاستكثار
منه تخلفا وحاجني بعضهم عليه فقال لان علم حافظ المذهب
مستور وعلم المناظر عليه مشهور فقلت وكيف يكون علم حافظ
المذهب مستورا وهو سريع الجواب كثير الصواب فقال لانه ان
لم يسئل سكت فلم يعرف والمناظر ان لم يسئل سأل فعرف فقلت
اليس اذا سئل الحافظ فاصاب بان فضله فقلت افليس اذا (قال نعم)
سئل المناظر فاخطا بان نقصه وقد قيل عند الامتحان
يكرم الرجل او يهان فامسك عن جوابي لانه ان انكر كابر المعقول
وان عرف لزمته الحجة والامساك اذعان والسكوت رضا
ولان ينقادا الى الحق اولى من ان يسفه الباطل وهذه طريقة

من

من يقول عرفوني وهو غير عروف ولا معروف ويبعد من
لا يعرف العلم ان يعرف به وقد قال زهير شعر
ومهما يكن عند امرء من خليقه وان خالها تخفى على الناس تعلم
ومن اسباب التقصير ايضا ان يغفل عن التعلم في الصغر ثم يشتغل
به في الكبر فيستحي ان يبتدي بما يبتدي به الصغير ويستنكف
ان يساويه الحدث فيبدا باواخر العلوم واطرافها ويهتم بحواشيها
واواخرها ليتقدم على الصغير المبتدي ويساوي الكبير المنتهي
وهذا ممن قد رضي بخداع نفسه وقنع بمداهنة حسه لان
معقوله ان احس معقول كل ذي حس يشهد بفساد هذا التصور
وينطق باختلال هذا التخيل لانه شي لا يقوم في وهم وجهل
ما يبتدي به المتعلم اقبح من جهل ما ينتهي اليه العالم وقد قال
الشاعر ترق الى صغير الامر حتى يرقيك الصغير الى الكبير
فيعرف بالتفكر في صغير كبيرا بعد معرفة الصغير
ولهذا المعنى واشباهه كان التعلم في الصغر احمد وروى
هرون بن سالم في نسخة مروان عن اسمعيل ابن ابي الدرداء
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذي يتعلم العلم
في صغره كالنقش على الحجر والذي يتعلم في كبره كالذي يكتب

على الما وقال علي ابن ابي طالب عليه السلام قلب الحدث كالارض
الخاليه ما القي فيها من شي قبلته وانما كان كذلك لان الصغير
افرغ قلبا واقل شغلا وايسر تبدلا واكثر تواضعا وقد قيل
في منثور الحكم المتواضع من طلاب العلم اكثرهم علما كما ان
المكان المنخفض اكثر البقاع ما فاما ان يكون الصغير اضبط
من الكبير اذا عري من هذه الموانع واوعا منه اذا خلا من هذه
القواطع فلا ه وحكي ان الاحنف بن قيس سمع رجلا يقول التعلم
في الصغر كالنقش على الحجر فقال الاحنف الكبير اكثر عقلا ولكنه
اكثر شغلا ولعمري لقد فحص الاحنف عن المعنى ونبه على العله
لان قواطع الكبير كثيره فمنها ما ذكرنا من الاستحياء ه وقد
قيل في منثور الحكم من رق وجهه رق علمه وقال الخليل ابن
احمد يرتع الجهل بين الحيا والكبر في العلم ومنها وفور شهواته
وتقسم افكاره وقد قال الشاعر ه

صرف الهوى عن ذي الهوا عزيز ان الهوى ليس له تمييز

وقال بعض البلغاء القلب اذا علق كالرهن اذا غلق ه ومنها
الطوارق المزعجه والهموم المذهله وقد قيل في منثور الحكم
الهم قيد الحواس وقال بعض البلغاء ما بلغ اشده لاقي من
العيش

العيش اشده ه ومنها كثره اشغاله وترادف حلاله حتى
انها لتستوعب زمانه وتستنفذ ايامه ولذلك قيل تفقهوا قبل
ان تسودوا ه وقد قال بزرجمهر الشغل مجهده والفراغ مفسده
فينبغي لطالب العلم ان لا يني في طلبه وينتهز الفرصه به فربما شح
الزمان بما سمح وضن بما منح ويبتدي العلم باوله وثانيه من مدخله
ولا يشتغل بطلب ما لا يضر جهله فيمنعه ذلك من ادراك ما
لا يسع جهله فان لكل علم فضولا مذهله وشذورا مشغله ان صرف
اليها نفسه قطعته عما هو اهم منها ه وقد قال ابن عباس العلم
اكثر من ان تحصي فخذوا من كل شي احسنه ه وقال المامون من لم
يكن من العلم بارعا فبطون الصحف اولى به من قلوب الرجال
وقد قال بعض الحكما اترك ما لا يعنيك تدرك ما يعنيك ولا ينبغي
ان يدعوه ذلك الى ترك ما استصعب عليه استعارا لنفسه
ان ذلك من فضول علمه واعذارا لها في ترك الاشتغال به
فان ذلك مطيه النوكي وعذر المقصرين ومن اخذ من العلم
ما تسهل وترك منه ما تعذر كان كالقانص اذا امتنع عليه
الصيد تركه فلا يرجع الا خائبا اذ ليس يرى الا ممتنعا كذلك
العلم كله صعب على من جهله سهل على من علمه لان معانيه التي

يتوصل اليها مستودعه في كلام مترجم عنها وكل كلام مستعمل
فهو يجمع لفظا مسموعا ومعنى مفهوما فاللفظ كلام يعقل
بالسمع والمعنى تحت اللفظ يفهم القلب ٥ وقد قال بعض الحكماء
العلوم مطالعها من ثلثه اوجه قلب مفكر ولسان معبر
وبيان مصور واذا عقل الكلام سمعه فهم معانيه نقله
واذا فهم المعاني سقطت عنه كلفه استخراجها وبقا عنه
معاناه حفظها واستقرارها لان المعاني حفظها بعد الفهم
انسب واذا ذكرها بعد الانس بست ٥ وقد قال بعض
العلما من اكثر المذاكره بالعلم لم ينس ما علم واستفاد ما لم يعلم
وقال الشاعر ٥

اذا لم يُذكر ذوا العلوم بعلمه ولم يستفد علما نسي ما تعلما
فكم جامع للكتب في كل مذهب يزيد مع الايام في جمعها عما

وان لم يفهم معاني ما سمع كشف عن السبب المانع منها ليعلم
العله في تعذر فهمها فان بمعرفه اسباب الاشيا وعللها يصل
الى تلافي ما شذ وصلاح ما فسد وليس يخلو السبب المانع
من ذلك من ثلثه اقسام اما ان يكون لعله في الكلام المترجم
واما ان يكون لعله في المعنى المستودع واما ان يكون لعله
في

في السامع مع المستخرج فان كان السبب المانع من فهمها العله في الكلام
المترجم عنها لم يخل ذلك من ثلثه احوال احدها ان يكون
لتقصير اللفظ عن المعنى فيصير تقصير اللفظ عن ذلك المعنى سببا
مانعا من فهم ذلك المعنى وهذا قد يكون من احد وجهين
اما من حصر المتكلم وعيه واما من بلادته وقله فهمه والحال الثا نيه
ان يكون بزياده على المعنى فتصير الزياده عنه مانعه فهم المقصود
منه وهذا قد يكون من احد وجهين اما من هذر المتكلم
واهذاره واما لسوطنه بفهم سامعه والحال الثالثه ان يكون
لمواضعه يقصدها المتكلم بكلامه فاذا لم يعرفها السامع
لم يفهم معانيها فاما تقصير اللفظ وزيادته فمن الاسباب الخاصه
دون العامه لانك لست تجد ذلك عاما في كل كلام وانما تجد
في بعضه فان عدلت عن الكلام المقصر الى المستوفا وعن الزايد
الى الكافي ارحت نفسك من تكلف ما يكد خاطرك وان
اقمت على استخراجه اما لضروره دعتك اليه عند اعواز
غيره او لحميه داخلتك عند تعذر فهمه فانظر في سبب
الزياده والتقصير فان كان التقصير لحصر والزياده
لهذر سهل عليك استخراج المعنى منه لان ما له من الكلام

محصول لا يجوز ان يكون المحتمل منه اكثر من الصحيح وفي
الاكثر على الاقل دليل فان كانت زيادة اللفظ على المعنى
لسوطن المتكلم بفهم السامع كان استخراجه اسهل وان كان
تقصير اللفظ عن المعنى لسوء فهم المتكلم فهو اصعب الامور حالا
وابعدها استخراجا لان ما لم يفهمه متكلمك فانت من فهمه
ابعد الا ان يكون بفرط ذكايك وجوده خاطرك تبينه
باشارته على استنباط ما عجز عنه واستخراج ما قصر فيه
فيكون فضيلة الاستيفا لك وحق التقدم له دون واما المواضعه
فضربان عامه وخاصه فاما العامه فهي مواضعة العلما
فيما جعلوه الفاظا يستغني المتعلم عنها ولا يقف على معنى
كلامهم الا بها كما جعل المتكلمون الجواهر والاعراض والاجسام
القابا تواضعوها لمعان اتفقوا عليها ولست تجد من العلوم
علما يخلو من هذا وهذه المواضعه العامه تسمى عرفا واما
الخاصه فمواضعة الواحد تقصد بباطن كلامه غير ظاهره
فان كانت في الكلام كانت رمزا وان كانت في الشعر كانت
لغزا فاما الرمز فلست تجده في علم معنوي ولا في كلام
لغوي وانما تختص به غالبا باحد شيئين اما بمذهب سيء
لحفه

لحفه معتقده فنجعل الرمز به سببا لتطلع النفوس اليه
واحتمال التاويل فيه سببا لدفع التهمه عنه واما لما يدعي
اربابه انه علم معوز وان ادراكه بديع معجز كالصبغه التي
وضعها اربابها اسما لعلم الكيميا فرمزوا باوصافه واخفوا
معانيه ليوهموا الشح به والاسف عليه خديعه للعقول
الواهيه والارا الفاسده وقد قال الشاعر

منعت شيا فاكثرت الولوع به واحب شي الى الانسان ما منعا
وليكونوا برا من عهده ما قالوا اذا جرت ولو كان ما تضمن
هذين النوعين واشباههما من الرموز معنى صحيحا وعلما
مستفادا لخرج من الرمز الخفي الى العلم الجلي فان اغراض
الناس مع اختلاف اهوايهم لا يتفق على ستر سليم واخفا مفيد
وقال الشاعر

الستر دون الفاحشات ولا يلقاك دون الخير من ستر
وربما استعمل الرمز من الكلام فيما يراد تفخيمه من المعاني
وتعظيمه من الالفاظ ليكون احلا في القلوب موقعا واجل
في النفوس موضعا فيصير بالرمز سايرا وفي الصحف مخلدا
كالذي حكي عن فيثاغورس في وصاياه المرموزه انه قال

احفظ ميزانك من البذي واوزانك من الصدي يريد بحفظ الميزان
من البذي حفظ اللسان من الخنا وبحفظ الاوزان من الصدي
حفظ العقل من الهوي فصار بهذا الرمز مستحسنا ومدونا ولو
قاله باللفظ الصريح والمعني الصحيح لما سارعته ولا استحسن
منه وعلة ذلك ان المحجوب عن الافهام كالمحجوب عن الابصار
فيما يحصل له في النفوس من التعظيم وفي القلوب من التفخيم
وما ظهر منها ولم يحتجب هان واسترذل وهذا انما يصح استعماله
فيما قل وهو باللفظ الصريح مستثقل فاما العلوم المنتشرة
التي تتطلع النفوس اليها فقد استغنت بقوة الباعث عليها وشدة
الداعي اليها عن الاستدعا اليها برمز مستخلي ولفظ مستغرب
بل ذلك منفر عنها لما في التشاغل باستخراج رموزها من الابطا
عن دركها وتصور معانيها فهذا حال الرمز واما اللغوي ففي
تحدي اهل الكلام الفراغ وشغل ذوي البطالة ليتنافسوا في
تباين قرائحهم ويتفاخروا في سرعة خواطرهم فيستشحذوا خواطر
قد منحوا صحتها فيما لا يجدي نفعا ولا يفيد علما فهم كاهل الصراع
الذين قد صرفوا ما منحوا من صحة اجسادهم الي صراع كدود
يصرع عقولهم ويهد اجسامهم لا يكسبهم حمدا ولا يجدي عليهم
نفعا

انظر الي قول الشاعر حيث يقول

رجل مات وخلف رجلا ابن ام ابن ابي اخت ابيه
معه ام بني اولاده وابا اخت بني عم اخيه

اخبرني عن هذين البيتين وقدر وعك صعوبة ما تضمنهما من
السوال اذا استدلك الفكر في استخراجه فعلمت انه اراد ميتا خلف ابا
وزوجه وعما ما الذي افاد من العلم ونفي عنك من الجهل المست
بعد علمه بجهل ما كنت جاهلا من قبله ولو ان السايل قلب السوال واخر
ما قدم وقدم ما اخر لكنت في الجهل به قبل استخراجه كما كنت
بالجهل في الاول وقد كددت فكرك واتعبت خاطرك ثم لا تعلم
ان يرد عليك مثل هذا فيما تجهله فتكون فيه كما كنت فيما
قبله فاصرف تشاغلك تولى الله رشدك عن علوم النوكي
وتكلف البطالين فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ثم اجعل ما
من الله به عليك من صحة القريحة وسرعة الخاطر مصروفا
الي علم ما يكون انفاق خاطرك فيه محمودا وكد فكرك
فيه مشكورا فقد روي سعيد بن ابي هند عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نعمتان مغبون فيهما

كثير من الناس الصحه والفراغ ونحن نستعيذ الله من ان
نغير فضل نعمته علينا ونجهل نفع احسانه الينا وقد قيل
في منثور الحكم من الفراغ يكون الصبوه وقال بعض البلغاء
من امضى يومه في غير حق قضاه او فرض اداه او مجد اثله او
حمد حصله او خير اسسه او علم اقتبسه فقد عق يومه ومن ظلم
نفسه وقال بعض الشعراء

لقد هاج الفراغ عليك شغلا واسباب البلاء من الفراغ

فهذا تعليل ما في الكلام من الاسباب المانعه من فهم معانيه
حتى خرج بنا الاستيفا الى الاطاله والكشف الى الاغماض واما
القسم الثاني وهو ان يكون السبب المانع من فهم السامع لعله
في المعنى المستودع فلا يخلوا حال المعنى من ثلثه اقسام اما ان
يكون مستقلا بنفسه او يكون مقدمه لغيره او تكون نتيجه من
غيره فاما المستقل بنفسه فضربان جلي وخفي فاما الجلي فهو
يسبق الى فهم متصوره من اول وهله وليس هو من اقسام
ما يشكل على ذي تصور واما الخفي فيحتاج في ادراكه
الى زياده تامل وفضل معاناه ليتجلى عما اخفى وينكشف عما
اغمض وباستعمال الفكر فيه تكون الارتياض وبالارتياض
به

به يسهل منه ما استصعب ويقرب منه ما بعد فان للرياضه
جراه وللدربه تاثيرا فاما ان يكون مقدمه لغيره فضربان
احدهما ان تقوم المقدمه بنفسها وان تعدت الى غيرها فيكون
كالمستقل بنفسه الى تصوره وفهمه وان كان مستفيدا بالنتيجه
والثاني ان يكون مفتقرا الى نتيجته فيتعذر فهم المقدمه الا
بما يتعقبها من النتيجه لانها تكون بعضا منه وتبعيض المعنى
اشكل له وبعضه لا يغني عن بعض كله واما ما كان من نتيجه
لغيره فهو لا يدرك الا باوله ولا يتصور على حقيقته الا المقد منه
والاشتغال به قبل المقدمه عنا واتعاب الفكر في استنباطه
قبل قاعدته اذا فهذا يوضح تعليل ما في المعاني من الاسباب
المانعه لفهمها واما القسم الثالث وهو ان يكون السبب
المانع لعله في المستمع فذلك ضربان احدهما من ذاته والثاني
من طارئ طرى عليه فاما ما كان من ذاته فيتنوع نوعين
احدهما ما كان مانعا من تصور المعنى وفهمه فهو البلاده
وقله الفطنه وهو الدا العيا وقد قال بعض الحكما اذا فقد
العالم الذهن قل على الاضداد اذا احتجاجه وكثر الى الكتب
احتياجه وليس لمن بلى به الا الصبر والاقلال لانه على

القليل اقدر وبالصبر احري ان ينال ويظهره وقد قال بعض
الحكما قدم لحاجتك بعض لجاجتك وليس يقدر على الصبر من هذه
حاله الا ان يكون غالب الشهوه بعيد الهمه فيشعر قلبه بالصبر
لقوه شهوته وتكلف جسده احتمال التعب لبعد همته فاذا تلوح له
المعنى بمساعده الشهوه اعقبه ذلك لجاج الاملين ونشاط المدركين
فقل عنده كل كثير وسهل عليه كل عسير وقد روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال انكم لا تنالون ما تحبون الا بالصبر
على ما تكرهون ولا تبلغون ما تهوون الا بترك ما تشتهون
وقيل في منثور الحكم اتعب قدمك فكم تعب قدمك وقال بعض
بعض البلغا اذا اشتد التكلف هانت الكلف وانشد بعض اهل
الادب ما ذكر انه لعلي ابن ابي طالب رضي الله عنه

لا تعجزن فلا تدخلك معجزه فالنجح يهلك بين العجز والضجر

واما المانع من حفظه بعد تصوره وفهمه فهو النسيان الحادث
عن غفله التقصير واهمال التواني فينبغي لمن بلي به ان
يستدرك تقصيره بكثره الدرس ويوقظ غفلته بادامه النظر
فقد قيل لن يدرك العلم من لا يطيل درسه ويكد نفسه
وكثره الدرس كدود لا يصبر عليه الا من يري العلم مغنما والجهاله
مغرما

مغرما فيحتمل تعب الدرس ليدرك راحه العلم وينفي عنه معره
الجهل فان نيل العظيم بامر عظيم وعلى قدر الرغبه يكون الطلب
وبحسب الراحه يكون التعب وقد قيل طلب الراحه قله الاستراحه
وقال بعض الحكما اكمل الراحه ما كانت عن كد التعب واعز العلم
ما كان عن ذل الطلب وربما استثقل المتعلم الدرس والحفظ واتكل
بعد فهم المعاني على الرجوع الى الكتب والمطالعه عند الحاجه اليها
فلا يكون الا كمن اطلق ما صاده ثقه بالقدره عليه بعد الامتناع
منه فلا تعقبه الثقه الا خجلا والتفريط الا ندما وهذه حال قد
تدعو اليها احد ثلثه اشيا اما الضجر من معاناه الحفظ ومراعاته
وطول الامل في التوفر عليه عند نشاطه وافساد الراي في عزيمته
وليس يعلم ان الضجور خايب وان الطويل الامل مغرور وان
الفاسد الراي مصاب والعرب تقول في امثالها حرف في قلبك
خير من الف في كتبك وقالوا لا خير في علم لا يعبر معك الوادي
ولا يعمر بك النادي وانشدت عن الربيع للشافعي رضي الله عنه

علمي معي حيثما يممت يتبعني قلبي وعاء له لا بطن صندوق
ان كنت في البيت كان العلم فيه معي او كنت في السوق كان العلم في السوق

وربما اعتنى المتعلم بالحفظ من غير تصور ولا فهم حتى يصير حافظا

لا لفاظ المعاني فيما يتلونها ولا يتصورها ولا يفهم ما تضمنته يروى
بغير روية ويخبر عن غير خبرة فهو كالحامل الذي لا يدفع شبهة
ولا يؤيد حجة ه وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
همة السفها الرواية وهمة العلما الرعاية ه وقال ابن عباس مسعود
كونوا للعلم رعاه ولا تكونوا له رواه فقد يرعوي من لا يروي
ويروي من لا يرعوي وحدث الحسن البصري بحديث فقال له
رجل يا ابا سعيد عمن قال ما تصنع بعمن اما انت فقد نالتك عظته
وقامت عليك حجته وربما اعتمد على حفظه وتصوره واغفل تقييد
العلم في كتبه ثقة بما استقر في نفسه وهذا خطا منه لان الشك
معترض والنسيان طاري ه وقد روى انس ابن مالك عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال قيدوا العلم بالكتاب وروي ان رجلا
شكى الى النبي صلى الله عليه وسلم النسيان فقال استعن بيدك
اي اكتب حتى ترجع اذا نسيت الى ما كتبت ه وقال الخليل ابن احمد
اجعل ما في الكتب راس المال وما في قلبك للنفقة ه وقال
مهبوذ لولا ما عقدته الكتب من تجارب الاولين لانحل مع النسيان
عقود الاخرين ه وقال بعض البلغا ان هذه الاداب نوافر تند
عن عقل الاذهان فاجعل الكتب عليها حماه والاقلام لها رعاه واما الطاري

فنوعان

فنوعان احدهما شبه يعترض المعنى فيمنع من تصوره ويدفع عن
ادراك حقيقته فينبغي ان يزيل تلك الشبه عن نفسه بالسوال
والنظر ليصل الى تصور المعنى وادراك الحقيقة ولذلك قال
بعض العلما لا تخل من المذاكرة فتعود عقيما ولا يعف طبعك من
المناظرة فتصير سقيما وقال بشار ابن برد
شفا العما طول السوال وانما دوام العمى طول السكوت على الجهل
والثاني انكار يعارض الخاطر فيذهل عن تصور المعنى وهذا سبب
قل ما يعري منه احد لا سيما فيمن انبسطت اماله واتسعت امانيه
وقد يقل فيمن لم يكن له في غير العلم ارب ولا فيما سواه همة فان طرات
على الانسان لم يقدر على مكابرة نفسه على الفهم وغلبة قلبه على التصور
لان القلب مع الاكراه اشد نفورا وابعد قبولا وقد جا الاثر
بان ~~الاثر~~ القلب اذا اكره عمي ولكن يعمل في دفع ما طرا عليه
من هم مذهل او فكر قاطع ليستجيب له القلب مطيعا وقد قال الشاعر
وليس بمغن في المودة شافع اذا لم يكن بين الضلوع شفيع
وقال بعض الحكما ان لهذه القلوب تنافرا كتنافر الوحش فتالفوها
بالاقتصاد في التعلم والتوسط في التقويم ليحسن طاعتها ويدوم
نشاطها فهذا تعليل ما في المستمع من الاسباب المانعة من فهم المعاني

وها هنا قسم رابع يمنع من معرفه الكلام وفهم معانيه ولكنه قد
يعري من بعض الكلام فلذلك لم يدخله في جمله اقسامه ولم يستحق
الاخلال بذكره وهو الخط لان في الكلام ما كان مسموعا لا يحتاج الي
فهمه الي تامل الخط به والمانع من فهمه هو على ما ذكرنا من اقسامه
ومنه ما كان مستودعا بالخط محفوظا بالهايه ماخوذا بالاستخراج
وكان الخط حافظا له ومعبرا عنه ٥ وقد روي عن ابن عباس في
قوله تعالي او اثاره من علم ان كنتم صادقين قال المعني الخط وروي
عن مجاهد في قوله تعالي يوتي الحكمه من يشا قال الخط ومن يوتي
الحكمه فقد اوتي خيرا كثيرا يعني الخط والعرب تقول الخط احد
اللسانين وحسنه احد الفصاحتين ٥ وقال جعفر ابن محمد الخط سمط
الحكمه به يفصل شذورها وقال ابن المقفع اللسان مقصور على
القريب الحاضر والقلم على الشاهد والغايب وهو للغابر والكاين
مثله للقايم الذاهن وقال حكيم الرومي الخط هندسه روحانيه
وان ظهر باله جسدانيه وقال حكيم العرب تقول الخط اصل في الروح
وان ظهر بحواس الجسد واختلف في اول من كتب الخط فذكر كعب
الاحبار ان اول من كتب ادم عليه السلام كتب ساير الكتب قبل موته
بثلثمايه سنه في طين ثم طبخه فلما غرقت الارض في زمن نوح بقيت
الكاتب

الكاتبه فاصاب كل قوم دابهم وبقي الكتاب العربي الي ان خص الله
تعالي به اسمعيل فاصابها وتعلمها وحكى ابن قتيبه ان اول من كتب
ادريس وكانت العرب تعظم قدر الخط وتعده من اجل نفع حتى قال
عكرمه بلغ فدا اهل بدر اربعه الف درهم حتى ان الرجل ليفادي به
على ان يعلم الخط لما هو مستقر في نفوسهم من عظم خطره وجلاله قدره
وظهور نفعه واثره وقد قال الله تعالي لنبيه صلى الله عليه وسلم اقرا
وربك الاكرم الذي علم بالقلم فوصف نفسه بان علم بالقلم كما وصف
نفسه بالكرم واعتد بذلك في نعمه العظام ومن اياته الجسام
حتى اقسم به في كتابه فقال نون والقلم وما يسطرون فاقسم بالقلم
كما اقسم بما يخط بالقلم واختلف في اول من كتب بالعربيه فذكر كعب
الاحبار ان اول من كتب بها ادم عليه السلام ثم وجدها بعد الطوفان
اسمعيل عليه السلام وحكى ابن عباس ان اول من كتب بها ووضعها
اسمعيل عليه السلام على لفظه ومنطقه وحكى عروه ابن الزبير
ان اول من كتب بها قوم من الاوايل اسماوهم ابجد وهواز وحطي
وكلمن وسعفص وقراشيات وكانوا ملوك مدين وحكى
ابن قتيبه في المعارف ان اول من كتب بالعربيه مرامر ابن مروه
من اهل الانبار من الانبار نشت ٥ وحكى المدايني ان اول

من كتب بها مرامر ابن مروه واسلم ابن سدره وعامر ابن جدره فرامر
وضع الصور واسلم فصل ووصل وعامر وضع الاعجام ولما كان
الخط بهذه الحال وجد على من اراد حفظ العلم ان يعنا بامرين
احدهما تقويم الحروف على اشكالها الموضوعه لها والثاني ضبطه
ما اشتبه منها بالنقط والاشكال المميزه لها ثم ما زاد على هذين
من تحسين الخط وملاحه نظمه فانما هو زياده حذق بصنعته
وليس بشرط في صحته وقال على ابن عبيده حسن الخط لسان
اليد وبهجه الضمير وقال ابو العباس المبرد رداه الخط زمانه
الادب وقال عبد الحميد البيان في اللسان والبيان وانشدني
بعض اهل العلم لاحد شعرا البصره

اعذر اخاك على رداله خطه • واعفر ان لم تجوده ضبطه
فاذا ابان عن المعاني لم يكن • تحسينه الا زياده شرطه
واعلم بان الخط ليس يراد من • تركيبه الا تبيين سمطه

واعلم ان الخط مراتب كتبه الي تحسين خطه ومحل ما زاد على الخط
المفهوم من تصحيح الحروف حسن الصوره ومحل ما زاد على الكلام
المفهوم من فصاحه الالفاظ وصحه الاعراب وكذلك قالت
العرب حسن الخط احدى الفصاحتين وكما انه لا يعذر من اراد

التقدم

التقدم في الكلام ان يطرح الفصاحه والاعراب وان فهم وافهم
كذلك لا يعذر من اراد التقدم في الخط ان يطرح تصحيح
الحروف وتحسين الصور وان فهم وافهم وربما تقدم بالخط من
كان الخط جل فضايله واشرف خصايله حتى صار علما مشهورا
وسيدا مذكورا غير ان العلما اطرحوا صرف الهمه الى تحسين
الخط لانه يشغلهم عن العلم ويقطعهم عن التوفر عليه ولذلك
تجد خطوط العلما في الاغلب رديه لا تلحظ الا من اسعده القضا وقد
قال الفضل ابن سهل من سعاده المرا ان يكون ردي الخط ليكون
الزمان الذي يفنيه بالكتابه يشغله بالحفظ والنظر وليست
رداه الخط هي السعاده وانما السعاده ان لا تكون له صارف عن العلم
وعاده ذي الخط الحسن ان يتشاغل بتحسين خطه عن العلم فمن
هذا الوجه صار بزياد خطه سعيدا وان لم تكن رداه الخط هي
سعاده واذا كان ذلك كذلك فقد تعرض للخط اسباب تمنع
من قراته ومعرفته كما يعرض للكلام اسباب تمنع من فهمه وصحته
والاسباب المانعه من قراه الخط فهم ما تضمنه قد يكون من ثمانيه
اوجه احدها اسقاط من اثنا الكلام يصير الباقي بها مبتورا
لا يعرف استخراجه ولا يعرف معناه هذا يكون اما من سهو الكاتب

واما من فساد نقله وهذا يسهل استنباطه على من كان مرتاضا
بذلك النوع فيستدل بحواشي الكلام وما سلم منه على ما سقط
وافسد لاسيما اذا قل لان الكلمه تستدعي ما يليها ومعرفه المعنى
توضح عن الكلام المترجم عنه فاما من كان قليل الارتياض
بذلك النوع فانه يصعب عليه استنباط المعنى منه لاسيما اذا كان
كثيرا لانه يحتاج في فهم المعاني الى الفكر والرويه فيما قد استخرجه
بالكتبه واذا هو لم يعرف تمام الكلام المترجم عن المعنى قصر فهمه
عن دراكه وضل فكره عن استنباطه والوجه الثاني زياده الفاظ
في اثنا الكلام يشكل بها معرفة الصحيح عن الزايد من معرفه السقيم
بالزايد فيصير الكل مشكلا وهذا لا يكاد يوجد كثيرا لان يقصد
الكاتب تعميه كلامه فيدخل في اثنايه ما يمنع من فهمه فيصير ذلك
رمزا يعرف بالمواضعة وانما وقوعه سهو فقد يكون بالكلمه والكلمتين
وذلك لا يمنع من فهمه على المرتاض وغيره والوجه الثالث اسقاط
حروف من اثنا الكلمه تمنع من استخراجها على الصحه وقد يكون
هذا تاره من السهو فيقل وتاره من حروفها استخراج على الصحيح
وتاره من ضعف الهجاء فيكثر القول فيه كالقول في الوجه الاول
والوجه الرابع زياده حروف في اثنا الكلمه تشكل بها معرفة الصحيح
م

من حروفها وهذا يكون تاره من سهو الكاتب فيقل ولا يمنع استخراج
من الصحيح ويكون تاره لتعميه ومواضعه يقصد بها الكاتب اخفا غرضه
فيكثر كالتراجم ويكون القول فيه كالقول في الثاني والوجه
الخامس وصل الحروف المفصوله وفصل الحروف الموصوله فيدعو ذلك
الى الاشكال لان الكلمه يشتبه عليها وصل حروفها ويمنع فصلها من
مشاركه غيرها فان كان ذلك من سهو قل فسهل استخراجه وان
كان ذلك قلة معرفة بالخط او مشقا يسبق به اليد كثر فصعب
استخراجه الا على المرتاض به وكذلك قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
شر الكتابه المشق كما شر القراءه الهذرمه وان كان التعميه والرمز
لم يعرف الا بالمواضعه والوجه السادس تغيير الحروف
عن اشكالها وابدالها باغيارها حتى يكتب الحا على شكل اليا
والصاد على شكل الرا وهذا لا يكون في رموز التراجم لا يقف عليه
الا بالمواضعه الا لمن زاد فيه الذكا فقدر على استخراج المعما والوجه
السابع ضعف الخط عن تقويم الحروف على الاشكال الصحيحه وابانتها
على الاوصاف الحقيقه حتى لا تكاد الحروف تتمايز عن اغيارها حتى
تصير العين الموصوله كالفا والمفصوله كالحا وهذا يكون في رداءة
الخط وضعف اليد واستخراج ذلك يمكن بفضل المعاناه وشدة

التامل وان كان ربما اضجر قاريه وا وهي معانيه وقيل ان الخط
الحسن ليزيد في الحروف وضوحًا والوجه الثامن اغفال النقط
والشكل الذي يتميز بها الحروف المشتبهه وهذا ايسر امرًا واخف حالًا
لان من كان متميزًا بصحة الاستخراج ومعرفة الخط لم تخف عليه
معرفة الخط وفهم ما تضمنه مع اغفال النقط والاشكال بل قد استقبح
ذلك في المكاتبات وراوه من تقصير الكاتب او سوء ظنه بفهم المكاتب
وكان استقباحهم له في مكاتبة الروساء اكثر وقد حكى قدامه
ابن جعفر ان بعض الكتاب الدواوين حاسب عاملًا فشكا العامل
منه الى عبيد الله ابن جعفر ابن سلمى وكتب رقعه يذكر فيها احتجاجا
لصحة دعواه ووضوح شكواه فوقع فيها عبيد الله ابن سليمن هذا
هذا فاخذها العامل وقراها فظن ان عبيد الله اراد هذا هذا اثباتًا
لصحة دعواه وصدق قوله كما يقال في اثبات الشي هو هو فحمل الرقعه
الى كاتب الديوان واراه خط عبيد الله وقال له ان عبيد الله قد
صدق قولي وصح ما ذكرت فخفي على الكاتب ذلك واطيف به على
كتاب الدواوين فلم يقفوا على مراد عبيد الله ورد اليه ليسال عن مراده
به فسدد عبيد الله الكلمه الثانيه وكتب تحتها والله المستعان استعظاما
منه لتقصيرهم في استخراج مراده حتى احتاج الى ابانته بالشكل فهذه
حال

حال
الكتاب في استقباحهم اعجام المكاتبات بالنقط والشكل فاما غير
المكاتبات من سائر العلوم فلم يروا قبيحًا بل استحسنوه لاسيما في
كتب الادب التي يقصد بها معرفة صيغة الالفاظ وكيفية مخارجها
مثل كتب النحو واللغه والشعر الغريب فان الحاجه الى ضبطها ٥
بالشكل والاعجام اكثر وهي مما سواه من العلوم ايسر وقد قال النواوي
الخطوط المعجمه كالبرود المعلمه وقال بعض البلغاء اعجام الخط يمنع من
استعجامه وشكله يومن من اشكاله وقال بعض الادباء رب علم لم تعجم
فصوله فاستعجم محصوله وكما استقبح الكتاب الشكل والاعجام في
المكاتبات وان كان في كتب العلوم مستحسنًا فلذلك استحسنوا
مشق الخط في المكاتبات وان كان في كتب العلوم مستقبحا وسبب ذلك انهم
لفرط ادلالهم بالصنعه وتقدمهم في الكتابه يكتفون بالاشاره
ويقتصرون على التلويح ويرون الحاجه الى استيفاء شروط
الابانه تقصيرًا ولفضل ما يعتقدونه من التقدم بهذه الحال
راوا ما بته عليه من سواد المداد اثرًا جميلًا وعلى الفضل والتخصيص
دليلًا ٥ وحكى ان عبيد الله ابن سليمن راى على بعض ثيابه
اثر صفره فاخذ مداد الدواه فطلاه ثم قال المداد بنا احسن
من الزعفران وانشد ٥ ٥ ٥

انما الزعفران عطر العذاري ومداد الدواه عطر الرجال

فهذه جمله كافيه في الابانه عن الاسباب المانعه من فهم الكلام
ومعرفه معانيه لفظاً كان او خطا والله ولي التوفيق فينبغي
لطالب العلم ان يكشف عن الاسباب المانعه ان تعذر عليه
فهم المعني ليسهل عليه الوصول اليه ثم يكون بعد ذلك سايساً
لنفسه مدبراً لها في حال تعليمه فان النفس نفوراً تفضي الي تقصير
ووفوراً تؤول الي سرف وقيادها عسر ولها احوال ثلث فحال
عدل وانصاف وحال علو واسراف وحال تقصير واجحاف
فاما حال العدل والانصاف فهي ان تختلف قوي النفس من
جهتين متقابلتين طاعه مسعده وشفقه كافيه فطاعتها تمنع
من التقصير وشفقتها تصد عن السرف وهذه احد الاحوال
لان ما منع من التقصير وما صد عن السرف مستديم والنمو
اذا استدام فاخلق به ان يستكمل ه وقال بعض الحكما اياك
ومفارقه الاعتدال فان المسرف مثل المقصر في الخروج عن
الحد واما حال العلو والاسراف فهي ان تنهض النفس بقوي
الطاعه وتعدم قوي الشفقه فيبعثها اختصاص الطاعه علي
افراط الجهد وتمضي بها افراط الجهد الي عجز الكلال ويؤدبها
عجز

عجز الكلال الي الترك والاهمال فيصير الزياده نقصاناً والربح
خسراناً ه وقد قال الحكما العلم وعامل البر كآكل الطعام ان اخذ
منه قوتاً عصمه وان اسرف فيه اتخمه وربما كان فيه منيته وكالآخذ
الادويه التي يقصد فيها الشفا مجاوزه الحد فيها السم المميت ه
واما حال التقصير والاجحاف فهي ان تختص النفس بقوي
الشفقه وتعدم قوي الطاعه فتدعوها الاشفاق الي المعصيه
وتمنعها المعصيه من الاجابه فلا يطلب شارداً ولا يقبل عايداً ولا
يحفظ مستودعاً ومن لم يطلب الشارد ويقبل العايد ويحفظ
المستودع فقد الموجود ولم يجد المفقود ومن فقد ما وجد
فهو مصاب محزون ومن لم يجد ما فقد خايب مغبون وقد
قال بعض الحكما العجز مع الواني والفوت مع التواني وقد
يكون للنفس مع الاحوال الثلاث حالتان مشتركتان فتغلبه
احدي القوتين تكون للنفس طاعه واشفاق واحداهما اغلب من
الاخري وان كانت الطاعه اغلب كانت الي الوفور المجاوز امثل
وان كان الاشفاق اغلب كانت بها كنه شفقتها راض نفسه ليلب علي
احدها الاتها وقد اشار الي ما وصفناه من حال النفس الفرزدق الشاعر بقوله
لكل امرء نفسان نفس كريمه واخري يعاصيها الفتي ويطيعها

ونفسك من نفسك تشفع للذي اذا قل من احرارهن شفيعها
فان اهمل سياستها واعفل رياضتها ورام ان ياخذها بالعنف ويقهرها
بالعسف استشاطت نافره ولجت معانده فلم تنقد الى طاعه ولم
تكف عن معصيه وقال سابق البربري

اذا جرت لجوحا زدته غلقا ولجت النفس منه في تماديها
فعد عليها اذا ما نفسه جمحت باللين منك فان اللين يثنيها

فان استصعب عليه قياد نفسه ودام منه نفور قلبه مع سياستها
ومعاناه رياضتها تركها ترك راحه ثم عاودها بعد الاستراحه فان
اجابتها تسرع وطاعتها ترجع وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان القلب يموت ويحيا ولو تعقل حين وقال ابن مسعود
للقلوب شهوه واقبال وادبار وفتره فاتوها من قبل شهوتها
ولا تاتوها من قبل فتورها وقال الشاعر

وما سمي الانسان الا لنسيه ولا القلب الا انه يتقلب

واما الشروط التي يتوفر بها علم الطالب وينتهي معها كمال الراغب
مع ما يلاحظ به من التوفيق ويمد به من المعونه فتسعه شروط احدها
العقل الذي يدرك به حقايق الامور والثاني الفطنه التي
يتصور بها غوامض العلوم والثالث الذكا الذي يستقر به حفظ ما
يتصور

يتصوره وفهم ما علمه والرابع الشهوه التي يدوم بها الطلب ولا
يسرع اليه الملل والخامس الاكتفا بماده تغنيه عن كلف الطلب والسادس
الفراغ الذي يكون معه التوفر ويحصل به الاستكثار والسابع عدم
القواطع المذهله من هموم وامراض والثامن طول العمر واتساع
المده لينتهي بالاستكثار الى مراتب الكمال والتاسع الظفر بعالم
سمح بعلمه متان في تعليمه فاذا استكمل هذه الشروط التسعه فهو
اسعد طالب وانجح متعلم وقد قال الاسكندر يحتاج طالب العلم
الى اربع مده وجده وقريحه وشهوه وتمامها في الخامس معلم ناصح
(العالم)
وساذكر طرفا منها يتادب به المتعلم ويكون عليه العالم اعلم المتعلمين
ان المتعلم زمان تعلمه ملقا وتذللا ان استعملها غنم وان تركها
خرم ان التملق للعالم يظهر مكنون علمه والتذلل له سببا لادامه
صبره وباظهار مكنونه يكون الفايده وباستدامه صبره يكون
الاكثار وقد روي معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
(عبدالله ابن ع)
ليس من اخلاق المومن الملق الا في طلب العلم وقال عباس ذللت
طالبا فعززت مطلوبا وقال بعض الحكما من لم يحتمل ذل التعلم
ساعه بقي في ذل الجهل ابدا وقال بعض الفرس اذا قعدت وانت
صغير حيث تحب قعدت وانت كبير حيث لا تحب لم يعرف فضل

علمه ولیشکر له جمیل فعله فقد روت عایشة الصدیقة عن النبي
النبي صلی الله علیه وسلم انه قال من وقر عالما فقد وقر ربه
وقال علي ابن ابي طالب علیه السلام لا یعرف فضل اهل العلم الا اهل
الفضل وقال بعض الشعراء

ان المعلم والطبیب کلاهما لا ینصحان اذا هما لم یکرما
فاصبر لدائك ان جفوت طبیبه واصبر لجهلك ان جفوت معلما

ولا یمنعه من ذلك علو منزلته ان کانت له وان کان العالم خاملا
فان العلما بعلمهم استحقوا التعظیم لا بالمقدرة والمال وانشدني
بعض اهل الادب ه لا تحتقر عالما وان قصرت لحاضه في عیون رامقه
وانظر الیه بعین ذي ادب مهذب الراي في طرایقه
فالمسك بینا تراه ممتهنا بفهر عطاره وساحقه
حتی تراه في عارضي ملك او موضع التاج من مفارقه

ولکن معتقدا بانهم في رضي اخلاقهم متشبها بهم في جمیل افعالهم ه
لیصیر لها الفا وعلیها باسا ولما خالفها مجانبا فقد قال النبي
صلی الله علیه وسلم خیار شبابکم المتشبهون بشیوخکم وشرار
شیوخکم المتشبهون بشبابکم وروی ابن عمر ان النبي صلی الله علیه وسلم
قال من تشبه بقوم فهو منهم وانشدني لبعض اهل الادب ابي بکر ابن

دريد ه العالم العاقل ابن نفسه اغناه جنس علمه عن جنسه
کن ابن من شئت وکن مؤدبا فانما المرء بفضل کیسه
ولیس من تکرمه لغیره مثل من تکرمه لنفسه

ولیحذر المتعلم التبسط علی من یعلمه وان انسه والادلال علیه وان
تقدمت صحبته فقد قیل لبعض الحکما من اذل الناس فقال عالم یجري
علیه حکم جاهل ه وکلمت رسول الله صلی الله علیه وسلم جاریة من
السبي فقال لها من انت فقالت بنت الرجل الجواد حاتم فقال صلی الله
علیه وسلم ارحموا عزیزا ذل ارحموا غنیا افتقر ارحموا عالما ضاع
بین الجهال ولا یظهر له الاستکفا منه والاستغنا عنه فان ذلك
کفرا لنعمته واستخفافا بحقه وربما وجد بعض المتعلمین قوة في
نفسه لجودة ذکایه وحدة خاطره فیقصد من تعلمه بالاعنات
له والاعتراض علیه ازرا به وتبکیتا له فیکون کمن تقدم
فیه المثل السایر لابي البطحاء

اعلمه الرمایة کل یوم فلما اشتد ساعده رماني

وهذا من مصایب العلما وانعکاس حظوظهم ان یصیروا عند من
علموه مستجهلین وعند من قدموه مسترذلین ه قال صالح ابن
عبد القدوس ه وان عنا ان تعلم جاهلا فیحسب جهلا انه منك اعلم

متى يبلغ البنيان يومًا تمامه اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم
متى ينتهي عن شيء من اتى به اذا لم يكن منه عليه تندم

وقد رجح كثير من حق العالم علي حق الوالد حتى قال بعض شعرايهم

فاخر اللصفاه بالسيف وباركًا للغلام والشرف
ابا اجسادنا له لهم سبب لا نجعلنا عرايض التلف
من علم الناس كان خير اب ذاك ابو الروح لا ابو النطف

ولا ينبغي تبعثه معرفة الحق له على قبول الشبه منه ولا تدعوه
ترك الاعنات له على التقليد فيما اخذ عنه فانه ربما غلا بعض
الاتباع في عالمهم حتى يروا ان قوله دليل وان لم يستدل وان
اعتقاده حجه وان لم يحتج فيفضي بهم الامر الى التسليم له فيما
اخذوا عنه ويوول به ذلك الى التعصب فيما يصدر منه
لانه يجتهد بحسب احبها من ياخذ عنه فلا يبعد ان تبطل تلك
المقاله ان انفردت او تخرج اهلها من عداد العلما فيما
شاركت لانه قد لا يري لهم من ياخذ عنهم ما كانوا يرونه
لمن اخذوا عنه فيطالبهم بما قصروا فيه فيضعفوا عن ابانته
ويعجزوا عن نصرته فيذهبوا ضايعين في يديه واعجزه مضعوفين
ولقد رايت من هذه الطبقه رجلًا يناظر في مجلس حفل وقد

استدل

استدل الخصم عليه دلالة صحيحه وكان جوابه عنها ان قال هذه
دلالة فاسده ووجه فسادها ان شيخي لم يذكرها وما لم يذكره
الشيخ فلا خير فيه فامسك عنه المستدل تعجبًا لان شيخه كان
محتشما وقد حضرت طايفه يرون فيه مثل راي هذا
الجاهل من ثم اقبل المستدل علي فقال لي والله لقد افحمني
بجهله وصار سائر الناس المبرا من هذه الجهاله ثم بين
مستهزي او متعجب ومستعيذ بالله من جهل مغرب فهل رايت
كذلك علما اوغل في الجهل او ادل على قله العقل واذا كان
المعلم معتدل الراي فيمن ياخذ عنه متوسط الاعتقاد فيمن
يتعلم منه حتى لا تحمله الاعنات على اعراض المتكبر ولا يبعثه الغلو
الغلو على تسليم المقلدين يري المعلم من المتعنتين وسلم العلم
من المتجنين وليس كثرة السوال فيما التبس اعنانا ولا قبول ما
صح في النفس تقليدًا ه وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال العلم خزاين ومفاتيحه السوال فاسالوا رحمكم الله فانما
يوجر في العلم ثلثه القايل والمستمع والاخذ وقال صلى الله
عليه وسلم هلا سالوا اذا لم يعلموا انما شفا العي السوال
فامر بالسوال وحث عليه ونهى اخرين عن السوال وزجر عنه

فقال صلى الله عليه وسلم انها كم عن قيل وقال وكثرة السوال
واضاعة المال فانما هلك من قبلكم بكثرة السوال وليس هذا
مخالف للاول وانما امرنا بالسوال من قصد به علم ما جهل
ونهي عنه من قصد به اعنات ما سمع واذا كان السوال
في موضعه ازال الشكوك ونفا الشبهة وقد قيل لابن عباس
ثم نلت هذا العلم فقال بلسان سوول وقلب عقول وروي
نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حسن السوال
نصف العلم وانشد المبرد عن ابن ابي سليمن العنوي فسل
فسل الفقيه تكن فقيها مثله لا خير في علم بغير تدبره واذا تعسرت
الامور فاتجها وعليك بالامر الذي لم يعسره
لياخذ المتعلم حظه ممن وجد طلبته عنده وان كان بينه خامل
ولا يطلب الصيت وحسن الذكر باتباع اهل المنازل وعلو الذكر اذا
كان النفع بغيرهم اعم الا ان يستوي النفعان فيكون الاخذ عمن
اشتهر ذكره وارتفع ذكره اولى لان الانتساب اليه اجمل
والاخذ عنه اشهر وقد قال الشاعر
اذا انت لم يشهر لك علمك لم تجد لعلمك مخلوقا من الناس يقبله
وان صانك العلم الذي قد حملته اتاك له من يجتنيك ويحمله
اذا

اذا قرب منك العلم فلا تطلب ما بعد واذا استسهل عليك من
وجه فلا تطلب ما صعب واذا حمدت من خبرته فلا تطلب من
لم تخبره فان العدول عن القريب الى البعيد عنا وترك الاسهل
بالاصعب بلا والانتقال عن المخبور الى غيره خطر وقد قال علي
ابن ابي طالب عليه السلام عقبى الاخرق مضرة والمتعسف لا تدوم
له مسرة وقال بعض الحكما القصد اسهل من التعسف والكف اودع
من التكلف وربما تتبعت نفس الانسان من بعد عنه استهانة بمن
قرب منه وطلب ما صعب احتقارا لما سهل عليه وانتقل الى من
لم يخبره مللا لمن خبره فلا يدرك محبوبا ولا يظفر بطائل وقد
قالت العرب في امثالها ان العالم كالحمه ياتيها البعدا ويزهد
فيها القربا وانشدني بعض شيوخنا لمسبح ابن حاتم
لا ترى عالما يحل بقوم فيحلوه غير دار الهوان
قلما توجد السلامة والصحة مجموعتين في انسان
فاذا حلتا مكانا سحيقا فهما في النفوس معشوقتان
هذه مكة المنيعة بيت الله يسعى لحجها الثقلان
وترى ازهد البرية في الحج لها اهلها لقرب المكان
فاما ما يلزم علية العلما من الاخلاق التي هي بهم اليق ولهم الزم
فمنها التواضع ومجانبة العجب لان التواضع عطوف والعجب منفر

وهو بكل احد قبيح وبالعلماء اقبح لان الناس بهم يقتدون وكثيرا ما
يتداخلهم الاعجاب لتوحدهم بفضيلة العلم ولو انهم نظروا حق
النظر وعملوا بموجب العلم لكان التواضع بهم اولى ومجانبة العجب
بهم احرى لان العجب نقص ينافي الفضل لا سيما مع قول النبي صلى
الله عليه وسلم ان العجب لياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب
فلا يفي ما ادركوا من فضيلة العلم بما لحقهم من نقص العجب وقد
روى عبد الله ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قليل
الفقه خير من كثير العباده وكفى بالمرء علما اذا عبد الله وكفى بالمرء
جهلا اذا اعجب برايه وقال عمر الخطاب رضي الله عنه تعلموا العلم
وتعلموا للعلم السكينه والحلم وتواضعوا لمن تعلمون منه ليتواضع لكم
من تعلمونه ولا تكونوا من جبابرة العلما فلا يقوم علمكم بجهلكم وقال
بعض السلف من تكبر بعلمه وترفع وضعه الله ومن تواضع بعلمه رفعه
الله به وعلة اعجابهم انصراف نظرهم الى كثرة من دونهم من الجهال
وانصراف نظرهم عمن فوقهم من العلما فانه ليس متناه في العلم الا
وسيجد من هو اعلم منه حتى ينتهي ذلك الى الله تعالى وقيل لبعض
الحكما من يعرف كل العلم قال كل الناس وقال ما رايت مثلي ما اشا
ان القى رجلا اعلم مني الا لقيته لم يذكر الشعبي ما رايت مثلي تفضيلا
لنفسه

لنفسه فيستقبح منه وانما ذكره تعظيما للعلم عن ان يحاط به فينبغي
لمن علم ان ينظر الى نفسه بتقصير ما قصر فيه ليسلم من عجب ما ادرك
منه فقد قيل في منثور الحكم اذا علمت فلا تفكر في كثرة من دونك
من الجهال ولكن انظر من فوقك من العلما وانشدت لابن العميد

من شا عيشا هنيا يستفيد به ... فواضل العيش اقبالا وادبارا
فلينظرن الى من فوقه ادبا ... ولينظرن الى من دونه مالا

وقل ما تجد بالعلم معجبا وبما ادركه منه مفتخرا الا من كان فيه مقلا ومقصرا
لانه يجهل قدره ويحسب انه قد نال بالدخول فيه اكثره فاما من كان
فيه متوجها ومنه مستكثرا فهو يعلم من بعد غايته والعجز عن ادراك
نهايته ما يصده عن العجب به وقال الشعبي العلم ثلثه اشبار من نال
منه شبرا شمخ بانفه وظن انه ناله ومن نال منه الشبر الثاني صغرت
اليه نفسه وعلم انه لم ينله فاما الشبر الثالث فهيهات لا يناله احد ابدا
ومما انذرك به من حالي اني صنفت في الشرع كتابا جمعت له ما استطعت
من كتب الناس واجهدت فيه نفسي وكددت فيه خاطري حتى اذا
تهذب واستكمل وكدت اعجب به وتصورت اني اشد الناس اطلاعا
بعلمه حضرني وانا في مجلسي اعرابيان فسالاني عن بيع عقداه في
البادية على شروط تضمنت اربع مسايل لم اعرف لشي منها جوابا فاطرقت

منكرًا والحالي وحالهما مُعتبرًا فقال لا ما عندك فيما سألناك جوابٌ
وانت زعيمُ هذه الجماعه قلتُ لا فقال الا انها لك فانصرفا ثم ابنا من
قد تقدمه في العلم كثيرًا من اصحابي فسالاه فاجابهما مسرعًا بما اقنعهما
فانصرفا عنهُ واضين بجوابه حامدين لعلمه فبقيت مرتبكًا والحالي وحالهما
مُعتبرًا اواني لعلي مما كنت عليه من المسابل الي وفي ذلك زاجر
نصيحه ونذيرُ عظةٍ بدلك بهما قياد النفس والخفض فيهما بجناح
العجب توفيقًا منحته ورشدًا اوتيته نخوف على من ترك العجب بما
تحسن ان يدع التكلف لما لا يحسن فقد يانهى عنهما واستعاذوا
بالله منهما ومن اوضح ذلك ما استعاذ الجاحظ في كتاب البيان
حيثُ يقول اللهم انا نعوذ بك من فتنه القول كما نعوذ بك من فتنهِ
العمل ونعوذ بك من فتنه التكلف لما لا نحسن كما نعوذ بك من
العجب بما نحسن ونعوذ بك من شر السلاطه والهدر كما نعوذ بك
من العي والحصر ونحن نستعيذ الله مثل استعاذته فليس لمن
تكلف ما لا يحسن غايه ينتهي اليها ولا حد يقف عنده ومن كان
تكلفه غير محدود فاخلو به ان يضل وان يضل ه وقد روى انس
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من سُيل فافتى بغير علم فقد
ضل واضل ه وقال بعضُ الحكما من العلم ان لا يتكلم فيما لا يعلم
بكلام

بكلام من يعلم فحسبك جهلا من عقلك ان تنطق بما لا تفهم ولقد احسن
زراره ابن زيد حيثُ يقولُ

اذا ما انتهى علمي تناهيت عنده اطال فاملى او تناهى فاقصرا
ونخبرني عن غايب المرا فعله كفى الفعل عما غيب المرا مخبرا

واذا لم يكن الي الاحاطه بالعلم سبيل فلا عار ان تجهل بعضه واذا
لم يكن في جهل بعضه عار لم يقبح به ان يقول لا اعلم فيما ليس يعلم
وقد روي ان رجلًا قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي البقاع
خير واي البقاع شر فقال لا ادري حتى اسل جبريل وقال علي
ابن ابي طالب عليه السلام وابردها على القلب اذا سُيل احدكم
عما لا يعلم ان يقول الله اعلم فان العالم من عرف ان ما يعلم فيما لا يعلم
قليل ه وقال عبدالله ابن عباس رضي الله عنهُ اذا قال العالم
قول لا ادري اصيبت مقاتله وقال بعض العلما هلك من ترك لا
ادري ه وقال بعضُ الحكما ليس من فضيله العلم الاعلى بان ليست اعلم
وقال بعضُ البلغاء من قال لا ادري علم فدري ومن انتحل
ما لا يدري اهمل فهوي ولا ينبغي وان صار في طبقه العلما الا
فاضل ان يستنكف من تعلم ما ليس عنده ليسلم من التكلف له فقد
قال عيسى ابن مريم عليه السلام يا صاحب العلم تعلم من العلم ما جهلت

وعلم الجهال ما علمت ۵ وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه خمس
خذوهن عني فلو ركبتم فيهن الفلك ما وجدتموهن الا عندي الا لا
يرجون احدًا الا ربه ولا يخافن الا ذنبه ولا يستنكف ان يتعلم
ما ليس عنده واذا سيل عما لا يعلم فليقل لا اعلم ۵ ومنزلة الصبر
من الايمان كمنزلة الراس من الجسد ۵ وقال عبد الله ابن عباس رضي
الله عنه لو كان احد مكتفيًا من العلم لاكتفى منه موسى عليه السلام
لما قال هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا وقيل للخليل ابن احمد
بم ادركت هذا العلم قال كنت اذا لقيت عالمًا اخذت منه واعطيته
وقال بزرجمهر من العلم ان لا تحقر شيًا من العلم ومن العلم
، تفضيل جميع العلم وقال المنصور لشريك انى لك هذا العلم قال لم ارغب
، عن قليل استفيده ولم ابخل بكثير افيده على ان العلم يقتضي ما بقي منه
، ويستدعي ما تاخر عنه وليس للراغب فيه قناعه ببعضه وروى
، عون ابن عبد الله عن ابن مسعود انه قال منهومان لا يشبعان
، طالب العلم وطالب الدنيا اما طالب العلم فانه يزداد للرحمن رضا
، ثم قرا انما يخشى الله من عباده العلما واما طالب الدنيا فانه يزداد
، طغيانا ثم قرا كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى ولكن
مستقلا للفضيله منه ليزداد منها ومستكثرًا للنقصه فيه لينتهي
عنها

عنها ولا يقتنع في العلم بما ادرك منه لان القناعه فيه زهد
والزهد فيه ترك والترك له جهل وقد قال بعض الحكما عليك
بالعلم وبالاكثار منه فان قليله اشبه شي بقليل الخير وكثيره اشبه
شي بكثيره ولن يعيب الخير الا القله فاما كثرته فانها امنيه ۵
وقال بعض البلغا من فضل علمك استقلالك لعلمك ومن كمال عقلك
استظهارك على عقلك ولا ينبغي ان يجهل من نفسه مبلغ علمها ولا
ان يتجاوز بها قدرها ولان يكون بها مقصرًا فيذعن بالانقياد
اولى من ان يكون بها متجاوزًا فيكف عن الازدياد لان من جهل حال
نفسه كان بغيرها اجهل وقد قالت عايشه رحمها الله يا رسول
الله متى يعرف الانسان ربه فقال اذا عرف نفسه وقد قسم الخليل
احوال الناس فيما علموه او جهلوه اربعه اقسام متقابله لا تخلو
حال الانسان منها فقال الرجال اربعه رجل يدري ويدري انه
يدري فذاك عالم فاسالوه ورجل يدري ولا يدري انه يدري
فذاك ناس فذكروه ورجل لا يدري ويدري انه لا يدري
فذاك مسترشد فعلموه ورجل لا يدري ولا يدري انه لا يدري
فذاك جاهل فارفضوه وانشدني ابو الغنم الامدي
، اذا كنت لا تدري ولم تك بالذي تسايل من يدري فكيف اذا تدري

جهلت ولم تعلم بانك جاهل فمن لي بان تدري بانك لا تدري
اذا جئت في كل الامور بغمه فكن هكذا ارضا يطاك الذي يدري
ومن اعجب الاشيا انك لا تدري وانك لا تدري بانك لا تدري

لكن من سيمته العلم بعلمه وحث النفس على ان ياتمر بما يامر به
ولا يكن ممن قال الله تعالى فيه مثل الذين حملوا التوراة ثم
لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا فقد قال قتادة في قوله تعالى
وانه لذو علم لما علمناه يعني لعامل بما علم وروي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال ويل لاشاع القول ويل للمصرين الذين
يستمعون القول ولا يعملون به وروي عبد الله ابن وهب عن
سفين ان الخضر قال لموسى عليهما السلام يا ابن عمران تعلم العلم
لتعمل به ولا تتعلمه لتحدث به فيكون عليك بوره ولغيرك نوره
وقال على ابن ابي طالب عليه السلام انما زهد الناس في طلب
العلم لما يرون من قلة انتفاع من علم بما علم وقال ابو الدردا
اخوف ما اخاف اذا وقفت بين يدي الله تعالى ان يقول
قد علمت فماذا عملت وكان يقال خير من القول فاعله وخير من
الصواب قايله وخير من العلم حامله وقيل في منثور الحكم
لا ينتفع بعلمه من ترك العمل به وقال بعض العلما ثمرة العلم
العمل

العمل به وثمرة العمل به ان يوجر عليه وقال بعض الحكما خير العلم
ما نفع وخير القول ما ردع وقال بعض الادبا الصلحا العلم يهتف
بالعمل فان اجابه والا ارتحل وقال بعض الحكما خير العلم
ما نفع وخير القول ما ردع وقال بعض الادبا ثمرة العلوم العمل
بالمعلوم وقال بعض البلغاء تمام العلم استعماله ومن تمام العمل
استقلاله فمن استعمل علمه لم يخل من ارشاد ومن استقل عمله
لم يقصر عن ازدياد مراد وقال ابو تمام الطاي

ولم يحمدوا من عالم غير عامل خلاقا ولا من عامل غير عالم
راوا طرقات المجد عوجا قطيعة واقطع عجز عندهم عجز حازم

ولانه لما كان علمه حجة على من اخذ عنه واقتبسه منه حتى يلزمه العمل
به والمصير اليه كان عليه احج وله الزم لان مرتبة العمل قبل مرتبة
القول كما ان مرتبة العلم قبل مرتبة العمل وقد قال ابو العتاهيه

اسمع الى الاحكام تحملها الرواه اليك عنكا
واعلم هديت بانها حجج تكر اليك منكا

ثم ليجتنب ان يقول ما لا يفعل وان يامر بما لا ياتمر وان يسر غير ما
يظهر ولا يجعل قول الشاعر

اعمل بقولي فان قصرت في عملي ينفعك قولي ولا يضرك تقصيري

عذرا له في تقصيره فيضر وان لم يضر غيره فان اعذار النفس يغريها وتحسن
لها مساويها ومن قال ما لا يفعل فقد مكر ومن امر بما لا ياتمر فقد خدع ومن
اسر غير ما يظهر فقد نافق ه وقد روي علي ابن ابي طالب رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المكر والخديعة صاحباهما في النار على
ان امره ما لا يأتمر مطرح وان كان فيما لا ينكر من نفسه مستقبح بل ربما كان
ذلك سببا لاغرا المامور بترك ما امر به عنادا وارتكاب ما نهي عنه كيادا
حكي ان اعرابيا اتى ابن ابي ذويب فساله عن مسلة طلاق فافتاه بطلاق
امراته فقال انظر حسنا فقال قد نظرت وقد بانت منك فولى الاعرابي وهو
يقول ه اتيت ابن ذويب ابتغي الفقه عنده فطلق حتى البت تبت انامله
اطلق في فتيا ابن ذويب حليلتي وعند ابن ذويب اهله وحلايله
فظن بجهله ان لا يلزمه الطلاق بقول من لم يلتزم بالطلاق فما قولك بقول
من يحسب اشتراك الامر والمامور فيه كيف يكون مقبولا منه وهو غير
عامل به ولا قابل له كلا وقد قال احمد بن يوسف

وعامل بالفجور يامر بالبر كهاد يخوض في الظلم
او كطبيب قد شفه سقم وهو يداوي من ذلك السقم
وقال آخر
يا واعظ الناس غير متعظ ثوبك طهر اولا فلا تلم
وقال آخر
عود لسانك قلة اللفظ واحفظ لسانك انما حفظ

اياك

اياك ان تعظ الرجال وقد اصبحت محتاجا الى الوعظ

فاما الانقطاع عن العلم الى العمل والانقطاع عن العمل الى العلم
اذا عمل بموجب العلم فقد حكي عن الزهري فيه ما يغني عن تكلف
غيره وهو انه قال العلم افضل من العمل لغيره به لمن جهل والعمل
افضل من العلم لمن علم ه فاما فضل ما بين العلم وبين العبادة اذا لم
تخل بواجب ولم تقصر في فرض فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال يبعث العالم والعابد فيقال للعابد ادخل الجنة ويقال للعالم
اثبت حتى تشفع للناس ومن اداب العلما ان لا يبخلوا بتعليم ما يحسنون
ولا يمتنعوا من افادة ما يعلمون فان البخل به لوم وظلم والمنع منه حسد
واثم وكيف يسوغ لهم البخل بما منحوه جودا من غير بخل واوتوه عفوا
من غير بذل ام كيف يجوز لهم الشح بما ان بذلوه زاد ونما وان كتموه تناقص
ووهى ولو استن بذلك من تقدمهم لما وصل العلم اليهم ولانقرض عنهم
بانقراضهم ولصاروا على مرور الايام جهالا وبتقلب الاحوال وتناقصها
اراذلا وقد قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب
لتبيننه للناس ولا تكتمونه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال لا تمنعوا العلم اهله فان في ذلك فساد دينكم والتباس بصائركم
ثم قرا ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب وقرا ان الذين يكتمون

ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب
اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ه وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من كتم علماً نحسنه لجمه الله يوم القيمه بلجام من نار
وروي عن علي ابن ابي طالب عليه السلام انه قال ما اخذ الله العهد
على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ العهد على اهل العلم ان يعلموا وقال
بعض الحكما اذا كان من قواعد الحكمه بذل ما ينقصه البذل فاحرى
ان يكون من قواعدها بذل ما يزيده البذل وقال بعض العلما ان
الاستفاده نافله للمتعلم كذلك الافاده فريضه على المعلم ه وقد قيل
في منثور الحكم من كتم علما فكانه جاهل وقال خالد ابن صفوان اني
لافرح بافادتي المتعلم اكثر من فرحي باستفادتي من المعلم ثم ان بالتعليم
نفعان احدهما ما يرجوه من ثواب الله تعالى فقد جعل النبي صلى الله
عليه وسلم التعليم صدقه فقال صلى الله عليه تصدقوا على اخيكم بعلم يرشده
وراي يسدده وروي ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال تعلموا وعلموا فان اجر العالم والمتعلم سوا وقيل ما اجرهما
قال مايه مغفره ومايه درجه في الجنه والنفع الثاني زياده العلم
واتقان الحفظ فقد قال الخليل ابن احمد اجعل تعليمك دراسه
لعلمك واجعل مناظره المتعلم تنبيها على ما ليس عندك وقال ابن

المعتز في منثور الحكم النار لا ينقصها ما اخذ منها ولكن نخمدها ان
لا تجد حطبا كذلك العلم لا يفنيه الاقتباس ولكن فقد الحاملين له
سبب عدمه فاياك والبخل بما تعلمه وقد قال بعض العلما علم علمك وتعلم
علم غيرك فاذا انت قد علمت ما جهلت وحفظت ما علمت واعلم ان
المتعلمين ضربان مستدعى وطالب فاما المستدعى الى العلم فهو من
استدعاه العالم الى التعليم لما ظهر له من جوده ذكايه وبان له من
قوه خاطره فاذا وافق استدعا العالم شهوه المتعلم كانت نتيجتها درك
وظفر السعدا لان العالم باستدعايه متوفر والمتعلم بشهوته مستكثر
واما الطالب للعلم لداع يدعوه وباعث يحدوه فان كان الداعي دينيا
وكان فطنا ذكيا وجب على العالم ان يكون عليه مقبلا وعلى تعليمه
متوفرا لا يخفي عنه مكنونا ولا يطوي عنه مخزونا وان كان بليدا
بعيد الفطنه فينبغي ان لا يمنع من اليسير فيحرم ولا يحمل عليه بالكثير
فيظلم ولا يجعل بلادته ذريعه لحرمانه فان الشهوه باعثه والصبر موثر
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمنعوا العلم اهله فتظلموا
ولا تضعوه في غير اهله فتاثموا وقال بعض الحكما لا تمنعوا العلم
احدا فان العلم امنع لجانبه فاما ان لم يكن الداعي دينيا نظر
فيه فان كان مباحا كرجل دعاه الى طلب العلم حب النباهه وطلب الرياسه

فالقول فيه مقارب للقول في ثانيهم من قبل لان العلم يعطفه الى
الدين في ثاني حال وان لم يكن مستدا به في حال الاول وقد حكي
عن سفين الثوري انه قال تعلمنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا
لله وقال عبد الله ابن المبارك طلبنا العلم للدنيا فدلنا على ترك
الدنيا وان كان الداعي محصورا اكرجل دعاه الى طلب العلم شر كامن
ومكر باطن يريد ان يستعملهما في شبه دينيه وحيل فقهيه لا
تجد اهل السلامه منها مخلصا ولا عنهما مدفعا كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم اهلك امتي رجلان عالم فاجر وجاهل متعبد وقيل
يا رسول الله اي الناس شر فقال العلما اذا فسدوا فينبغي للعالم
اذا راي من هذه حاله ان يمنعه من طلبته ويصرفه عن بغيته ولا
يعينه على امضا مكره واعمال شره فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال واضع العلم في غير اهله كمقلد الخنازير اللولو والجوهر
والذهب وقال عيسى ابن مريم عليه السلام لا تقلدوا اللولو الخنزير
فالعلم افضل من اللولو ومن لا يستحقه شر من الخنزير وحكى ان
تلميذا سال عالما عن بعض العلوم فلم يفده فقيل له لم منعته فقال
لكل تربه غرس ولكل بنا اس وقال بعض الادبا ارث لروضه
توسطها خنزير وابك لعلم حواه شرير وينبغي للعالم ان يكون له فراسه
يتوسم

يتوسم بها المتعلم ليعرف بها مبلغ طاقته وقدر استحقاقه ليعطيه
قدر ما يحتمله بذكايه او يضعف عنه ببلادته فانه اروح للعالم وانجح
للمتعلم وقد روي ثابت عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه
ان لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
اذا انا لم اعلم ما لم ار فلا علمت ما رايت وقال عبد الله ابن الزبير لا عاش
بخير من لم ير برايه ما لم ير بعينه وقال ابن الرومي المعي يرى باول
راي اخر الامر من ورا المغيب لوذعي له فواد ذكي ما له في ذكايه
من ضريب لا يروي ولا يقلب طرفا واكف الرجال في تقليبه واذا
في توسم المتعلمين بهذه الصفه وكان بقدر استحقاقهم خبيرا لم يضع
له عنا ولم تخب على يديه صاحب وان لم يتوسمهم وخفيت عليه احوالهم
ومبلغ استحقاقهم كانوا واياه في عنا مكد وتعب غير مجد لانه لا
يعدم ان يكون فيهم ذكي يحتاج الى الزياده وبليد يحتاج الى القليل
فيضجر الذكي ويعجز البليد ومن تردد اصحابه بين عجز وضجر
ملوه وملهم وقد روي عبد الله ابن وهب عن سفين قال قال
الخضر لموسى عليهما السلام يا طالب العلم ان القايل اقل ملالة من المستمع
فلا تمل جلساك اذا حدثتهم يا موسى واعلم ان قلبك وعا فانظر ما تحشو
في وعايك وقال بعض الحكما خير العلما من لا يقل ولا يمل وقال

بعض العلما كل علم كثر على السمع ولم يطاوعه الفهم ازداد به القلب
عما وانما ينفع السمع للاذان اذا قوي فهم القلوب من الابدان وربما
كان لبعض السلاطين رغبه في العلم لفضيله نفسه وكرم طبعه فلا
تجعل ذلك ذريعه الي الانبساط عنده والادلال عليه بل يعطيه ما
يستحقه بسلطانه وعوايده فان للسلطان حق الطاعه والاعظام وللعالم
حق القبول والاكرام ثم لا ينبغي ان يبتديه الا بعد الاستدعا ولا
يزيده علي قدر الاكتفا فربما احب بعض العلما اظهار علمه للسلطان
فاكثر فصار ذلك ذريعه الي ملله ومفضيا الي بعده لان السلطان
منقسم للافكار مستوعب الزمان فليس في العلم فراغ المنقطعين اليه ولا
ولا صبر المنفردين به وقد حكي عن الاصمعي قال قال لي الرشيد
يا عبد الملك انت اعلم منا ونحن اعقل منك لا تعلمنا في ملاء ولا تسرع
الي تذكيرنا في خلاء واتركنا حتى نبتديك بالسوال فاذا بلغت
من الجواب حسب الاستحقاق فلا تزد الا ان يستدعا ذلك منك
انظر الي ما الطف في التاديب وانصف في التعليم وبلغ باوجز لفظ غايه
التقويم وليخرج تعليمه مخرج المذاكره والمحاضره لا مخرج التعليم والافاده
لان لتاخير التعليم حمله تقصير يجل السلطان عنها فان ظهر منه خطا او
زلل في قول او عمل لم يجاهره بالرد وعرض باستدراكه واصلاح

خلله

خلله حكي ان عبد الملك ابن مروان قال للشعبي كم عطاك قال
الفين قال لحنت قال لما ترك امير المومنين الاعراب كرهت ان اعرب
كلامي عليه ثم ليجتذر اتباعه فيما خالف الدين ويضاد الحق موافقه
لرايه ومتابعه لهواه فربما ازلت اقدام العلما في ذلك رغبه او رهبه
فضلوا واضلوا وقد روي الحسن البصري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تزال هذه الامه تحت يد الله وفي كنفه ما لم
يمال قراوها امراوها ولم يزك صلحاوها فجارها وما لم يمال اخيارها
اشرارها فاذا فعلوا ذلك رفع عنهم يده ثم يسلط عليهم جبابرتهم
فساموهم سوء العذاب وضربهم بالفاقه والفقر وملا قلوبهم رعبا
ومن اداتهم تنزه النفس عن شبه المكاسب والقناعه بالميسور
عن كد الطلب فان شبه المكتسب اثم وكد الطلب ذل والاجر احرى
به من الاثم والعز احق به من الذل انشدني بعض اهل الادب لعلي
ابن عبد العزيز القاضي

يقولون لي فيك انقباض وانما … راوا رجلا عن موقف الذل احجما
ارى الناس من داناهم هان عندهم … ومن اكرمته عزة النفس اكرما
ولم اقض حق العلم ان كان كلما … بدا طمع صيرته لي سلما
وما كل برق لاح لي يستفزني … ولا كل من في الارض ارضاه منعما

إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى ... ولكن نفس الحر تحتمل الظما

ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي ... لأخدم من لاقيت لكن لأخدما

أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة ... إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظما

ولكن أهانوه فهان ودنسوا ... محياه بالأطماع حتى تجهما

على أن العلم عوض من كل لذة ومغن عن كل شهوة ومن كان صادق
النية فيه لم يكن همه فيما يجد بدا منه ه وقد قال بعض البلغاء من
تفرد بالعلم لم توحشه خلوة ومن تسلى بالكتب لم تفته سلوة ومن آنسه
قراءة القرآن لم توحشه مفارقة الإخوان وقال بعض الحكماء لا سمير
كالعلم ولا ظهير كالحلم ومن آدابهم أن يقصدوا وجه الله تعالى بتعليم
من علموا ويطلبوا ثوابه بإرشاد من أرشدوا من غير أن يعتاضوا
عليه عوضا ولا يلتمسوا عليه رزقا فقد قال الله تعالى ولا تشتروا
بآياتي ثمنا قليلا قال أبو العالية لا تأخذوا عليه أجرا وهو مكتوب
عندهم في الكتاب الأول يا ابن آدم علم مجانا كما علمت مجانا وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أجر المعلم كأجر الصائم القائم وحسب
من هذا أجره أن يلتمس أجرا ومن آدابهم نصح من علموا والرفق بهم
وتسهيل السبيل عليهم وبذل المجهود من رفدهم ومعونتهم فإن
ذلك

ذلك أعظم لأجرهم وأسنى لذكرهم وأنشر لعلومهم وأرسخ لمعلومهم
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي بن أبي طالب
عليه السلام يا علي لأن يهدي الله بك رجلا خير مما طلعت عليه
الشمس ومن آدابهم أن لا يعنفوا متعلما ولا يحتقروا ناشئا ولا
يستصغروا مبتدئا فإن ذلك أدعى إليهم وأعطف عليهم وأحث على الرغبة
فيما لديهم وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال علموا ولا
تعنفوا فإن العلم خير من المعنف وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال وقروا من تتعلمون منه ووقروا من تعلمونه ومن آدابهم
أن لا يمنعوا طالبا ولا ينفروا راغبا ولا يؤيسوا متعلما لما في ذلك من
قطع الرغبة فيهم والزهد فيما لديهم واستمرار ذلك مفض إلى انقراض
العلم بانقراضهم فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى يا رسول الله قال من لم
يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤيسهم من روح الله ولا يدع
القرآن رغبة إلى ما سواه ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه
ولا علم ليس فيه تفهم ولا قراءة ليس فيها تدبر وهذه جملة كافية والله
ولي التوفيق ه

باب أدب الدرس

إن الله سبحانه وتعالى إنما كلف خلقه متعبداته وألزمهم مفترضاته

وابتعث اليهم رسله وشرع لهم دينه لغير حاجة دعته الي تكليفهم
ولا من ضرورة قادته الي تعبدهم وانما قصد نفعهم تفضلا منه عليهم
كما تفضل بما لا يحصى عددا من نعمه بل النعمة فيما تعبدهم به اعظم لان
نفع ماسوى المتعبدات مختص بالدنيا العاجلة ونفع المتعبدات
يشتمل على نفع الدنيا والاخرة وجعل ما تعبدهم به ماخوذا من عقل
متبوع وشرع مسموع فالعقل متبوع فيما لا يمنع الشرع والشرع متبوع
فيما لا يمنع منه العقل لان الشرع لا يرد بما يمنع منه العقل والعقل
لا يتبع فيما يمنع منه الشرع ولذلك توجه التكليف الي من كمل عقله
فارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون
فبلغهم رسالته والزمهم حجته وبين لهم شريعته وتلا عليهم كتابه
فيما احله وحرمه واباحه وحظره واستحبه وكرهه وامر به ونهى
عنه وما وعد به من الثواب لمن اطاعه واوعد به من العقاب
لمن عصاه فكان وعده ترغيبا ووعيده ترهيبا لان الرغبة
تبعث على الطاعة والرهبة تكف عن المعصية والتكليف يجمع
امرا بطاعة ونهيا عن معصية فلذلك كان التكليف مقرونا
بالرغبة والرهبة وكان ما تخلل ذلك من قصص الامم السالفة
واخبار القرون الخالية عظة واعتبارا تقوى الله معهما الرغبة

ويزداد

ويزداد بها الرهبة وكان ذلك من لطفه بنا وتفضله علينا فالحمد لله
الذي نعمه لا تحصى وشكره لا يوفي ثم جعل الي رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيان ما كان مجملا وتفسير ما كان مشكلا وتحقيق ما كان
محتملا ليكون له مع تبليغ الرسالة ظهور الاختصاص به ومنزلة
اليه قال الله تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم
ولعلهم يتفكرون ثم جعل الي العلما بعد رسوله استنباط ما نبه
على معانيه واشار الي وصوله ليتوصلوا بالاجتهاد فيه الي علم المراد
به فيمتازوا بذلك عن غيرهم ويختصوا بثواب اجتهادهم قال الله تعالى
يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال تعالى
وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم فصار الكتاب اصلا والسنة
فرعا واستنباط العلما ايضاحا وكشفا وقد روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال القران اصل علم الشريعة نصه ودليله والحكمة
بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم والامة المجتمعة حجة على من شذ
عنها وكان من رافته بخلقه وتفضله على عباده ان اقدرهم على ما
كلفهم ورفع الحرج عنهم فيما تعبدهم ليكونوا مع ما قد اعاده لهم ناهضين
بفعل الطاعات ومجانبة المعاصي قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا
الا وسعها وقال وما جعل عليكم في الدين من حرج وجعل ما كلفهم ثلثة

اقسام قسما امرهم باعتقاده وقسما امرهم بفعله وقسما أمر بالكف
عنه ليكون اختلاف جهات التكليف ابعث على قبوله واعون على فعله
حكمة منه ولطفا وجعل ما امرهم باعتقاده قسمين قسما اثباتا وقسما نفيا
فاما الاثبات فاثبات توحيده وصفاته وبعثه رسله وتصديق محمد صلى الله
عليه وسلم فيما جا به فاما النفي فنفي الصاحبة والولد والحاجة والقبائح
اجمع وهذان القسمان اول ما كلفه العاقل وجعل ما امرهم بفعله ثلثة
اقسام قسما على ابدانهم كالصلاة والصيام وقسما في اموالهم كالزكاة والكفارات
وقسما على ابدانهم وفي اموالهم كالحج والجهاد ليسهل عليهم فعله ويخف
عليهم اداوه نظرا منه لهم وتفضلا منه عليهم وجعل ما امرهم بالكف
عنه ثلثة اقسام قسما لاحيا نفوسهم واصلاح ابدانهم كنهيه عن القتل
واكل الخبائث والسموم وشرب الخمور المودية الى فساد العقل وزواله
وقسما لايتلافهم وصلاح ذات بينهم كنهيه عن الغصب والغلبة في الظلم
والسرف المفضي الى القطيعة والبغضا وقسما لحفظ انسابهم وتعظيم
محارمهم كنهيه عن الزنا ونكاح ذات المحارم وكانت نعمته فيما حظره
علينا كنعمته فيما اباحه لنا وتفضله فيما نهانا عنه كتفضله فيما أمرنا
به فهل نجد العاقل في روية مساغا ان يقصر فيما أمر به وهو نعمة
عليه او يرى فسحة في ارتكاب ما نهى عنه وهو تفضل عليه وهل يكون
من

من أنعم عليه بنعمه فاهملها مع شدة فاقته اليها الا مذموما في العقل مع ما
جا به من وعيد السمع ثم من لطفه بخلقه وتفضله على عباده ان جعل لهم
من جنس كل فريضة نفلا وجعل لها من الثواب قسطا وندبهم اليه ندبا
وجعل لهم الحسنة عشرا ليضعف ثواب فاعله ويضع العقاب عن تاركه
ومن لطيف حكمته ان جعل لكل عباده حالتين حالة كمال وحالة جواز
رفقا منه بخلقه لما سبق في علمه ان فيهم العجل المبادر والبطي المتثاقل ومن
لا صبر له على ادا الاكمل ليكون ما اخل به من هيات عبادته غير قادح في
فرض ولا مانع من اجر وكان ذلك من نعمه علينا وحسن نظره لنا
وكان اول ما فرض بعد تصديق نبيه عبادات الابدان وقدمها على ما
تعلق بالاموال لان النفوس على الاموال اشح وبما تعلق بالابدان اسمح
وذلك الصلاة والصيام فقدم فرض الصلاة على الصيام لان الصلاة اسهل
فعلا وايسر عملا وجعلها مشتملة على خضوع له وابتهال اليه فالخضوع له رهبة
والابتهال اليه رغبة فيه ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام احدكم
الى الصلاة فانه يناجي ربه فلينظر احدكم بما يناجيه وروي عن علي ابن
ابي طالب رضي الله عنه انه كان كلما دخل عليه وقت الصلاة اصفر
مرة واحمر اخرى فقيل له في ذلك فقال اتتني الامانة التي عرضت على
السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملتها انا لا

ادري أأسيء فيها ام أحسن ثم جعل لها شروطا لازمة من رفع حدث
وازالة نجس ليستديم له النظافة المقاربة والطهارة لاداء فرضه ثم
ضمنها تلاوة كتابه المنزل ليتدبر ما فيه من اوامره ونواهيه ويعتبر اعجاز
الفاظه ومعانيه ثم علقها باوقات راتبة وازمان مترادفة ليكون ترادف
ازمانها وتتابع اوقاتها سببا لاستدامة الخضوع له والابتهال اليه
فلا تنقطع الرهبة منه ولا الرغبة فيه واذا لم تنقطع الرهبة والرغبة
استدام صلاح الخلق وبحسب قوة الرغبة والرهبة يكون استيفاؤها
على الكمال او التقصير فيها عن حد الجواز وقد روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال الصلاة مكيال فمن وفى وفي له ومن طفف فقد علمتم
ما قال في المطففين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من هانت عليه صلاته كانت على الله اهون وانشدت عن بعض صلحا العرب

اقبل على صلواتك الخمس كم مصبح وعساه لا يمسي
واستقبل اليوم الجديد بتوبة تمحوا ذنوب صحيفة الامس
فليفعلن بوجهك الغض البلى فعل الظلام بصورة الشمس

ثم فرض الله تعالى الصيام وقدمه على زكوات الاموال لتعلق الصيام
بالابدان وكان من حالته حثا على رحمة الفقرا واطعامهم وسد
جوعاتهم لما قد عاينوه من شدة المجاعة في صومهم وقد قيل ليوسف
عليه

عليه السلام لم تجوع وانت على خزائن الارض فقال اخاف ان اشبع فانسا
الجائع ثم لما في الصوم من قهر النفس واذلالها وكسر الشهوة المستولية
عليها واشعار النفس ما هي عليه من الحاجة الى يسير الطعام والشراب والمحتاج
الى الشي اليسير ذليل به وبهذا احتج الله تعالى على من اتخذ عيسى وامه الهين
من دون الله فقال ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل
وامه صديقة كانا ياكلان الطعام فجعل حاجتهما الى الطعام نقصا فيهما عن
ان يكونا الهين وقد وصف الحسن البصري من قصص نقص الانسان
بالطعام وغيره فقال مسكين ابن ادم مكتوم الاجل مكتوم الامل مستور
العلل يتكلم بلحم وينظر بشحم ويسمع بعظم اسير جوعه وصريع شبعه تؤذيه
البقة وتنتنه العرقة وتقتله الشرقة لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا
موتا ولا حياة ولا نشورا فانظر الى لطفه بنا فيما اوجبه من الصيام علينا
كيف ايقظ العقول له وقد كانت عنه غافلة او متغافلة ونفع النفوس به
ولم يكن لولاه مسمعة ولا نافعة ثم فرض زكوات الاموال وقدمها على
فرض الحج لان في الحج انفاقا في المال سفرا شاقا وكانت النفس الى
الركون اسرع اجابة منها الى الحج وكان في ايجابها مواساة للفقرا
ومعونة لذوي الحاجات يكفهم عن البغضا ويمنعهم من التقاطع ويبعثهم
على التواصل لان الامل وصول الراجي هايب واذا زال الامل انقطع

الامل وزال الرجا واستدت الحاجه ووقعت البغضا واستد الحسد
فحدثت المقاطع بين ارباب الاموال والفقرا ووقعت العداوه بين ذوي
الحاجات والاغنيا حتى يفضي الى التغالب على الاموال والتغرير بالنفوس
مع ما في ادا الزكوه من تمرين النفوس على السماحه المحموده ومجانبه
الشح المذموم لان السماحة تبعث على ادا الحقوق والشح يصد عنها
وما بعث على ادا الحقوق فاجدر به حمدًا وما صد عنها فاخلق به ذما
وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال شر ما اعطي العبد شح هالع
وجبن خالع ٥ فيستحق من دبرنا بلطيف حكمته واخفى عن فطنتنا
جزيل نعمته حتى استوجب من الشكر باخفايها اعظم مما استوجبه
بابدايها ثم فرض الحج فكان اخر فروضه لانه يجمع عملا على بدن وحقا
في مال فجعل فرضه بعد استقرار فروض الابدان وفروض الاموال
فيكون استيناسهم بكل واحد من النوعين ذريعه الى تسهيل امر
يجمع النوعين فكان في ايجابه امر تذكير ليوم الحشر من مفارقه المال
والاهل وخضوع العزيز والذليل من الوقوف بين يديه واجتماع
المطيع والعاصي في الرهبه منه والرغبه اليه واقلاع اهل
المعاصي عما اجترحوه وندم المذنبين على ما اسلفوه فقل من حج الا
واحدث توبه من ذنب واقلاعا عن معصيه ولذلك قال النبي
صلى الله

صلى الله عليه وسلم من علامه الحجه المبروره ان يكون صاحبها بعدها
خيرًا منه قبلها وهذا صحيح لان الندم على الذنوب مانع من الاقدام
عليها والتوبه منها مكفره لما سلف منها فاذا كف عما كان يقدم عليه
انبا عن صحه توبته وصحه التوبه تقتضي قبول حجه ٥ ثم نبه بما يعاني
فيه من مشاق السفر المودي اليه على موضع النعمه برفاهه الاقامه
وانس الاوطان ليحنو على من سلب هذه النعمه من ابنا السبيل ٥ ثم
اعلمنا بما شاهد من حرمه الذي انشا منه دينه وبعث فيه رسوله ثم
ما شاهد من دار الهجره التي اعز بها اهل طاعته واذل بنصره نبيه
اهل معصيته حتى خضع له عظما المتجبرين وتذلل له عتاة المتكبرين
انه لم ينتشر عن ذلك المكان المنقطع ولا قوي بعد الضعف المبين حتى
طبق الارض شرقا وغربا الا لمعجز ظاهر ونصر عزيز فاعتبر الهمك
الله الشكر ووفقك للتقوى انعامه عليك فيما كلف واحسانه اليك
فيما تعبدك فقد وكلك الى فطرتك واحالك على بصيرتك بعد
ان كنت لك رايا صدوقا وناصحا شفوقا هل تحس نقوصا بشكره
اذا فعلت ما امرك وتقبلت ما كلفك كلا لانه يوليك نعمه توجب
الشكر الا وصلها قبل شكر ما سلف نعمه توجب الشكر في الموثيق
ولذلك قال الحسن ابن علي عليهما السلام نعم الله اكثر من ان تحصى

تشكر الا ما اعان عليه و ذنوب ابن ادم اكثر من ان تغفر الا ما عفا عنه
وانشدت لمنصور ابن اسمعيل الفقيه المصري

شكر الاله نعمة موجبة لشكره فكيف شكري بره وشكره من بره
واذا كنت في شكر نعمه عاجزًا فكيف بك اذا قصرت فيما امرك او فرطت
فيما كلفك وتتعمده اعوذ عليك لو فعلته هل تكون لسوابغ نعمه الا كفورًا
وبيد ابه العقول الا مرجورًا فقد قال الله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها
قال مجاهد اي يعرفون قوم ما عدد الله عليهم من نعمه وينكرونها
بقولهم انهم ورثوا ذلك عن اباهم وكسبوها بافعالهم ه وروي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى يا ابن ادم ما انصفتني
اتحبب اليك بالنعم وتتمقت الي بالمعاصي خيري اليك نازل وشرك الي
صاعد كم من ملك كريم يصعد الي منك بعمل قبيح ه وقال بعض
بلغا السلف قد اصبح بنا من نعم الله تعالى ما لا نحصيه مع كثرة
ما نعصيه فلا ندري ايهما نشكر اجميل ما نشر ام قبيح ما ستر فحق
على من عرف موقع النعمة ان يقبلها ممتثلا لما كلف منها وقبولها
يكون باداها ثم يشكر الله على ما انعم من اسداها فان بنا من الحاجة
الى نعمه اكثر مما طلبنا من نعمه فان نحن اديناحق النعمه في التكليف
تفضل باسدا النعمة من غير جهة التكليف فلزمت النعمتان ومن

لزمته

لزمته النعمتان فقد اوتي حظ الدنيا والاخرة هذا هو السعيد بالاطلاق
وان قصرنا في اداء ما كلفنا من نعمه قصر عنا ما لا تكليف فيه من نعمه
فتفرقت النعمتان ومن تفرقت عنه النعمتان فقد سلب حظ الدنيا والاخرة
فلم يكن له في الحيوة حظ ولا راحة وهذا هو الشقي بالاستحقاق وليس
تختار الشقوة على السعادة ذو لب صحيح ولا عقل سليم وقد قال الله تعالى
ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ه فقد روى
الاعمش عن مسلم قال قال ابو بكر يا رسول الله ما اشد هذه الاية من يعمل
سوا يجز به فقال يا ابا بكر ان المصيبة في الدنيا جزا واختلف المفسرون
في قوله تعالى سنعذبهم مرتين فقال بعضهم احد العذابين الفضيحة
في الدنيا والثاني عذاب القبر وقال عبد الرحمن ابن يزيد احد
العذابين مصابهم في الدنيا في اموالهم واولادهم والثاني عذاب
الاخرة في النار وليس وان نال اهل المعاصي لذة من عيش وادركوا
امنية من دنيا كانت عليهم نعمة بل قد يكون استدراجا ونقمة
وروى ابن لهيعة عن عقبة ابن مسلم عن عقبة ابن عامر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا رايت الله تعالى يعطي العباد ما يشاؤون
على معاصيهم اياه فانما ذلك استدراج منه لهم ثم تلا فلما نسوا ما
ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم

بغتةً فاذاهم مُبلسون واما سائر المحرمات التي منع الشرع منها في مستقر
التكليف عقلاً وسمعًا بالنهي عنها فتنقسم قسمين منها ما يكون النفوس
داعيه اليها والشهوات باعثه عليها كالسفاح وشرب الخمر فقد زجر
الله تعالى عنها لقوة الباعث عليها وشده الميل اليها بنوعين من الزجر
احدهما عاجل يرتدع به الجري والثاني وعيد اجل يزدجر به التقي
ومنها ما تكون النفس نافره منها والشهوات مصروفه عنها كاكل
الخبائث والمستقذرات وشرب السموم المتلفات فاقتصر الله سبحانه
في الزجر عنها بالوعيد وحده دون الحد لان النفوس مسعده في
الزجر عنها بالوعيد والشهوات مصروفه عن ركوب المحظور منها
ثم اكد الله تعالى زواجره بانكار المنكرين لها ما وجب الامر بالمعروف
تاكيدًا لاوامره والنهي عن المنكر تاييدًا لزواجره لان النفوس
الاشره قد الهتها الصبوه عن اتباع الاوامر واذهلتها الشهوه عن
تذكار الزواجر فكان انكار المجانسين ازجر لها وتوبيخ المخالطين
ابلغ فيها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ما اقر قوم المنكر
بين اظهرهم الا عمهم الله تعالى بعذاب محتضر واذا كان ذلك كذلك
فلا تخلو احال فاعلي المنكر من احد الامرين احدهما ان يكونوا احادًا
متفرقين او افرادًا متبددين لم يتحزبوا فيه ولم يتظافروا عليه
وهم

وهم رعيه مقهورون واشلاء مستضعفون فلا خلاف بين الناس
ان امرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر مع المكنه وظهور القدره واجب
علي من شاهد ذلك من فاعليه او سمعه من قايله وانما اختلفوا
في جواب ذلك علي منكريه هل وجب عليهم بالعقل او بالشرع فذهب
بعض المتكلمين الي وجوب ذلك بالعقل لانه لما وجب بالعقل
ان يمتنع من القبيح وجب ايضًا بالعقل ان يمنع غيره منه لان ذلك
ادعي الي مجانبته وابلغ في مفارقته وقد روي عبد الله ابن
المبارك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قومًا ركبوا
سفينةً في البحر فاقتسموا فاخذ كل واحد منهم موضعًا فنقر رجل منهم
موضعه بفاس قالوا وما تصنع قال هو مكاني اصنع به ما شئت فلم ياخذ وا
علي يديه فهلك وهلكوا وذهب اخرون الي وجوب ذلك بالشرع
دون العقل لان العقل لو اوجب النهي عن المنكر ومنع غيره من القبيح
اوجب مثله علي الله سبحانه ولما جاز وورود الشرع باقرار اهل الذمه
علي الكفر وترك النكير عليهم لان واجبات العقول لا تجوز ابطالها بالشرع
وفي ورود الشرع بذلك دليل علي ان العقل غير موجب لانكاره فاما
اذا كان في ترك انكاره مضره لاحقه بمنكره وجب انكاره بالعقل علي
القولين معًا فاما ان لحق المنكر مضره من انكاره ولم يلحقه مضره من

كفه واقراره لم تجب عليه الانكار لا بالعقل ولا بالشرع اما العقل
فانه يمنع من اجتلاب المضار التي لا يوازنها نفع ٥ واما الشرع فقد
روي ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انكر
المنكر بيدك فان لم تستطع فبلسانك فان لم تستطع فبقلبك وذلك
اضعف الايمان فان اراد الاقدام على الانكار مع لحوق المضرة به نظر
فان لم يكن لاظهار النكير مما يتعلق باعزاز دين الله تعالى ولا اظهار
كلمة الحق لم تجب عليه النكير اذا اخشى تغالب الظن تلفا وضررا ولم تحسن
منه النكير ايضا وان كان في اظهار النكير اعزاز دين الله تعالى واظهار
الكلمة الحق حسن منه النكير مع خشية الاتلاف والضرر وان لم يجب
عليه اذا كان الغرض قد تحصل له بالنكير وان استضر او قتل وعلى
هذا الوجه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان افضل الاعمال كلمة الحق
عند سلطان جائر فاما ان كان يقتل قبل حصول الغرض قبح في
العقل ان تعرض لانكاره كذلك لو كان الانكار يريد المنهي اغرا
بفعل المنكر ولجاجا في الاستكثار منه قبح في العقل انكاره والحال
الثانيه ان يكون فعل المنكر من جماعه قد تظافرت عليه وعصبة
قد تحزبت ودعت اليه فقد اختلف الناس في وجوب انكاره على
مذاهب شتى فقالت طايفة من اصحاب الحديث واهل الاثار لا يجب انكاره

والاولى

والاولى بالانسان ان يكون كافا ممسكا وملازما لبيته وادعا
غير منكر ولا مستنفر وقالت طايفة اخرى ممن يقول بظهور المنتظر
لا تجب انكاره ولا التعرض لازالته الا ان يظهر المنتظر فيتولى انكاره
بنفسه ويكونوا حينيذ اعوانه وقالت طايفة اخرى منهم الاصم لا
يجوز للناس انكاره الا ان يجتمعوا على امام عدل فيجب عليهم
الانكار معه وقال جمهور المتكلمين انكار ذلك واجب والدفع عنه لازم
على شروط في وجود اعوان يصلحون له فاما مع فقد الاعوان فعلى الانسان
الكف لان الواحد قد يقتل بلوغ الغرض فيه وذلك قبيح في العقل ان
يتعرض له فهذا حكم ما اكد الله تعالى به اوامره واثبته زواجره من
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يختلف من احوال الامرين به
والناهين عنه ٥ ثم ليبين تخلوا حال الناس فيما امروا به ونهوا عنه
من فعل الطاعات واجتناب المعاصي وهي اكمل احوال اهل الدين
وافضل صفات المتقين فهذا استحق جزا العاملين وثواب المطيعين
وروى محمد بن عبد الملك المدني عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الذنب لا ينسى والبر لا يبلى والديان لا يموت
فكن كما شيت وكما تدين تدان ٥ وقديما قيل كل يحصد ما يزرع
ويجزى بما يصنع بل قالوا ازرع يومك حصاد غدك ومنهم من يمنع

من فعل الطاعات ويقدم على ارتكاب المعاصي فهي اخبث احوال المتكلفين
وشر صفات المتعبدين فهذا يستحق العقاب اللاهي عن فعل ما أُمر به
من طاعاته وعذاب المجترئ علي ما اقدم عليه من معاصيه وقد قال
ابن شبرمه عجبت لمن يحتمي من الطيبات مخافة الدا كيف لا يحتمي من المعاصي
مخافة النار فاخذ ذلك بعض الشعرا فقال

جسمك قد افنيته بالحمى دهرا من البارد والحار
وكان اولى بك ان تحتمي من المعاصي خشية النار

وقال ابن عباده انا نظرنا فوجدنا الصبر على طاعة الله تعالى اهون من
الصبر علي عذاب الله ٥ وقال اخر اصبروا عباد الله علي عمل لا غنا
بكم عن ثوابه واصبروا عن عمل لا صبر لكم علي عقابه ٥ وقد قيل
للفضيل ابن عياض رضي الله عنه فقال كيف يرضى عني ولم أرضه
ومنهم من يستجيب الى فعل الطاعات ويتقدم علي ارتكاب المعاصي
فهذا يستحق عقاب المجتري لانه تورط بغلبة الشهوة على الاقدام
علي المعصيه وان سلم من التقصير في فعل الطاعه ٥ وقد روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم اقلعوا عن المعاصي قبل ان ياخذكم الله
فيدعكم هتا بتا الهت الكسر والبت القطع ولذلك قال بعض العلما
افضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه ولم تزل الشهوة يقينه
وقال حماد ابن زيد عجبت لمن يحتمي الاطعمه لمضرتها كيف لا يجتنب الذنوب
لمعرتها

لمعرتها وقال بعض الصلحاء اهل الذنوب مرضى القلوب وقيل للفضيل
ابن عياض ما اعجب الاشيا قال قلب عرف الله ثم عصاه وقال بعض
الادبا يا بدل الطاعه العاصي وينسى عظيم المعاصي وقال رجل لابن عباس
ايما احب اليك رجل قليل الذنوب قليل العمل او رجل كثير العمل كثير الذنوب
فقال ابن عباس لا اعدل بالسلامه شيا ٥ وقيل لبعض الزهاد ما
تقول في صلاة الليل فقال خف الله بالنهار ونم بالليل وسمع بعض الزهاد
رجلا يقول القوم اهلككم النوم فقال بل اهلككم اليقظه وقيل
لابي هريره ما التقوى فقال اجزت في ارض فيها شوك فقال نعم قال فكيف
كنت تصنع قال كنت اتوقا قال له توق الخطايا وقال عبد الله ابن المبارك

انقمن لي فتى ترك المعاصي وارهنه الكفاله بالخلاص
اطاع الله قوم فاستراحوا ولم يتجرعوا عصص العقاص

ومنهم من يمتنع من فعل الطاعات ويكف عن ارتكاب المعاصي فهذا
يستحق عقاب اللاهي عن دينه المبذر بعمله بغيبته ٥ روي ابو
ادريس الخولاني عن ابي ذر الغفاري عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال كانت صحف موسى كلها عبرا عجبت لمن ايقن بالنار كيف
يضحك وعجبت لمن ايقن بالموت ثم يفرح وعجبت لمن ايقن بالقدر
ثم هو ينصب وعجبت لمن راى الدنيا وتقلبها باهلها ثم يطمئن

اليها وعجبت لمن ايقن بالحساب غدا ثم لا يعمل ه روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال اجتهدوا في العمل فان قصر بكم ضعف فكفوا
عن المعاصي وهذا واضح المعنى لان الكف عن المعاصي ترك وهو اسهل
وعمل الطاعات فعل وهو اثقل ولذلك لم يبح الله تعالى ارتكاب
ارتكاب معصيه بعذر ولا غير عذر لانه ترك والترك لا يعجز
المعذور عنه واباح ترك الاعمال بالاعذار لان العمل قد يعجز المعذور
عنه وقال بكر ابن عبد الله رحم الله امرا كان قويا فاعمل قوته
في طاعه الله وقال ـــــ عبد الاعلى ابن عبد الله الشامي

العمر ينقص والذنوب تزيد ... وتقال عثرات الفتى فيعود
هل يستطيع جحود ذنب واحد ... رجل جوارحه عليه شهود
والمرا يسال عن سنيه فيشتهي ... تنقيصها وعن الممات يحيد

واعلم ان الاعمال بالطاعات ومجانبه المعاصي يعني احدهما يكسب
الوزر والاخري يوهن الاجر فاما المكتسب للوزر فالاعجاب بما سلف
من عمله وقدم من طاعته لان الاعجاب به يفضي الي حالتين مذمومتين
احداهما ان المعجب بعمله يمن به على الله جاحد لنعمه وقال ـــــ
ابن عباس اوحي الله تعالى الى نبي من انبيا بني اسرايل اما زهدك
في الدنيا فقد استعجلت به الراحه واما انقطاعك فهو عز لك فهذا
لك

لك وبقيت انا والثاني ان المعجب بعمله مدل به والمدل مجتري
والمجتري على الله عاصي وقد قال مورق العجلي خير من العجب بالطاعه
ان لا تاتي بطاعه ه وقال بعض السلف ضاحك معترف بذنبه
خير من باك مدل على ربه وباك نادم على ذنبه خير من ضاحك
مغتر بلهوه واما الموهنه للاجر فالثقه بما سلف والركون الى
ما قدم لان الثقه تؤول الى امرين احدهما تحدث اتكالا على
ما مضي وتقصيرا فيما يستقبل ومن قصر واتكل لم يرج اجرا
ولم يود شكرا والثاني ان الواثق آمن والامن من الله تعالى
غير خايف ومن لم يخف الله تعالى هانت عليه اوامره وسهلت
عليه زواجره وقد قال الفضيل ابن عياض رهبه المرء من الله
تعالى على قدر علمه بالله وقال مورق العجلي ابيت نايما واصبح نادما
احب الي من ان ابيت قايما واصبح ناعما ه وقالت الحكما ما بينك
وبين ان لا يكون خيرا الا ان ترى ان فيك خيرا وقيل لرابعه
هل عملت عملا قط ترين انه يقبل منك قالت ان كان شي فخوفي
من ان يرد علي وقال ابن السماك انا لله فيما مضى ما اعظم فيه
الخطر وانا لله فيما بقي ما اقل منه الحذر وحكي ان بعض الزهاد
وقف على جمع فنادى باعلى صوته يا معشر الاغنيا لكم اقول

استكثروا من الحسنات فان ذنوبكم كثيره ويا معشر الفقر الكم
اقلوا من الذنوب فان حسناتكم قليله فينبغي احسن الله لك
التوفيق ان لا تضيع صحة جسمك وفراغ وقتك بالتقصير في طاعه
الله تعالى والثقه بسالف عملك واجعل الاجتهاد غنيمة صحتك
والعمل فرصة فراغك فليس كل زمان مسعد ولا ما فات مستدرك
وللفراغ زيغ او ندم وللخلوه ميل او اسف وقد قال عمر الخطاب
رضي الله عنه الراحه للرجال غفله وللنسا غلمه وقال بزرجمهر ان يكن
الشغل مجهده فان الفراغ مفسده وقال بعض الحكما اياكم والخلوات
فانها تفسد العقول وتعقد المحلول وقال بعض البلغاء لا تمض يومك
في غير منفعه ولا تضيع مالك في غير صنيعه فالعمر اقصر من
ان ينفد في غير المنافع والمال اقل من ان يصرف في غير الصنايع والعاقل
اجل من ان يفني ايامه فيما لا يعود عليه نفعه وخيره وينفق امواله
فيما لا يحصل له ثوابه واجره وابلغ من ذلك قول عيسى ابن مريم
عليه السلام البر ثلثه المنطق والنظر والصمت فمن كان منطقه
في غير ذكر فقد لغا ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها
ومن كان صمته في غير فكر فقد لها واعلم ان للانسان فيما كلف
من عباده ربه ثلثه احوال احدها ان يستوفيها من غير تقصير
فيها

من غير تقصير فيها ولا زياده عليها والثانيه ان يقصر فيها والثالثه
ان يزيد عليها فاما الحال الاولى وهو ان ياتي بها على حال الكمال
من غير تقصير فيها ولا زياده تطوع على راتبها فهي اوسط الاحوال
واعدلها لانه لم يكن منه تقصير فيذم ولا تكثير فيعجز وقد روى
سعيد ابن ابي سعيد عن ابي هريره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سددوا
وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوه والروحه وشي من الدلجه

وقال الشاعر

عليك باوساط الامور فانها ... نجاه ولا تركب ذلولا ولا صعبا

فاما الحال الثانيه وهو ان يقصر فيها فلا يخلو حال تقصيره من اربعه
احوال احدهن ان يكون تقصيره لعذر اعجزه عنه او مرض اضعفه عن
اداما كلف منه فهذا يخرج عن حكم المقصرين ويلحق باحوال العاملين
لاستقرار الشرع على سقوط ما دخل تحت العجز وقد جاء في الحديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من عامل كان يعمل عملا فيقطعه
عن ذلك العمل مرض الا وكل الله تعالى به من يكتب ثواب عمله
والحال الثانيه ان يكون تقصيره اغترارا بالمسامحه فيه ورجا للعفو
عنه فهذا مخدوع العقل مغرور بالجهل فقد جعل الظن ذخرا
والرجا عده فهو كمن قطع سفرا بغير زاد ظنا بانه سيجده في المفاوز

الحذر به فيفضي به الظن الى الهلكة وهلا كان الحذر اغلب عليه وقد قال
تذنب الله تعالى وحكى عن اسرائيل ابن محمد القاضي قال لقيني مجنون
كان يكون في الخرابات فقال يا اسرائيل خف الله خوفا يشغلك عن الرجاء
فان الرجا يشغلك عن الخوف وفر الى الله تعالى ولا تفر منه وقيل
لمحمد ابن واسع الا تتكي فقال تلك جلسة الامنين وحكى ان ابا حازم
الاعرج اخبر سليمن ابن عبد الملك بو عبد الله المذنبين فقال عبد الملك
فاين رحمة الله فقال قريب من المحسنين وقال عبد الله ابن عباس
ما انتفعت ولا انعظت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل كتاب كتبه
الى علي ابن ابي طالب رضي الله عنه اما بعد فان الانسان يسره درك
ما لم يكن ليفوته ويسوه فوت ما لم يكن ليدركه فلا تكن بما نلت من دنياك
فرحا ولما فاتك منها ترحا ولا تكن ممن يرجوا الاخرة بغير عمل ويرجوا
التوبة بطول الامل فكان قد والسلام وقال محمود الوراق

اخاف على المحسن المتقي وارجوا الذي لهفوات المسي
فذلك خوفي على محسن فكيف على الظالم المعتدي
على ان ذا الزيغ قد يستفيق ويستانف الزيغ قلب التقي

والحال الثالث ان يكون تقصيره فيه ليستوفي ما اخل به بعد فيبدا
بالسيئة في النقص قبل الحسنة في الاستيفا اغترارا بالامل في امهاله
وارجا

وارجا للتاخير ما اسلف من تقصيره واخلا له فلا ينتهي به الامل
الى غاية ولا يفضي به الى نهاية لان الامل في ثاني حال كهو في اول الحال
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من يامل ان يعيش
غدا فانه يامل ان يعيش ابدا ولعمري ان هذا صحيح لان كل يوم غد
فان تقضي به الامل الى الفوت من غير درك وتوده الرجا الى الاهمال ل
من غير تلاف فيصير الامل خيبة والرجا اياسا وقد روي عمرو ابن شعيب
عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اول صلاح هذه الامة
باليقين والزهد وفسادها بالبخل والامل وقال الحسن البصري
ما اطال عبد الامل الا اسا العمل وقال رجل لبعض الزهاد بالبصرة
الك حاجة ببغداد قال ما احب ان ابسط املي تذهب الى بغداد وتجي
وقال بعض الحكما الجاهل يعتمد على امله والعاقل يعتمد على عمله وقال
بعض البلغا الامل كالسراب غر من راه وخاب من رجاه وقال محمد
يزداد دخلت على المامون وكان ابو عبيد وزيره فرايته قايما وبيده
رقعة فقال يا محمد اقرات ما فيها فقلت هي في يد امير المومنين فرمى
بها الي فيها مكتوب شعر

انك في دار لها مدة يقبل فيها عمل العامل
اما ترى الموت محيطا بها يقطع فيها امل الامل

تعجل بالذنب لما تشتهي وتأمل التوبة من قابل
والموت يأتي بعد ذا غفلة ماذا بفعل الحازم العاقل

فلما قرأها قال المأمون هذا من أحكم شعر قرأته وقال أبو حازم الأعرج نحن لا نريد أن نموت حتى نتوب ونحن لا نتوب حتى نموت وقال بعض البلغاء الإمهال رائد الإهمال والحالة الرابعة أن يكون تقصيره فيها استثقالا لا استنفا [?] وزهدا في التمام واقتصارا على ما تسنح وقلة اكتراث فيما بقي فهذا على ثلاثة أضرب أحدها أن يكون ما أخل به وقصر عنه غير قادح في فرض ولا مانع من عبادة كمن اقتصر من العبادة على أداء واجباتها ومفروضاتها وأخل بمسنوناتها وهيئاتها فهذا مسيء فيما ترك أساء من لا يستحق وعيدا ولا يستوجب عقابا لأن أداء الواجب يسقط عنه العقاب والإخلال بالمسنون يمنع من كمال الثواب وقد قال بعض الحكماء من تهاون بالدين هان ومن غالب الحق لان

وقال الشاعر

ويصون ثوبيه وعرضه ذلك لا يصونه وحق ما صان الفتى ورعا أمانته ودينه

والضرب الثاني أن يكون ما أخل به من مفروض عباداته لكن لا يقدح ترك ما بقي فيما مضى كمن أكمل عباده وأخل بغيرها فهذا أسوأ حالا مما تقدمه لما استحقه من الوعيد واستوجبه من العقاب والضرب

الثالث

الثالث أن يكون ما أخل به من مفروض عباداته وهو قادح فيما عمل منها كالعبادة التي يرتبط بعضها ببعض فيكون المقصر في بعضها تاركا لجميعها فلا يحتسب له بما عمل لإخلاله بما بقي وهذا أسوأ حال المقصرين ولاحقه بأحوال التاركين بل قد تكلف ما لا يسقط فرضا ولا يؤدي حقا فقد ساوى التاركين في استحقاق الوعيد وزاد عليهم في تكليف ما لا يفيد فصار من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ثم لعله لا يفطن لشأنه ولا يشعر بخسرانه وقد خسر الدنيا والآخرة ويفطن المبتر [?] من ماله إن وهى وأخل وأنشد بعض أهل العلم شعر

أبني من الرجال بهيمة في صورة الرجل السميع المبصر
فطنا بكل مصيبة في ماله فإذا يصاب بدينه لم يشعر

وأما الحالة الثالثة وهو أن يزيد فيما كلف فهذا على ثلاثة أضرب أحدها أن يكون للزيادة رياء للناظرين وتصنعا للمخلوقين حتى يستعطف به القلوب النافرة ويخدع به القلوب الراهبة فيتبهرج بالصلحاء وليس منهم ويتدلس بالأخيار وهو ضدهم وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم للمرائي بعمله مثلا فقال المتشبع بما لا يملك كلابس ثوبي زور يريد المتشبع بما لا يملك المتزين بما ليس فيه وقوله كلابس

ثوبي زور هو الذي يلبس ثياب الصلحا وافعال الطلحا فهو بريابه
محروم الاجر مذموم الذكر لانه لم يقصد به وجه الله فيوجر عليه
ولايخفى رياؤه على الناس فيحمدونه وقد قال الله تعالى فمن كان يرجو
لقا ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدًا وقال جميع اهل
التاويل في معنى قوله ولا يشرك بعبادة ربه احدًا اي لا يراي بعمله
احدًا فيجعل الريا شركًا لانه جعل ما يقصد به وجه الله تعالى مقصودًا
به غير الله تعالى وقال الحسن البصري في قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك
ولا تخافت بها قال لا تجهر بها ريا ولا تخافت بها حياه وكان سفين ابن
عيينه يتاول قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاي ذي
القربي وينهى عن الفحشا والمنكر والبغي يعظكم ان العدل استوا السريره
والعلانيه في العمل لله تعالى والاحسان ان تكون سريرته احسن من علانيته
والفحشا والمنكر ان تكون علانيته احسن من سريرته وكان غيره
يقول العدل شهاده ان لا اله الا الله والاحسان الصبر على امره ونهيه
وطاعه الله في سره وجهره وايتاء ذي القربي صله الارحام وينهي
عن الفحشا يعني الريا والمنكر القبايح والبغي الكبر والظلم وليس تخرج
الريا بالاعمال من هذا التاويل ايضا لانه من جمله القبايح وقد
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اخوف ما اخاف على امتي

الريا

الريا الظاهر والشهوه الخفيه وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اشد الناس عذابا يوم القيمه من يري ان فيه خيرًا ولا خير
فيه وقال علي ابن ابي طالب عليه السلام لا تعمل شيا من الخير ريا
ولا تتركه حيا وقال بعض البلغا كل حسنه لم يرد بها وجه الله تعالى
فعليها قبح الريا وثمرتها سو الجزاء وقد يفضي الريا بصاحبه الي الاستهزاء
الناس به كما حكى ان طاهر ابن الحسن قال لابي عبد الله المروزي
منذ كم صرت الي العراق يا ابا عبد الله قال دخلت العراق منذ عشرين
سنه وانا منذ ثلثين سنه صايم فقال يا ابا عبد الله سالناك عن مسله
فاجبتنا عن مسلتين وحكي الاصمعي ان اعرابيا صلى واطال والي جانبه
قوم فقالوا ما احسن صلاتك فقال وانا مع ذلك صايم فقال اعرابي كان
فيهم ن صلى فاعجبني وصام فرابني خ القلوص عن المصلي الصايم
فانظر الي هذا الريا مع قبحه ما ادله على سخف عقل صاحبه وربما تاعد
الناس لظهور ريابه على الاستهزا بنفسه كالذي حكى ان زاهدًا نظر
الي رجل في وجهه سجاه كثيره وافقا على باب السلطان فقال مثل
هذا الدرهم بين عينيك وانت هاهنا فقال انه ضرب على غير السكه
وهذا من الاجوبه الخلاعه التي يدفع بها تهجين المذمه ولقد استحسن
الناس من الاشعث ابن قيس قوله وقد خفف صلاته مره فقال له

صلى فاعجبني وصام فرابني ... القلوص عن المصلي الصايم

بعض اهل المسجد خففت صلاتك جدا فقال انه لم تخالطها ريا فخلص
من تنقصهم وسلم من تعييبهم فنفى الريا عن نفسه ورفع التصنع عن
صلاته وقد كان الانكار لولا ذلك متوجها عليه واللوم لاحقا به
ومر ابو امامه ببعض المساجد فراي رجلا يصلي وهو يبكي فقال
انت انت كان هذا في بيتك فلم نرد لك منه حسنا لانه اتهمه
بالريا ولعله كان بريا منه فكيف لمن صار منه الريا على صفاته
واشهر سماته مع انه اثم من هبوب النسيم بما حمله ولذلك قال
عبد الله ابن المبارك افضل الزهد اخفا الزهد وربما اختبر
ذوا الفضل من نفسه ميلا الي المرايا فبعثه الفضل على هتك ما
نازعته النفس في المرايا وكان ذلك ابلغ من فضله كالذي حكي
عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه احس على المنبر بريح
خرجت منه فقال ايها الناس اني قد مثلت بين ان اخافكم في الله
تعالي وبين ان اخاف الله تعالي فيكم فكان ان اخاف الله فيكم احب
الي الا واني قد فسوت وها انا ذا انزل لاعيد الوضو وكان ذلك
منه زجرا لنفسه ليكف عن نزاعها الي مثله وقال عمر عبد العزيز
لمحمد بن كعب القرظي عظني قال لا ارضي نفسي لك اني لاجلس بين
الفقير والغني فاميل على الفقير واوسع للغني ولان طاعه في العمل
لوجهه

لوجهه لا لغيره وحكي ان قوما ارادوا سفرا فحادوا عن الطريق
فانتهوا الي راهب فقالوا قد ضللنا فكيف الطريق قال هاهنا
واوما بيده الي السما والقسم الثاني ان يفعل الزياده اقتدا
بغيره وهذا قد تثمره مجالسة الاخيار الافاضل وتحدثه مكاثرة الاشبا
الاماثل ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم المرا على دين خليله
فلينظر احدكم من يخالل فاذا كاثرهم المجالس وطاولهم المؤانس
احب ان يقتدي بهم في افعالهم ويتاسى بهم في اعمالهم ولا يرتضي
لنفسه ان ينقص عنهم ولا ان يكون في الخير دونهم فتبعثه المنافسة على
مساواتهم وربما دعته الحميه الي الزياده عليهم والمكاثره لهم فيصيروا
سببا لسعادته وباعثا على استزادته والعرب تقول لولا الوئام
هلك الانام لولا ان الناس يرى بعضهم بعضا فيقتدي بهم
في الخير لهلكوا ولذلك قال بعض الحكما ان من خير الاختيار
صحبه الاخيار ومن شر الاختيار موده الاشرار وهذا صحيح لان
للمصاحبه تاثيرا في اكتساب الاخلاق فيصلح اخلاق المرء مصاحبه
اهل الصلاح وتفسد بمصاحبه اهل الفساد وقال الشاعر

رايت صلاح المرء يصلح اهله ويعديهم عند الفساد اذا فسد
فيعظم في الدنيا بفضل صلاحه ويحفظ بعد الموت في الاهل والولد

وانشدني بعض اهل الادب لابي بكر الخوارزمي

لا تصحب الكسلان في حاجاته كم صالح بفساد اخر يفسد

عدوى البليد الى الجليد سريعة والجمر يوضع في الرماد فيخمد

والقسم الثالث ان يفعل الزيادة ابتدا من نفسه التماسا لثوابها
ورغبة في الزلفة بها فهذا من نتايج النفس الزكية ودواعي الرغبة
الوافية الدالين على خلوص الدين وصحة اليقين وذلك افضل
احوال العاملين واعلى منازل العابدين وقد قيل الناس في الخير
اربعة منهم من يفعله ابتدا ومنهم من يفعله اقتدا ومنهم من يتركه
استحسانا ومنهم من يتركه حرمانا فمن فعل ابتدا فهو كريم ومن فعله
اقتدا فهو حكيم ومن تركه استحسانا فهو ردي ومن تركه حرمانا
فهو شقي ثم لما يفعله من الزيادة حالتان احداهما ان يكون مقتصدا
فيها وقادرا على الدوام فهي افضل الحالتين واعلى المنزلتين عليهما
انقرض اخيار السلف وتبعهم فيها فضلا الخلف وقد روت عايشة
ان النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايها الناس اكلفوا من الاعمال ما
تطيقون فان الله تعالى لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل وخير
الاعمال ما ديم عليه والعرب تقول القصد والدوام وانت السابق
الجواد ولان من كان صحيح الرغبة في ثواب الله تعالى لم يكن له

مرة

مرة الا في طاعته قال عبد الله ابن المبارك قلت لراهب متى عيدكم
قال كل يوم لا اعصي الله تعالى فيه فهو يوم عيد انظر الى هذا
القول منه وان لم يكن من مقاصد الطاعة ما ابلغه في حث الطاعة
واحثه على بذل الاستطاعة وخرج بعض الزهاد في يوم عيد في
هيية رثة فقيل له اتخرج في مثل هذا اليوم في مثل هذه الهيئة والناس
يتزينون فقال ما يتزين لله تعالى بمثل طاعته والحال الثانية ان
يستكثر منها استكثار من لا ينهض بدوامها ولا يقدر على اتصالها
فهذا ربما كان بالمقصر اشبه لان الاستكثار من الزيادة اما ان يمنع من
ادا اللازم فلا يكون الا تقصيرا لانه تطوع بزيادة احدث نقصا وتنفل
منع فرضا واما ان يعجز عن استدامة الزيادة ويمنع من ملازمة الاستكثار
من غير اخلال بلازم ولا تقصير في فرض فهي ادنا قصر المسدي قليله
اللبث ولقليل العمل في طول الزمان افضل عند الله من كثير العمل في
قصير الزمان لان المستكثر من العمل في الزمان القصير قد يعمل زمانا
ويترك زمانا فربما صار في زمان تركه لاهيا او ساهيا والمقلل
في الزمان الطويل مستيقظ الافكار مستديم التذكار وقد روى
ابو صالح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان
للاسلام شرة وللشرة فترة فمن سدد وقارب فارجوه ومن اشير

اليه بالاصابع فلا تعدوه فجعل للاسلام شره وهي الايغال في الاستكثار
وجعل للشره فتره وهي الاهمال بعد الاستكثار فلم يخل بما اثبت
من ان تكون هذه الزيادة تقصيرا او اخلالا ولا اخبر بواحد
منهما وجعل الله العلم حاكما لك وعليك والحق قايدا لك واليك
ان للدنيا اذا وصلت تبعات موبقه واذا فارقت فجعات محرقه
وليس لوصلها دوام ولا من فراقها بد فروض نفسك على قطيعتها
لتسلم من تبعاتها ولا فراقها لتامن فجعاتها فقد قيل المرء مفترض
في عمره المنقرض مع ان العمر وان طال قصير والفراغ وان تم يسير
وانشدت لعلي ابن محمد شعر

اذا كملت للمرء ستون حجه فلم يحظ من ستين الا بسدسها
الم تر ان النصف للنيل حاصل وتذهب اوقات المقيل بخمسها
وتاخذ اوقات الهموم بحصه واوقات اوجاع تموت بمسها
فحاصل ما يبقى له سدس عمره اذا صدقته النفس عن علم حدسها

ورياضه نفسك لذلك تترتب على احوال ثلثه وكل حال منها يتشعب
وهي لتسهيل ما يليها سبب فالحال الاولى ان تصرف حب الدنيا عن
قلبك فانها تلهيك عن اخرتك ولا تجعل سعيك لها فيمنعك حظك منها
وتوق الركون اليها ولا تكن آمنا لها فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه

انه قال من اشرب قلبه حب الدنيا وركن اليها التاط منها بشغل لا يبلغ
عناه وامل لا يبلغ منتهاه وحرص لا يدرك مداه وقال عيسى ابن مريم
عليه السلام الدنيا لابليس مزرعه واهلها حراث له وقال علي
علي ابن ابي طالب عليه السلام مثل الدنيا مثل الحيه لين مسها قاتل سمها
فاعرض عما اعجبك منها لقله ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت
من فراقها وكن احذر ما تكون لها آنس ما تكون بها فان صاحبها كلما اطمان
منها الى سرور اشخصه عنها مكروه والى ايناس ازاله عنها ايحاش وقال
بعض البلغا ان الدنيا لا تصفو لشارب ولا تبقى لصاحب ولا تخلو من
فتنه ولا تخلي من محنه فاعرض عنها قبل ان تعرض عنك واستبدل
بها قبل ان تستبدل بك فان نعيمها يتنقل واحوالها تتبدل ولذاتها
تفنى وتبعاتها تبقى وقال بعض الحكما انظر الى الدنيا نظر
الزاهد المفارق ولا تتامل تامل العاشق الوامق وقال بعض
الشعراء

الا انما الدنيا كاحلام نايم وما عيش الا ان يكون بدايم
تامل اذا ما نلت بالامس لذه فافنيتها هل انت الا كحالم
فمن غافل عنه وليس بغافل ومن نايم عنه وليس بنايم

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من هوان الدنيا
على الله ان لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وروي سفير

ان الخضر قال لموسى عليهما السلام يا موسى اعرض عن الدنيا وانبذها
وراك فانها ليست لك بدار ولا لك فيها محل قرار وانما جعلت الدنيا
للعباد لتتزودوا منها للمعاد ٥ وقال عيسى ابن مريم عليه السلام الدنيا
قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وقال علي ابن ابي طالب عليه السلام
يصف الدنيا اولها عنا واخرها فنا حلالها حساب وحرامها عقاب
من صح فيها امن ومن مرض فيها ندم ومن استغنى فيها فتن ومن
افتقر فيها حزن ومن ساعاها فاتته ومن قعد عنها اتته ومن نظر
اليها اعمته ومن نظر بها بصرته ٥ وقال بعض البلغا ان الدنيا تقبل
اقبال الطالب وتدبر ادبار الهارب وتصل وصال الملول وتفارق
فراق العجول فخيرها يسير وعيشها قصير واقبالها خديعة وادبارها
فجيعة ولذاتها فانية وتبعاتها باقية فاغتنم غفوة الزمان وانتهز فرصة
الامكان وخذ من نفسك لنفسك وتزود من يومك لغدك ٥ وقال
وهب ابن منبه مثل الدنيا والاخرة مثل ضرتين ان ارضيت احدهما
اسخطت الاخرى ٥ وقال عبد الحميد الدنيا منازل فراحل ونازل
وقال بعض الحكما الدنيا اما نقمة نازلة واما نعمة زائلة وقيل
في منثور الحكم من الدنيا على الدنيا دليل وقال بعض الشعراء
اذا ابقت الدنيا على المرء دينه فما فاته منها فليس بضاير

فلن

فلن تعدل الدنيا جناح بعوضة ولا وزن زف من جناح لطاير
فما رضي الدنيا ثوابا لمومن ولا رضي الدنيا جزا لكافر
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا يومان يوم فرح ويوم
هم وترح وكلاهما زايل عنك فدعوا ما يزول واتعبوا انفسكم في العمل
لما لا يزول ٥ وقال عيسى ابن مريم عليه السلام لا تنازعوا اهل
الدنيا في دنياهم فينازعوكم في دينكم فلا دنياهم اصبتم ولا على دينكم
ابقيتم وقال علي ابن ابي طالب عليه السلام لا تكن ممن يقول في الدنيا
بقول الزاهدين ويعمل فيها بعمل الراغبين ان اعطي منها لم يشبع وان
منع منها لم يقنع يعجز عن شكر ما اوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي ينهى
ولا ينتهي ويامر بما لا ياتمر يحب الصالحين ولا يعمل بعملهم ويبغض الطالحين
وهو منهم وقال الحسن البصري الدنيا كلها غم فما كان منها من سرور
فهو ربح وقال بعض العلما ان الدنيا كثيرة التغيير سريعة التنكير
شديدة المكر دايمة الغدر فاقطع اسباب الهوى عن قلبك واجعل
ابعد املك بقية يومك وكن كانك ترى ثواب عملك وقال بعض
الحكما الدنيا اما مصيبة موجعة واما منية مفجعة وقال بعض الشعراء
خل دنيا فانها تعقب الخير شرها هي ام تعق من نسلها من يبرها
كل نفس فانها تبتغي ما يضرها والمنايا تسوقها والاماني تغرها

فاذا استحلت الحا اعقب الحلوم رها يستوي في صرنحه عبدا رصرق حرها
فاذا رضيت نفسك من هذه الحال بما وصفت اعتضت منها ثلث خلال
احداهن ان تكفا اشفاق المحب وحذر الوامق فليس لمشفوق نقه ولا لحاذر
راحه والثانيه ان تامن الاغترار بملاهيها فتسلم من عاديه دواهيها
فان اللاهي بها مغرور والمغرور فيها مذهو والثالثه ان تستريح
من طلب السعي لها ووصب الكد فيها فان من احب شيا طلبه ومن
طلب شيا كدله والمكدود فيها شقي وان ظفر ومحروم ان خاب
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لكعب يا كعب الناس
غاديان فبايع نفسه فموبقها ومشتر نفسه فمعتقها وقال عيسى عليه السلام
تعملون للدنيا وانتم ترزقون فيها بغير عمل ولا تعملون للاخره وانتم
لا ترزقون فيها الا بالعمل وقال بعض البلغا من نكد الدنيا انها لا
تبقى على حاله ولا تخلوا من استحاله تصلح جانبا بافساد جانب وتبس
صاحبا بمساة صاحب فالركون اليها خطر والثقه بها غرر وقال
بعض الحكما الدنيا مرتجعه الهبة والدهر حسود لا ياتي على شي
الا عبره ولمن عاش حاجه لا تنقضي ولما بلغ نزول من الدنيا افضل
مما سمت اليه نفسه بيدها وقال هذا سرور لولا انه غرور ونعيم
لولا انه عديم وملك لولا انه هلك وغنا لولا انه فنا وجسيم لولا
انه

انه ذميم ومحمود لولا انه مفقود وعبر لولا انه مبر وارتفاع لولا
انه انقطاع وعلا لولا انه بلا وحسن لولا انه حزن وهو يوم لو
وثق له بغد وقال بعض الحكما قد ملك الدنيا غير واحد من راغب
وزاهد فلا الراغب فيها استبقت ولا الزاهد فيها تركت وقال ابو
العتاهيه ه هي الدار دار الاذى والقذى ودار الفنا ودار العبر
فلو نلتها بحذافيرها لمت ولم تقض منها الوطر
ايا من يؤمل طول الخلود وطول الخلود عليه ضرر
اذا ما كبرت وبان الشباب فلا خير في العيش بعد الكبر
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اللهم اني اعوذ بك من علم
لا ينفع ونفس لا تشبع وقلب لا يخشع وعين لا تدمع هل يتوقع احدكم الا
غنا مطغيا او فقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما مقيدا او الدجال
وهو شر غايب ينتظر ام الساعه فالساعه ادهى وامر وحكي ان الله
تعالى اوحى الى عيسى ابن مريم عليه السلام ان هب لي من قلبك الخشوع
ومن بدنك الخضوع ومن عينك الدموع وادعني فاني قريب مجيب
وقال عيسى ابن مريم عليه السلام اوحى الله تعالى الى الدنيا من
خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه وقال بعض البلغا زد
من طول في قصر عملك فان الدنيا ظل الغمام وحلم النيام فمن عرفها

ثم طلبها فقد اخطا الطريق وحرم التوفيق ٥ وقال بعض الحكما
لا يومننك اقبال الدنيا عليك من ادبارها عنك ولا دوله لك
من اداله منك وقال اخر ما مضي من الدنيا كان لم يكن وما بقي
منها كما قد مضي وقيل لزاهد قد خلعت الدنيا فكيف سخت نفسك
عنها فقال ايقنت اني خارج منها كارها فرايت ان ادعها طايعا وقيل
لحرقه بنت النعمن ما لك تبكين فقالت رايت لاهلي غضاره ولم تمتلي
دار فرحا الا امتلات ترحا وقال ابن السماك من جرعته الدنيا حلاوتها
بميله اليها جرعته الاخره مرارتها لتجافيه عنها وقال صاحب كليله
طالب الدنيا كشارب ما البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا وكان
عمر ابن عبد العزيز يتمثل بهذه الابيات

نهارك يا مغرور سهو وغفله وليلك نوم والاسى لك لازم
تسر بما يفني وتفرح بالمني كما سر باللذات في النوم حالم
وتشغل عما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهايم

وسمع رجل رجلا يقول لصاحبه لا اراك الله مكروها فقال كانك دعوت
على صاحبك بالموت ان صاحبك ما صاحب الدنيا فلا بد ان يري مكروها
وقال ابو العتاهيه ٥ ان الزمان وان الان لاهله لمخاشن
خطوابه المتحركات كانهن سواكن ٥

ثم

ثم الحال الثانيه من احوال رياضتك لها ان تصدق نفسك فيما منحتك
من رعايتها فتعلم ان العطيه فيها مرتجعه والمنحه فيها مسترده بعد ان
يبقي عليك ما احتقبت من اوزار وصولها اليك وحسرات خروجها
عنك فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تزول قدم
ابن ادم حتي يسال عن ثلث شبابه فيما ابلاه وعمره فيما افناه
وماله من اين اكتسبه وفيم انفقه وروي عن عيسي ابن مريم عليه السلام
انه قال في المال ثلث خصال قالوا وما هن يا روح الله قال يكسبه
من غير حله قالوا فان كسبه من حله قال يضعه في غير حقه قالوا
فان وضعه في حقه قال يشغله عن عباده ربه ٥ ودخل ابو حازم
علي بشر ابن مروان فقال له يا ابا حازم ما المخرج مما نحن فيه
قال تنظر ما عندك فلا تضعه الا في حقه وما ليس عندك
فلا تاخذه الا بحقه قال ومن يطيق هذا يا ابا حازم قال فمن
اجل ذلك مليت جهنم من الجنه والناس اجمعين وعيرت
اليهود عيسي ابن مريم عليه السلام بالفقر فقال من الغني
ذهبتم ٥ ودخل قوم منزل عابد فلم يجدوا شيا يقعدوا عليه
فقال لهم لو كانت دار مقام لاتخذنا لها اثاثا ٥ وقيل لبعض الزهاد
الا توصي فقال بماذا اوصي والله ما لنا شي وما لنا عند احد

شي ولا لاحد عند ناشي انظر الي هذه الراحه كيف تعجلها والي
السلامه كيف صار اليها ولذلك قيل الفقر ملك ليس فيه محاسبة
وقيل لعيسى ابن مريم عليه السلام الا تتزوج فقال انما يحب التكثر في
دار البقا وقيل لو دعوت الله ان يرزقك حمارا فقال انا اكرم عند الله
تعالي من ان يجعلني خادما للحمار وقيل لابي حازم ما مالك فقال
شيئان الرضا عن الله والغنى عن الناس وقيل له انك لمسكين
فقال كيف اكون مسكينا ومولاي له ما في السموات وما في الارض
وما تحت الثرى وقال بعض الحكما رب مغبوط بنعمة هي داؤه
ومرحوم من سقم هو شفاؤه وقال بعض الادبا الناس اشتات
ولكل جمع شتات وقال بعض البلغا الزهد بصحه اليقين بنور
الدين فمن صح يقينه زهد في الثرى ومن قوي دينه ايقن بالجزا
فلا يغرنك صحه نفسك وسلامه امسك فمده العمر قليله وصحه اليقين
مستحيله وقال بعض الشعرا

رب مغروس يعاش به عدمته عين مغترسه
وكذلك الدهر مأتمه اقرب الاشيا من عرسه

فاذا رضت نفسك من هذه الحال بما وصفت اعتقت منها ثلث خلال
احداهن نصح نفسك وقد استسلمت اليك والنظر لها وقد اعتمدت عليك
فان

فان عاش نفسه مغبون والمنحرف عنها مافون والثانيه
الزهد فيما ليس لك ليكفي تكلف طلبه وتسلم من تبعات كسبه والثالث
ان ينتهز الفرصة فيما اكتسب تضعه في حقه ان تونيه لمستحقه
ليكون لك ذخرا ولا يكون عليك وزرا فقد روي ان رجلا
قال يا رسول الله اني اكره الموت فقال الك مال قال نعم قال قدم مالك
فان قلب كل امرئ عند ماله وقالت عايشه رضي الله عنها ذبحنا
شاة فتصدقنا بها فقلت يا رسول الله ما بقي منها الا كتفها فقال كلها بقي
الا كتفها وحكي ان عبد الله ابن عبد الله ابن عتبه ابن مسعود باع
دارا بثمانين الف درهم فقيل له اتخذت لولدك من هذا ذخرا فقال
انا اجعل هذا المال ذخرا لي عند الله واجعل الله ذخرا لولدي
وتصدق بها ه وعوتب سهل ابن عبد الله المروزي في كثره الصدقه
فقال لو ان رجلا اراد ان ينتقل من دار الي دار هل كان يبقي
في الاولي شيا ه وقال سليمن ابن عبد الملك لابي حازم ما لنا
نكره الموت قال لانكم اخربتم اخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم ان
ان تنتقلوا من العمران الي الخراب ه وقيل لعبد الله بن عمر
ترك زيد بن حارثة ما به الف دينار فقال لكنها لا تتركه وقال
الحسن البصري ما انعم الله على عبد نعمه الا وعليه فيها تبعه

لسليمن بن داود قال الله تعالى هذا عطاونا فامنن او امسك
بغير حساب ٥ وقال ابو حازم ان عوفينا من شر ما اعطينا لم يضرنا
فقد ما زوي عنا ٥ وقال بعض السلف قدموا كلاً لتكون لكم
ولا تخلفوا كلاً فتكون عليكم ٥ وقال ابرهيم نعم القوم السوال يدقون
ابوابكم يقولون توجهون الى الاخرة شيا ٥ وقال سعيد ابن المسيب
مر بي صلة ابن اشيم فما تمالكت ان نهضت اليه فقلت يا ابا الصهبا
ادع فقال رغبك الله فيما يبقى وزهدك فيما يفنى ووهب لك اليقين
الذي لا تسكن النفوس الا اليه ولا يعول في الدين الا عليه ولما
ثقل عبد الملك ابن مروان راى غسالا يلوي بيده ثوبا فقال وددت
اني كنت غسالا لا اعيش الا بما اكسبه يوما فيوما فبلغ ذلك ابا حازم
فقال الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه ولا نتمنى عنده
ما هم فيه ٥ وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول ابن
ادم مالي مالي ما لك من مالك الا ما اكلت فافنيت وكسيت
فابليت واعطيت فامضيت ٥ وقال خالد ابن صفوان بت ليلتي اتمنى
فكبست البحر الاخضر بالذهب الاحمر فاذا الذي يكفيني من ذلك
رغيفان وكوزان وطمران ٥ وقال مورق العجلي يا ابن ادم في كل يوم
يوتى بكل رزقك وانت تحزن وينقص عمرك وانت لا تحزن تطلب
ما

ما يطغيك وعندك ما يكفيك وقال ابو حازم انما بيني وبين
الملوك يوم واحد اما امس فلا يجدون لذته وانا وهم من
غد على وجل وانما هو اليوم فعسى ان تكون وقال بعض السلف
تعز عن الشي اذا منعته لقلة ما يصحبك اذا اعطيته وقال بعض
الحكما من ترك نصيبه من الدنيا استوفى حظه في الاخرة ٥
وقال اخر ترك التلبس بالدنيا قبل التشبث بها اهون من
رفضها بعد ملابستها ٥ وقال اخر ليكن طلبك للدنيا اضطرارا
وفكرتك في الامور اعتبارا وسعيك لمعادك ابتدارا وقال اخر
الزاهد من لا يفقد المطلوب حتى يفقد الموجود وقال اخر من
امن بالاخرة لم يحرص على الدنيا ومن ايقن بالمجازاة لم يوثر على
الحسنى وقال اخر من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر
وقال ابو العتاهية ٥ ارى الدنيا لمن هي في يديه عذابا كلما كثرت عليه
تهين المكرمين لها بصغر وتكرم من هانت عليه
اذا استغنيت عن شي فدعه وخذ ما كنت محتاجا اليه
وحكى الاصمعي قال دخلت على الرشيد يوما وهو ينظر في كتاب
ودموعه تسيل على خده فلما بصر بي قال ارايت ما كان مني
قلت نعم يا امير المومنين اما انه لو كان لامر الدنيا ما رايت هذا

ثم رمى بالقرطاس الي فاذا فيه شعر ابي العتاهية

هل انت معتبر بمن خربت منه غداة قضى دساكره

وبمن اذل الدهر مصرعه فتبرات منه عساكره

وبمن خلت منه اسرته وبمن خلت منه منابره

درست محاسن وجهه ونفى عنه السرور ترى بباشره

اين الملوك وابن غيرهم صاروا مصيرا انت صائره

يا مؤثر الدنيا للذته والمستعد لمن بها يفاخره

ما بالك ان نال من الدنيا فان الموت اخره

فقال الرشيد والله لكانه يطالب بهذا الشعر دون الناس فلم يلبث بعده الا يسيرا حتى مات ه ثم الحال الثانية من احوال رياضتك لها ان تكشف لنفسك حال اجلك وتصدقها عن غرور املك حتى لا يطول لك الامل اجلا قصيرا ولا ينسيك موتا ولا نشورا ه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايها الناس ان الايام تطوى والامل يقوى والاعمال تفنى والابدان في الثرى تبلى والليل والنهار يتراكضان تراكض البريد يقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد وفي ذلك عباد الله ما الهي عن الشهوات ورغب في الباقيات الصالحات وقال مسعر كم من مستقبل يوما وليس

وليس يستكمله ومنتظر غدا وليس من اجله ولو رايتم الاجل ومسيره لابغضتم الامل وغروره ن وقال رجل من الانصار للنبي صلى الله عليه وسلم من اكيس الناس قال اكثرهم ذكرا للموت واشدهم استعدادا اولئك الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الاخرة وقال عيسى ابن مريم عليه السلام كما تنامون كذا تستيقظون كذلك تبعثون ه وقال علي ابن ابي طالب عليه السلام ايها الناس اتقوا الله الذي ان قلتم سمع وان اضمرتم علم وبادروا الموت الذي ان هربتم ادرككم وان اقمتم اخذكم وقال العلا ابن المسيب ليس قبل الموت شي الا والموت اشد منه وليس بعد الموت شي الا والموت ايسر منه ه وقال بعض الحكما ان للباقي بالماضي معتبرا وللاخر بالاول مزدجرا والسعيد لا يركن الي الخدع ولا يغتر بالطمع وقال بعض الصلحا ان يتقال الي فنائك وان فنائك الي بقائك فخذ من فنائك الذي لا يبقى لبقائك الذي لا يفنى وقال بعض العلما اي عيش يطيب وليس للموت طبيب وقال بعض البلغا كل امرء جري في عمره الي غاية ينتهي اليها مدة اجله وينطوي عليها صحيفة عمله فخذ من نفسك لنفسك وقس يومك بامسك وكف عن سيئاتك وزد في حسناتك قبل

[illegible]

ان تسنوفي مده الاجل وتقصر عن الزياده في السعي والعمل وقيل
في منثور الحكم من لم يتعرض للنوايب تعرضت له وقال ابو العتاهيه

ما للمقابر لا تجيب اذا دعاهن الكيب ٥
حفر مسقفه عليهن الجنادل والكثيب ٥
فيهن ولدان واطفال وشبان وشيب ٥
كم من حبيب لم تكن نفسي بفرقته تطيب ٥
غادرته في بعضهن مجدلا وهو الحبيب ٥
وسلوت عنه وانما عهدي برؤيته قريب ٥

وعظ النبي صلى الله عليه وسلم رجلا فقال له اقلل من الدنيا
تعش حرا واقلل من الذنب يهن عليك الموت وانظر حيث تضع
ولدك فان العرق دساس ٥ وقال الرشيد لابن السماك عظني
واوجز قال اعلم انك اول خليفة تموت ٥ وعزى اعرابي رجلا
عن ابن له صغير فقال الحمد لله الذي خلصه مما ها هنا من الكدر
ما بين يديه من الخطر ٥ وقال بعض السلف من عمل للاخره احرزها
والدنيا ومن اثر الدنيا حرمها والاخره وقال بعض الصلحاء
استغنم تنفس الاجل وامكان العمل واقطع ذكر المقادير والعلل
فانك في اجل معدود ونفس محدود وعمر غير ممدود ٥ وقال بعض
الحكماء

الحكماء الطبيب معذورا اذا لم يدفع المحذور وقال بعض البلغاء اعمل
عمل المرتحل فان حادي الموت يحدوك واليوم ليس يعدوك وروي
عن علي ابن ابي طالب عليه السلام انه قال بعد موت رسول الله
صلى الله عليه وسلم غير جهول لا اجله يموت من جا اجله
ومن دنا من حتفه لم تغن عنه حيله وما بقي احد قد غاب عنه اوله
والمرء لا يصحبه في القبر الا عمله ٥ وقال ابو العتاهيه

لا تامن الموت في لحظ ولا نفس وان تمنعت بالحجاب والحرس
واعلم بان سهام الموت قاصده لكل مدرع فيها ومترس
ترجوا النجاه ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس

فاذا رضيت نفسك من هذه الحال بما وصفنا اغنتك منها ثلث خلال
احداهن ان تكفي تسويف بر دينك وتسويل محال بوذيك فان
تسويف الامل غرار وتسويل المحال اضرار والثانيه ان تستيقظ
بعمل اخرتك وتغتنم بقيه اجلك بخير عملك فان من قصر امله واستقل
اجله حسن عمله والثالثه ان يهون عليك ما اليس عنه محيص ويسهل
عليك حلول ما ليس الى دفعه سبيل فان من تحقق امرا توطا لحلوله
وهان عليه عند نزوله وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لابي ذر نبه بالتفكر قلبك وجاف عن النوم جنبك واتق الله ربك

وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لابي ذر عظني فقال ارض القوت
وخف الفوت واجعل صومك الدنيا وفطرك الموت وقال عمر ابن
عبد العزيز ما رايت يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه من يقين
نحن فيه فلين كنا مقرين انا الحمقى ولين كنا جاحدين انا الهلكى وقال الحسن
البصري نهارك ضيف فاحسن اليه فانك ان احسنت اليه ارتحل
بحمدك وان اسات اليه ارتحل بذمك وكذا ليلك وقال الجاحظ في
كتاب البيان وجد مكتوبا في حجر ابن ادم لو رايت يسير ما بقي من اجلك
لزهدت في طويل ما ترجوا من املك ولرغبت في الزيادة من عملك
ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت
بك قدمك واسلمك اهلك وحشمك وتبرا منك القريب وانصرف عنك
الحبيب ولما حضر بشر ابن صفوان الموت فرح فقيل له اتفرح بالموت
فقال اتجعلون قدومي على خالق ارجوه كمقامي مع مخلوق اخافه
وقيل لابي بكر رضي الله عنه في مرضه الذي مات فيه لو ارسلت
الى الطبيب فقال قد راني فقالوا ما قال لك قال اني فعال لما اريد
وقيل للربيع ابن خثيم وقد اعتل ندعوا لك بالطبيب فقال قد
اردت ذاك فذكرت عادا وثمودا واصحاب الرس وقرونا
بين ذلك كثيرا وعلمت انه كان فيهم الدا والمداوي فهلكوا جميعا
وسيل

وسيل ابو سروان متى يكون عيش الدنيا الذ فقال اذا كان الذي
ينبغي ان تعمله في حياته معمولا ه وقال بعض الحكما من ذكر المنيه
نسي الامنيه وقال بعض الادبا ه عن الموت تسل فهو لرشيد تسل
وقال بعض البلغا الامل حجاب الاجل وانشد بعض اهل الادب
لعلي عليه السلام ه

فلو انا اذا متنا تركنا ... لكان الموت غاية كل حي
ولكنا اذا متنا بعثنا ... ونسال كلنا عن كل شي

وقال بعض الشعراء

الا انما الدنيا مقيل لراكب ... قضا وطرا من منزل ثم هجرا
فراح ولا يدري على ما قدومه ... الا كل ما قدمت تلقى موفرا

وروي سعيد ابن مسعود ان ابا الدردا قال يا رسول الله اوصني
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكسب طيبا واعمل صالحا واسال الله
رزق يوم بيوم واعدد نفسك في الموتى وكتب الربيع ابن خثيم
الى اخ له قدم جهازك وافرغ من زادك وكن وصي نفسك
والسلام ه وقال بعض السلف اصاب الدنيا من حذرها واصابت
الدنيا من امنها ه ومر محمد ابن واسع بقوم فقيل له هاولاء
زهاد فقال وما قدر الدنيا حتى يحمد من زهد فيها ه وقال
بعض الحكما السعيد من اعتبر بامسه واستظهر لنفسه والشقي

والشقي من جمع لغيره وبخل على نفسه وقال بعض البلغا لاتمت
عن غير وصيه وان كنت من جسمك في صحه ومن عمرك في فسحه فان
الدهر خاين وكل ما هو كاين كاين وقال بعض الشعراء

من كان يعلم ان الموت مدركه والقبر مسكنه والبعث مخرجه
وانه بين جنات ستبهجه يوم القيمه او نار ستنضجه
فكل شي سوى التقوى به سمج وما اقام عليه منه اسمجه
ترى الذي اتخذ الدنيا له وطنا لم يدر ان المنايا سوف تزعجه

وروى جعفر ابن محمد ابن علي عن جابر ابن عبد الله عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال في بعض خطبه ايها الناس ان لكم نهايه فانتهوا
الى نهايتكم وان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان المومن بين
مخافتين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه واجل قد بقي لا
يدري ما الله تعالى قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه
ومن دنياه لاخرته ومن الحياه قبل الموت فان الله تعالى الدنيا
خلقت لكم وانكم خلقتم للاخره فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الموت
من مستعتب وما بعد الدنيا دار الا الجنه او النار ه وقال الحسن
البصري امس اجل واليوم عمل وغدا امل فاخذ ابو العتاهيه هذا المعنى
فقال ه ليس فيما مضى ولا في الذي لم ياتي من لذه لمستحليها

انما

انما انت طول عمرك ما عمرت في الساعه التي فيها
علل النفس بالكفاف والا طلبت منك فوق ما يكفيها

وقيل لزاهد ما بالك تمشي على عصى ولست بكبير ولا مريض قال لاني
اعلم اني مسافر وانها دار بلغه وان العصا من اله السفر ه وقال
بعض المتصوفه الدنيا ساعه فاجعلها طاعه ه وقال ذو القرنين
رتعنا في الدنيا جاهلين وعشنا فيها غافلين واخرجنا منها كارهين
وقال عبد الحميد الزاهد المراسير عمر يسير وقيل في بعض المواعظ
عجبا لمن يرجوا الثواب كيف لا يعمل وقال بعض الحكما المسي
ميت وان كان في دار الحياه والمحسن حي وان كان في دار الاموات
وكل بالاثر يومه او غده وقال بعض السلف الله المستعان على
السنه ونصف وقلوب تعرف واعمال تخالف ه وقال اخر ان الليل
والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما وقال اخر اعلموا الا خبركم من هذه الايام
التي تسير كانها طير وقال اخر الموت قد راك فخذ من دنياك لاخراك
وقال اخر عباد الله الحذر فوالله لقد ستر حتى كانه قد غفر ولقد
امهل حتى كانه قد اهمل وقال اخر الايام صحايف اعمالكم فخلدوها
اجمل افعالكم وقيل في منثور الحكم اقبل نصح السيب وان عجل
وقيل ما طلعت شمس الا وعظت بامس وقال محمد ابن بشير

مضى امسك الادنى شهيدا معدلا ويومك هذا بالفعال شهيد
فان تك بالامس اقترفت اساءة فثن باحسان وانت حميد
ولا ترج فعل الخير منك الى غد لعل غدا ياتي وانت فقيد
وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما رايت مثل
الجنة نام طالبها وما رايت مثل النار نام هاربها وقال عيسى ابن مريم
عليه السلام ان اوليا الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين نظروا
الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها فاماتوا منها ما خشوا
ان يميت قلوبهم وتركوا منها ما علموا انه سيتركهم وقال عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه الناس طالبان يطلبان فطالب يطلب الدنيا فارفضوها
في نحره فانه ربما ادرك الذي يطلب منها فهلك بما اصاب وطالب
يطلب الاخرة فاذا رايتم طالب الاخرة فنافسوه ودخل ابو الدردا الشام
فقال يا اهل الشام اسمعوا قول اخ ناصح واجتمعوا عليه فقال ما
لي اراكم تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تاكلون ان الذين
كانوا من قبلكم بنوا مشيدا واملوا بعيدا وجمعوا كثيرا فاصبح املهم
غرورا وجمعهم بورا ومساكنهم قبورا وقال ابو حازم ان الدنيا
غرت اقواما فعملوا فيها بغير الحق ففجاهم الموت فخلفوا اموالهم
لمن لا يحمدهم وصاروا الى من لا يعذرهم وقد خلفنا بعدهم فينبغي
لنا

لنا ان ننظر الذي كرهناه منهم فنجتنبه والذي غبطناهم به فنستعمله
ومر بعض الزهاد بباب ملك فقال باب حديد وموت عتيد ونزع
شديد وسفر بعيد ومر بعض الزهاد برجل قد اجتمع عليه الناس
فقالوا هذا مسكين سرق منه رجل جبة ومر به اخر فاعطاه جبة
فقال الحمد لله ان سعيكم لشتى وقال بعض الحكما ما انصف من
نفسه من ايقن بالحشر والحساب وزهد في الاجر والثواب وقال
اخر بطول الامل تقسو القلوب وباخلاص النية تقل الذنوب وقال اخر
اياك والمنى فانها من بضايع النوكى وتثبيط عن الاخرة والاولى
وقال اخر قصر املك فالعمر قصير واحسن سيرك فالدرب يسير وقال عبد الله
ابن المعتز نسير الى الاجال في كل ساعة وايامنا تطوى وهن مراحل
ولم نر مثل الموت حقا كانه اذا ما تخطته الاماني باطل
وما اقبح التفريط في زمن الصبا فكيف به والشيب في الراس شامل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى فعمرك ايام تعد قلايل
وكان عبد الملك ابن مروان يتمثل بهذين البيتين
فاعمل على مهل فانك ميت واكدح لنفسك ايها الانسان
فكان ما قد كان لم يك اذ مضى وكان ما هو كاين قد كان
ونظر سليمن ابن عبد الملك يوما في المراه فقال انا الملك الشاب فقالت

لدجاريه له ٥ ان نعم المتاع لو كنت تبقي غير ان لا بقا للانسان ٥

ليس فيما بدا لنا منك عيب كان في الناس غير انك فان ٥

روي عبد العزيز ابن عبد الصمد عن اياس عن انس قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته الجدعا فقال ايها الناس كان الموت فيها على غيرنا كتب وكان الحق فيها على غيرنا وجب وكان الذين نشيع من الاموات سفر عما قليل الينا راجعون نبوهم اجداثهم وناكل تراثهم كانا مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظه وامنا كل جائحه طوبي لمن شغله عيبه عن عيب غيره وانفق من حلال كسبه من غير معصيه ورحم اهل الذل في المسكنه وخالط اهل الفقه والحكمه طوبي لمن ادب نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته طوبي لمن عمل بعلم وانفق من فضل وامسك من قوله ووسعته السنه ولم يعدها الي بدعه وحفر الربيع ابن خثيم في داره قبرا وكان اذا وجد من قلبه قسوه جا فاضطجع في القبر فمكث فيه ما شا الله ثم يقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا ثم برد على نفسه فيقول قد رجعتك فجد فمكث على ذلك ما شا الله ٥ وقال ابو محرز الطفاوي كفتك القبور مواعظ الامم السالفه ٥ وقيل لبعض الزهاد ما ابلغ العظات قال النظر الي محلة الاموات فاخذه ابو العتاهيه فقال

وعظتك احداث صمت ونعتك ازمنه خفت ٥

وتكلمت عن اوجه تبلى وعن صور سبت ٥

واراك قبرك في القبور وانت حي لم تمت ٥

يا شامتا بمنيتي ان المنيه لم تفت ٥

ولربما انقلبت الشماته فحل بالقوم الشمت ٥

ووجد مكتوب على قبر قبرنا من قبرنا قصرنا للناظرين عبره وقال احمد من امل البقا وراي مصارع غيره فهو مغرور ٥ وقيل في منثور الحكم ما اكثر من يعرف الحق ولا يطيعه وقال بعض الحكما من لم تنفعه ... بعث وقال بعض الصلحاء لنا من كل ميت عظه بحاله وعظه بماله وقال بعض العلما من لم يتعظ بموت ولده لم يتعظ احد وقال بعض البلغا ما انصفت ساعة من امسك الا سمعه من نفسك واخذه ابو العتاهيه فقال

ان مع الدهر فاعلمن غدا فانظر بما ينقضي مجي غده ٥

ما ارتد طرف امرء بلذته الا وشي يموت من جسده ٥

ولما مات الاسكندر قال بعض الحكما كان الملك امس انطق منه اليوم وهو اليوم اوعظ منه امس فاخذ هذا المعنى ابو العتاهيه فقال ٥ كفى حزنا بدفنك ثم اني نفضت تراب قبرك عن يديا ٥

وكانت في حياتك لي عظات ... فانت اليوم اوعظ منك حيا

وقال بعض الحكما لو كان للخطايا ريح لافتضح الناس ولم يتجالسوا فاخذ
المعنى ابو العتاهية فقال

احسن الله بنا ان الخطايا لا تفوح ... فاذا المستور منا بين ثوبيه فضوح

وهذا كله ماخوذ من قول النبي صلى الله عليه وسلم لو تكاشفتم لما تدافنتم
وكتب رجل الى ابي العتاهية يا ابا اسحق اني واثق منك بود فاعني
باي انت على غي يرشدك فاجابه اطع الله بجهدك راغبا او دون
جهدك اعط مولاك الذي يطلب من طاعة ربك وقال بعض الحكما
من سره بنوه ساته نفسه فاخذ المعنى ابو العتاهية فقال

ابن ذي الابن كلما زاد منه مشرعا زاد في فنا ابيه
ما بقا الملح عليه بدرس البلى شباب بنيه

وفي معناه ما حكي عن دريد ابن الصمة انه عاش مائة وعشرين سنة
فلما حضرته الوفاة انشا يقول

اذا الرجال ولدت اولادها ... وارتعشت من كبر اجسادها
وجعلت اسقامها تعتادها ... تلك زروع قد دنا حصادها

وكتب رجل الى صالح ابن عبد القدوس

الموت باب وكل الناس داخله ... فليت شعري بعد الباب ما الدار

فكتب

فكتب اليه صالح: الدار جنة عدن ان عملت بما ... يرضي الاله وان فرطت فالنار
هما محلان ما للناس غيرهما ... فانظر لنفسك ماذا انت مختار

باب ادب الدنيا

ان الله تعالى بنافذ قدرته وبالغ حكمته خلق الخلق بتدبيره وفطرهم بتقديره
فكان من لطيف ما دبر وبديع ما قدر ان خلقهم محتاجين وفطرهم عاجزين
ليكون بالغنى منفردا وبالقدرة مختصا حتى يشعرنا بقدرته انه خالق
ويعلمنا بغناه انه رازق فنذعن بطاعته رغبة ورهبة ونقر بنقصنا
عجزا وحاجة ثم جعل الانسان اكثر حاجة من جميع الحيوان لان من الحيوان
ما يستقل بنفسه عن جنسه والانسان مطبوع على الافتقار الى جنسه
في الاستعانة به صفة لازمة لطبعه وخلقة قائمة في جوهره ولذلك
قال سبحانه وخلق الانسان ضعيفا يعني ضعيفا عن الصبر عما هو اليه مفتقر
واحتمال ما هو عاجز ولما كان الانسان اكثر حاجة من جميع الحيوان كان
اظهر عجزا لان الحاجة الى الشي افتقار اليه والمفتقر الى الشي عاجز به
وقد قال بعض الحكما المتقدمين استغناوك عن الشي خير من استغنائك به
وانما خص الله سبحانه وتعالى الانسان بكثرة الحاجة وظهور العجز نعمة عليه
ولطفا به ليكون ذل الحاجة ومهانة العجز يمنعان من طغيان الغنى
وبغي القدرة لان الطغيان مركوز في طبعه اذا استغنى والبغي مسبول

عليه اذا قلد وقد ابنا الله تعالى بذلك كلا ان الانسان ليطغى ان راه
استغنى ثم ليكونوا فوي الامور شاهدا على عجزه واوضحها دليلا على
عجزه انشدني بعض اهل الادب لابن الرومي بل هو للمتنبي

اعيرتني بالنقص والنقص شامل ومن ذا الذي يعطى الكمال فيكمل
واشهد اني ناقص غير انني اذا قيس بي قوم كثير تقللوا
تفاضل هذا الخلق بالفضل والحجى ففي ايما هذين انت فتفضل
ولو منح الله الكمال ابن ادم لخلده والله ما شا يفعل

ولما خلق الله الانسان ماس الحاجة ظاهر العجز جعل لنيل حاجته
اسبابا ولدفع عجزه حيلة دله عليهما بالعقل وارشده اليهما بالفطنه
قال الله تعالى والذي قدر فهدى قال مجاهد قدر احوال خلقه
فهدى الى سبيل الخير والشر وقال ابن مسعود في قوله تعالى وهديناه
النجدين يعني الطريقين طريق الخير وطريق الشر ثم لما كان العقل دالا
على اسباب ما تدعوا الحاجة اليه جعل الله تعالى الادراك والظفر
موقوفا على ما قسم وقدر لكي لا يعتمدوا في الارزاق على عقولهم
وفي العجز على فطنهم لتدوم له الرغبة والرهبة ويظهر منه الغنى
والقدرة وربما عزب هذا المعنى عمن ساطنه بمخالفة حتى صار سببا لضلاله
كما قال الشاعر سبحان من انزل الايام منزلها وصير الناس مرفوضا ومرموقا
فعاقل

فعاقل فطن اعيت مذاهبه وجاهل خرق تلقاه مرزوقا
ذاك الذي ترك الالباب حايرة وصير العاقل النحرير زنديقا

ولو حسن ظن العاقل حتى صح نظره لعلم من علل المصالح ما صار بها
صديقا لا زنديقا لان من علل المصالح ما هو ظاهر ومنها ما هو
غامض ومنها ما هو متغيب حكمه استاثر بها ولذلك قال النبي صلى
الله عليه وسلم حسن الظن بالله من عبادة الله ثم ان الله تعالى
جعل اسباب حاجاته وحيل عجزه في الدنيا التي جعلها دار تكليف
وعمل كما جعل الاخرة دار قرار وجزا فلزم لذلك ان يصرف الانسان
الى دنياه حظا من عنايته لانه لا غنا به عن التزود منها لاخرته
ولا له بد من سد الخلة فيها عند حاجته وليس في هذا القول نقض
لما ذكرنا قبل من ترك فضولها وزجر النفس عن الرغبة فيها بل
الراغب فيها ملوم وطالب فضولها مذموم والرغبه انما تختص بما جاوز
قدر الحاجة والفضول انما تطلق على ما زاد على قدر الكفايه وقد
قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه فاذا فرغت فانصب والى ربك
فارغب قال اهل التاويل يعني فاذا فرغت من امر دنياك فانصب
في عبادة ربك وليس هذا القول ترغيبا لنبيه فيها ولكن ندبه
الى اخذ البلغة منها وعلى هذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ح وانشد لبعض اهل الادب
من ظن بالله خيرا جاد مبتدرا
والبخل من سوء ظن المرء بالله

ليس خيركم من ترك الدنيا للاخرة ولا الاخرة للدنيا ولكن خيركم
من اخذ من هذه وهذه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال نعم المطية الدنيا فارتحلوها تبلغكم الاخرة وذم رجل الدنيا
عند علي ابن ابي طالب عليه السلام فقال علي الدنيا دار صدق
لمن صدقها ودار نجاة لمن فهم عنها ودار غنا لمن تزود منها وحكي
مقاتل ان ابرهيم الخليل عليه السلام قال يارب متى ازهد في طلب
الدنيا فقيل له امسك عن هذا فليس طلب المعاش من طلب الدنيا
وقال سفين الثوري مكتوب في التوراه اذا كان في البيت بر فتعبد
واذا لم يكن فاطلب يا ابن ادم حرك يدك يسبب لك رزقك
وقال بعض الحكما ليس من الرغبة في الدنيا اكتساب ما يصون
العرض فيها وقال بعض الادبا ليس من الحرص اجتلاب ما يقوت
البدن وقال محمود الوراق

لا تتبع الدنيا وايامها ذما وان دارت بك الدايره
من شرف الدنيا ومن فضلها ان بها تستدرك الاخره

واذ قد لزم بما بيناه النظر في امور الدنيا فواجب تستر احوالها والكشف
عن جهة انتظامها واختلالها ليعلم اسباب صلاحها وفسادها ومواد
عمرانها وخرابها لينتفي عن اهلها شبه الحيرة وتجلى لهم اسباب الخيرة

فتقصدوا

فتقصدوا الامور من ابوابها ويعتمدوا الصلاح بقواعدها واسبابها
اعلم ان صلاح الدنيا معتبر من وجهين اولهما ما ينتظم به امور جملتها والثاني
ما يصلح به حال كل واحد من اهلها فهما شيان لا صلاح لاحدهما الا بصاحبه
لان من صلحت حاله مع فساد الدنيا واختلاف امورها لن يعدم ان يتعدى
اليه فسادها ويقدح فيه اختلالها لان منها يستمد ولها يستعد
ومن فسدت حاله مع صلاح الدنيا وانتظام امورها لم يجد لصلاحها
لذة ولا لاستقامتها اثرا لان الانسان دنيا نفسه فليس يرى
الصلاح الا اذا صلحت له ولا يجد الفساد الا اذا فسدت عليه
لان نفسه اخص وحاله امس فصار نظره الى ما يخصه مصروفا
وفكره على ما يمسه موقوفا واعلم ان الدنيا لم تكن قط لجميع اهلها
مسعدة ولا عن كافة ذويها معرضة لان اعراضها عن جميعهم
عطب ولاسعادها لكافتهم فساد لايتلافهم بالاختلاف والتباين
واتفاقهم بالمساعدة والتعاون واذا تساوى جميعهم لم يجد احدهم
الى الاستعانة بغيره سبيلا وبهم من الحاجة والعجز ما وصفنا فيذهبوا
حينئذ ضيعة ويهلكوا عجزا واذا تباينوا واختلفوا صاروا مؤتلفين
بالمعاونة متواصلين بالحاجة لان ذا الحاجة وصول والمحتاج اليه
موصول وقال الله تعالى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك

خلقهم قال الحسن مختلفين في الرزق هذا غني وهذا فقير ولذلك
خلقهم يعني الاختلاف بالغنى والفقر قال الله تعالى والله فضل بعضكم
على بعض في الرزق عمران الدنيا اذا صلحت كان اسعادها موفورا
واعراضها ميسورا لانها اذا امنحت كرت او دعت واذا استردت
رفقت وابقت واذا فسدت الدنيا كان اسعادها مكرا واعراضها
غدرا لانها اذا امنحت كدرت واتعبت واذا استردت استاصلت
واجحفت ومع هذا فصلاح الدنيا مصلح لسائر اهلها لوفور اماناتهم
وظهور دياناتهم وفسادها مفسد لسائر اهلها لقلة اماناتهم وضعف
دياناتهم وقد وجد ذلك في شاهد الحال تجربة وعرفا كما يقتضي
دليل الحال تعليلا وكشفا فلا شي انفع من صلاحها كما انه لا شي
اضر من فسادها لان ما به تقوى ديانات الناس وتتوفر
اماناتهم فلا شي احق به نفعا كما انه ما به يضعف دياناتهم فلا شي
اجدر به ضررا وانشدت لابي بكر ابن دريد

الناس مثل زمانهم قد الحذا على مثاله
وكذاك اذا فسد الزمان جرى الفساد على رجاله
ورجال دهرك مثل دهرك في تقلبه وحاله

واذ بلغ بنا القول الى ذلك فسنبدا بما يصلح به الدنيا ثم نتلوه
بما

بما يصلح به الدنيا ثم نتلوه بما يصلح به حال الانسان فيها اعلم ان ما
يصلح به الدنيا حتى تصير احوالها منتظمة وامورها ملتئمة ستة
اشيا هي قواعدها وان تفرعت وهي دين متبع وسلطان قاهر
وعدل شامل وامن عام وخصب دار وامل فسيح فاما القاعدة
الاولى وهي الدين المتبع فلانه يصرف النفوس عن شهواتها
ويعطف القلوب عن اراداتها حتى يصير قاهرا للسرائر زاجرا للضمائر
رقيبا على النفوس في خلواتها نصوحا لها في ملماتها فهذه امور لا يوصل
بغير الدين اليها ولا يصلح الناس الا عليها فكان الدين اقوى
قاعدة من صلاح الدنيا واستقامتها واجدى الامور نفعا في انتظامها
وسلامتها ولذلك لم يخل الله تعالى خلقه مذ فطرهم عقلا من
تكليف شرعي واعتقاد ديني ينقادون لحكمه فلا تختلف بهم الآرا
ويستسلمون لامره فلا يفترق فيهم الاهوا وانما اختلف العلما في العقل
والشرع هل جا معا مجيا واحدا او سبق العقل ثم يعقبه الشرع
فقالت طائفة جا العقل والشرع معا مجيا واحدا لم يسبق احدهما
صاحبه وقالت طائفة اخرى بل سبق العقل ثم يعقبه الشرع
لان بكمال العقل يستدل على صحة الشرع وقد قال الله تعالى ايحسب
الانسان ان يترك سدى وذلك لا يوجد عند اكمال عقله فثبت ان

ان الدين من اقوي القواعد في صلاح الدنيا وهو الفرد الاوحد
في صلاح الاخره وما كان به صلاح الدنيا والاخره فحقيق بالعاقل
ان يكون به متمسكا وعليه محافظا ه وقال بعض الحكما الادبا الادب
ادبان ادب شريعه وادب سياسه فادب الشريعه ما ادي
الفرض وادب السياسه ما عمر الارض وكلاهما يرجع الي العدل الذي
به سلامه السلطان وعماره البلدان لان من ترك الفرض فقد ظلم نفسه
ومن خرب الارض فقد ظلم غيره وقال سعيد ابن حميد

ما صحه ابدًا بنافعه حتى يصح الدين و الخلق

واما القاعده الثانيه فهي سلطان قاهر تاتلف برهبته الاهوا
المختلفه المخلفه وتجتمع بهيبته القلوب المتفرقه وتنكف بسطوته
الايدي المتغالبه وتنقمع من خوفه النفوس المتعانده لان في طباع
الناس من حب المغالبه علي ما اثروه والقهر لمن عاندوه وما لا ينكفوا
عنه الا بمانع قوي ورادع ملي وقد افصح المتنبي بذلك حيث يقول

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم
والظلم من خلق النفوس فان تجد ذا عفه فلعله لا تظلم

وهذه العله المانعه من الظلم لا تخلو من احد اربعه اشيا اما من
عقل زاجر او دين حاجز او سلطان رادع او عجز صادق واذا
تاملها

تاملها لم تجد خامسا مقترن بها ورهبه السلطان ابلغها لان العقل
والدين ربما كانا مضعوفين وبدواعي الهوي مغلوبين فتكون
رهبه السلطان اشد زجرا واقوي ردعا ه وقد روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ان السلطان ظل الله في الارض ياوي
اليه كل مظلوم ه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان
الله ليزع بالسلطان اكثر مما يزع بالقران وروي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال ان لله حراسا في السماء وحراسا في الارض
فحراسه في السماء الملايكه وحراسه في الارض الذين يقبضون ارزاقهم
يذبون عن الناس وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
الامام الجاير خير من الفتنه وكل لا خير فيه و في بعض الشر خيار
وقال عبد الله ابن مسعود [illegible] السلطان يفسد وما يصلح ه
الله تعالى به اكثر فان عدل فله الاجر وعليهم الشكر وان جار فعليه
الوزر وعليهم الصبر وروي ابو هريره قال سبت العجم بين
يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهى عن ذلك وقال لا
تسبوها فانها عمرت بلاد الله فعاش فيها عباد الله وقال
بعض البلغاء السلطان في نفسه امام متبوع وفي سيرته
دين مشروع فان ظلم لم يعدل احد في حكم وان عدل لم يجسر

احد علي ظلم ٥ وقال بعض الادبا ان اقرب الدعوات من
الاجابه دعوه السلطان الصالح واولي الحسنات بالاجر والثواب
امره ونهيه في وجوه المصالح فهذه اثار السلطان في احوال
الدنيا وما ينتظم امورها ثم لما في السلطان من حراسه الدين والذب
عنه ودفع الاهوا منه وحراسه التبديل فيه وزجر من شذ عنه
بارتداد او بغي فيه بعناد او سعي فيه بفساد وهذه امور لم
ينحسم عن الدين سلطان قوي ورعايه وافيه امرع فيه تبديل
ذوي الاهوا وتحريف ذوي الآرا فليس دين زال سلطانه
الا بدلت احكامه وطمست اعلامه وكان لكل زعيم فيه بدعه ولكل
عصر في وهايه اثر كما ان السلطان ان لم يكن عن دين تجتمع به القلوب
حتى تري اهل الطاعه فيه فرضا والتناصر عليه حتما لم يكن للسلطان
لبث ولا للايام صفو وكان سلطان قهر ومفسد دهر ومن هذين
الوجهين وجب اقامه امام يكون سلطان الوقت وزعيم الامه
ليكون الدين محروسا بسلطانه والسلطان جاريا علي سنن الدين
واحكامه وقد قال عبد الله ابن المعتز الملك بالدين يبقي والدين
بالملك يقوى واختلف الناس هل وجب ذلك بالعقل او بالشرع
فقالت طايفه وجب بالعقل لان معلوما من حال العقلا علي

اختلافهم

علي اختلافهم الفزع الي زعيم مندوب للنظر في مصالحهم ٥
وذهب اخرون الي وجوبه بالشرع لان المقصود بالامام القيام بامور
شرعيه كاقامه الحدود واستيفا الحقوق وقد كان يجوز الاستغنا
عنها بان لا يرد التعبد بها فبان يجوز الاستغنا عما لا يراد الا لها اولي وعلي
هذا اختلفوا في وجوب بعثة الانبيا فمن قال بوجوب ذلك بالعقل
قال بوجوب بعثة الانبيا ومن قال بوجوب ذلك بالشرع منع من وجوب
بعثة الانبيا لانه لما كان المقصود ببعثتهم تعريف المصالح الشرعيه وكان
يجوز من المتكلفين ان لا تكون هذه الامور مصلحه لهم لم تجب بعثة الانبيا اليهم
المتكلفين
فاما اقامه امامين وثلثه في عصر واحد فلا يجوز اجماعا واما في بلدان
شتى وامصار متباعده فقد ذهبت طايفه شاذه الي جواز ذلك لان
الامام مندوب للمصالح واذا كانا اثنين في بلدين او ناحيتين كان كل
واحد منهما اقوم بما في يديه واضبط لما يليه ولانه لما جاز بعثه
نبيين في عصر واحد لم يود ذلك الي ابطال النبوه لان الامامه اولي
ولا يودي ذلك الي ابطال الامامه وذهب الجمهور الي ان اقامه امامين
في عصر واحد لا يجوز شرعا لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا بويع الاميران فاقتلوا احدهما ٥ وروي عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال ان وليتم ابا بكر تجدوه قويا في دين الله ضعيفا في بدنه وان

وان وليتم عمر وجدتموه قويا في دين الله قويا في بدنه وان وليتم
عليا تجدوه هاديا مهديا فميز بظاهر هذا الكلام ان اقامه جميعهم في وقت
واحد لا يصح ولو صح لاشار اليه ونبه عليه والذي يلزم سلطان
الامه من امورها سبعه اشيا احدها حفظ الدين من تبديل فيه
والحث على العمل به من غير اهمال له والثاني حراسه البيضه والذب
عن الامه من عدو في دين او باغي نفس او مال والثالث عماره البلدان
باعتماد مصالحها وتهذيب سبلها ومسالكها والرابع تقدير ما يتولاه
من الاموال بسنن الدين من غير تحريف في اخذها وعطايها والخامس
معاناه المظالم والاحكام بالتسويه بين اهلها واعتماد النصفه في فصلها
والسادسه اقامه الحدود على مستحقيها من غير تجاوز فيها ولا تقصير عنها
والسابع اختيار خلفايه في الامور ان يكونوا من اهل الكفايه فيها والامانه
عليها فاذا فعل من افضى اليه سلطان الامه ما ذكرنا من هذه الاشيا
السبعه كان مؤديا لحق الله تعالى فيهم مستوجبا لطاعتهم ومناصحتهم
مستحقا لصدق ميلهم ومحبتهم وان قصر عنها ولم يقم بحقها وواجبها كان
بها مواخذا وعليها معاقبا ثم هو من الرعيه على استبطان معصيه ومقت
يتربصون الفرص لاظهارها ويتوقعون الدواير لاعلانها وقد
قال تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من
تحت

تحت ارجلكم تاويلان احدهما ان العذاب الذي من فوقهم امرا السو
والذي من تحتهم عبيد السو وهذا قول ابن عباس والثاني ان
العذاب من فوقهم الرجم والذي من تحتهم الخسف وهذا قول مجاهد
وسعيد ابن جبير وفي قوله او يلبسكم شيعا تاويلان احدهما انه الاهوا
المختلفه هذا قول ابن عباس والثاني انه الفتن والاختلاط وهذا
قول مجاهد وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من امير على
عشره الا وهو يجي يوم القيمه مغلوله يداه الى عنقه حتى يكون عدله هو الذي
يطلقه او يوبقه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خيار ايمتكم
الذين تحبونهم ويحبونكم وشرار ايمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم
ويلعنونكم وهذا صحيح لانه اذا كان ذا خير احبهم واحبوه واذا كان ذا
شر ابغضهم وابغضوه وقد كتب عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الى سعد
ابن ابي وقاص ان الله تعالى اذا احب عبدا حببه الى خلقه فاعرف
منزلتك من الله تعالى بمنزلتك من الناس واعلم ان ما لك عند الله مثل
ما لله عندك فكان هذا موضحا لمعنى ما ذكرنا واصل هذا ان خشية
الله تعالى تبعث على طاعته من خلقه وطاعته من خلقهم تبعثهم على
محبته فلذلك كانت محبتهم دليلا على خيره وخشيته وبغضهم دليلا
على شره وقله مراقبته وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لبعض خلفايه

ع ارجلهم

اوصيك ان تخشى الله تعالى في الناس ولا تخشى الناس في الله وقال
عمر بن عبد العزيز لبعض جلسايه اني اخاف الله تعالى فيما تقلدت فقال لست
اخاف عليك ان تخاف وانما اخاف عليك ان لا تخاف وهذا اوضح لان
الخايف من الله تعالى مامون الحيف كالذي روي عن عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه انه قال لابي مريم السلولي وكان الذي قتل اخاه زيد والله
اني لا احبك حتى تحب الارض الدم قال فتمنعني حقي بذلك فقال لا قال فلا
ضير انما ياسى على الحب النساء وقال عبد الرحمن ابن محمد قال اصدق
طلحه ابن عبيد الله ام كلثوم بنت ابي بكر مايه الف درهم وهو اول من اصدق
هذا القدر فمر بالمال على عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقال ما
هذا قالوا اصداق ام كلثوم بنت ابي بكر قال ادخلوه بيت المال واخبر
طلحه وقيل كلمة فقال اما انا فما علي لان كان عمر يرى له فيه حقا لا يرده
بكلامي ولين كان لا يرى فيه حقا ليردنه قال فلما اصبح عمر امر بالمال
فدفع الى ام كلثوم وحكى ان الرشيد حبس ابا العتاهية فكتب على جانب
الحبس اما والله ان الظلم لوم وما زال المسي هو الظلوم
الى ديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم
فاحس الرشيد بذلك فبكا بكا شديدا ودعا ابا العتاهية فاستحله
ووهب له الف دينار واطلقه واما القاعده الثالثه فهي عدل
شامل

شامل يدعوا الى الالفه ويبعث على الطاعة وتتعمر به الارض وتنمى
به الاموال ويكثر معه النسل ويامن به السلطان فقد قال الهرمزان
لعمر حين راه وقد نام متبذلا عدلت فامنت فنمت وليس شي اسرع
في خراب الارض ولا افسد لضماير الخلق من الجور لانه ليس يقف على
حد ولا ينتهي الى غايه ولكل جز منه قسط من الفساد حتى يستكمل
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بيس الزاد الى المعاد
العدوان على العباد وقال صلى الله عليه وسلم ثلث منجيات
وثلث مهلكات فاما المنجيات فالعدل في الغضب والرضا وخشية
الله في السر والعلانيه والقصد في الغنا والفقر واما المهلكات فشح
مطاع وهوى متبع واعجاب المرا بنفسه وحكي ان الاسكندر قال
لحكما الهند وقد راي قلة الشرايع بها صارت سنن بلادكم قليله قالوا
الحق من نفوسنا ولعدل ملوكنا فينا فقال لهم ايما افضل العدل ام الشجاعه
قالوا اذا استعمل العدل استغنى عن الشجاعة وقال بعض الحكما بالعدل
والانصاف تكون مدة الايتلاف وقال بعض البلغا ان العدل ميزان
الله تعالى الذي وضعه للخلق ونصبه للحق فلا تخالفه في ميزانه
ولا تعارضه في سلطانه واستعن على العدل بخلتين قلة الطمع وكثرة
الورع واذا كان العدل من احدى قواعد الدنيا التي لا انتظام

لا اعطا ام

لها الانفه ولا الاصلاح فيها الامنه وجب ان يبدا بعدل الانسان من
نفسه ثم بعدله في غيره فاما عدله من نفسه فيكون بحملها على
المصالح وكفها عن القبايح ثم بالوقوف في احوالها على اعدل الامرين
من تجاوز او تقصير فان التجاوز بها جور والتقصير فيها ظلم ومن
ظلم نفسه فهو لغيره اظلم ومن جار عليها فهو على غيره اجور ٥ وقد
قال بعض الحكما من توانى في نفسه ضاع واما عدله مع غيره فقد
ينقسم حال الانسان مع غيره ثلثة اقسم فالقسم الاول عدل الانسان
فيمن دونه كالسلطان مع رعيته والرييس مع صحابته فعدله فيهم
يكون فيهم باربعة اشيا باتباع الميسور وحذف المعسور وترك التسلط
بالقوة وابتغا الحق في السيره فان اتباع الميسور ادوم وحذف المعسور
اسلم وترك التسلط اعطف على المحبه وابتغا الحق ابعث على النصره وهذه
امور ان لم يسلم الزعيم المدبر منها كان الفساد بها اكثر والاختلال
بتدبيره اظهر ٥ وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اشد
الناس عذابا يوم القيمه من اشركه الله تعالى في سلطانه فجار في حكمه
وقال بعض الحكما الملك يبقى على الكفر ولا يبقى على الظلم وقال
بعض الادبا ليس للجاير جار ولا يعمر له دار وقال بعض البلغا
اقرب الاشيا صرعة الظلوم وانفذ السهام دعوة المظلوم ٥ وقال
بعض

بعض الملوك العجب من ملك استفسد رعيته وهو يعلم ان عزه
بطاعتهم ٥ وقال اردشير بن بابك اذا رغب الملك عن العدل
رغبت الرعية عن الطاعه ٥ وعوتب انوشروان على ترك عقاب
المذنبين فقال هم المرضى ونحن الاطبا فاذا لم نداوهم بالعفو فمن لهم
والقسم الثاني عدل الانسان مع من فوقه كالرعية مع سلطانها
والصحابه مع رييسها فقد يكون بثلثه اشيا باخلاص الطاعه وبذل
النصر وصدق الولاء فان اخلاص الطاعه اجمع للشمل وبذل النصر
ادفع للوهن وصدق الولا انفا لسو الظن وهذه امور ان لم تجتمع
في المرء تسلط عليه من كان يدفع عنه واضطر الى اتقا من
كان يتقي عنه كما قال البحتري

متى احوجت ذا كرم تخطا اليك ببعض افعال اللييم

وفي استمرار هذا اخلال بنظام جامع وبفساد صلاح شامل وقد قال ابرويز
اطع من فوقك يطعك من دونك وقال بعض الحكما الظلم مسلبة النعم
والبغي مجلبة النقم ٥ وقال بعض البلغا ان الله تعالى لا يرضى
عن خلقه الا بتادية حقه وحقه شكر النعمه ونصح الامه وحسن
الصنيعه ولزوم الشريعه والقسم الثالث عدل الانسان مع
اكفايه وقد يكون بثلثة اشيا بترك الاستطاله ومجانبة الادلال

وكف الاذى لان ترك الاستطاله آلف ومجانبه الادلال
اعطف وكف الاذى انصف وهذه امور ان لم تخلص في الاكفاء
اسرع فيهم تقاطع الاعدا ففسدوا وافسدوا وقد روي عن عمر ابن
عبد العزيز عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا انبيكم بشر الناس قالوا بلى يا رسول الله قال من
نزل وحده ومنع رفده وجلد عبده قال الا انبيكم بشر من ذلك قالوا
بلى يا رسول الله قال من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره ثم قال الا انبيكم
بشر من ذلك قالوا بلى يا رسول الله قال من يبغض الناس ويبغضونه
وحكي ان عيسى ابن مريم عليه وسلم قام خطيبا في بني اسرايل فقال يا
بني اسرايل لا تكلموا بالحكمه عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها اهلها
فتظلموهم ولا تكافوا ظالما فيبطل فضلكم يا بني اسرايل الامور ثلثه
امر تبين رشده فاتبعوه وامر تبين غيه فاجتنبوه وامر اختلف فيه
فردوه الى الله تعالى وهذا الحديث جامع لاداب العدل في
الاحوال كلها ٥ وقد قال بعض الحكما كل عقل لا يداوي به الكل
فليس بعقل تام وقال بعض الشعراء
ما دمت حيا فدار الناس كلهم فانما انت في دار المداراه
وقد يتعلق بهذه الطبقات امور خاصه يكون عدلهم فيها بالتوسط
في

في حالتين التقصير والسرف لان العدل ماخوذ من الاعتدال فما
جاوز الاعتدال فهو خروج عن العدل وقد قالت الحكما الفضايل
هيات متوسطه بين حالتين ناقصتين وافعال الخير توسط بين رذيلتين
فالحكمه واسطه بين الشر والجهاله والشجاعه واسطه بين التهجم والجبن
والعفه واسطه بين الشره وضعف الشهوه والسكينه واسطه بين
السخط وضعف الغضب والغيره واسطه بين الخلاعه والفدامه والتواضع
واسطه بين الكبر ودناءه النفس والسخا واسطه بين التقتير والتبذير
والحلم واسطه بين افراط الغضب وعدمه والموده واسطه
بين الخلابه وحسن الخلق والحيا واسطه بين القحه والحصر
والوقار واسطه بين الهزل والسخافه واذا كان ما خرج عن
الاعتدال الى ما ليس باعتدال خروجا عن العدل الى ما ليس بعدل
ولست تجد فسادا الا وسببه نتيجه الخروج فيه عن حال العدل
الى ما ليس بعدل كان ما خرج عن الاولى الى ما ليس باولى خروجا
عن العدل وقد قال بعض البلغاء السلطان السوء يخيف البري
ويصطنع الدني والبلد السوء يجمع السفل ويورث العلل والولد
السوء يشين السلف ويهدم الشرف والجار السوء يفشي السر ويهتك
الستر فجعل هذه الاشيا خروجا عن الاولى ما ليس باولى خروجا

عن العدل الى ما ليس بعدل ولبس نجد فسادا الا وسببه نتيجة
الخروج فيه عن حال العدل الى ما ليس بعدل من حالتي الزياده
والنقصان فاذا لا شي انفع من العدل كما انه لا شي اضر مما
ليس بعدل واما القاعده الرابعه فهو امر عام تطمين اليه
النفوس وتنتشر فيه الهموم ويسكن اليه البري ويانس به الضعيف
فليس لخايف راحه ولا لحاذر طمانينه وقال بعض الحكماء
الامن اهنا عيش والعدل اقوى جيش ولان الخوف يقبض الناس
عن مصالحهم ويحجزهم عن تصرفهم ويكفهم عن اسباب المواد التي بها
قوام اودهم وانتظام جملتهم وليس كان الامن نتايج العدل والخوف
نتايج ما ليس بعدل فقد يكون الخوف تاره بمقاصد الادميين الخارجه
عن العدل وتاره قد تكون باسباب حادثه عن غير مقاصد
الادميين فلا تكون خارجة عن حال العدل فمن اجل ذلك لم
يكن ما سبق من حال العدل مغنيا عن ان لا يكون الامن في
انتظام الدنيا قاعده كالعدل فاذا كان ذلك كذلك فالامن
المطلق ما عم والخوف قد يتنوع تاره ويعم فتنوعه بان يكون تاره
على النفس وتاره على الاهل وتاره على المال وعمومه ان يستوعب
جميع الاحوال ولكل واحد من انواعه حظ من الوهن ونصيب
من

من الحذر وقد يختلف باختلاف اسبابه ويتفاضل بتباين جهاته
ويكون بحسب اختلاف الرغبه فيما اخيف عليه من اجل ذلك لم
يجز ان يضيف حال كل واحد من انواعه بمقدار من الوهن ونصيب
من الحزن لا سيما والخايف على الشي مختص الهم به فيتفرق الفكر
عن غيره فهو يظن الخوف الا اياه ويغفل عن قدر النعمه بالامن
فيما سواه نقصا وكالمريض الذي هو بمرضه متشاغل وعما سواه غافل
ولعل ما صرف عنه اعظم مما بلي به وانما توكل بالادنى وان
جل ما مضى وحكي ان رجلا قال لاعرابي ما حضر ما اشد وجع
الضرس فقال الاعرابي كل ذا اشد داء لكل من عليه الامر استولت
عليه العامه فهو لا يعرف قدر النعمه بامنه حتى يخاف كما
لا يعرف المعافا قدر النعمه بعافيته حتى يصاب قال بعض الحكما
انما يعرف قدر النعمه بمقاساه ضدها فاخذ ذلك ابو تمام الطايي
فقال
والحادثات وان اصابك بوسها فهو الذي انباك كيف نعيمها
فالاولي بالعاقل ان يتذكر عند مرضه وخوفه قدر النعمه
فيما سوي ذلك من عافيته او امنه وما انصرف عنه مما هو
اشد من مرضه وخوفه ليستبدل بالشكوى شكرا وبالجزع
صبرا فيكون مسرورا فرحا حكي ان يعقوب قال ليوسف

عليها السلام حين لقيته اي شي كان خبرك بعدي قال الا تسلني
عما فعله بي اخوتي وسلني عما صنعه بي ربي واما القاعده الخامسه
فهي خصب دار تتسع به الاحوال ويشترك فيه ذوي الاكثار
والاقلال فيقل في الناس الحسد وينتفي عنهم تباغض العدم
وتتسع النفوس في التوسع وتكثر المواساه والتواصل وذلك من
اقوى الدواعي في صلاح الدنيا وانتظام احوالها لان الخصب
يوول الى الغنى والغنى يحدث الامانه والسخا كتب عمر الخطاب
رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري لا يستقضين الا ذا حسب
ومال فان ذا الحسب يخاف العواقب وذا المال لا يرغب في مال
غيره وقال بعض السلف اني وجدت خير الدنيا والاخره في
خصلتين وشر الدنيا والاخره في خصلتين فخير الدنيا والاخره في
التقى والغنا وشر الدنيا والاخره في الفجور والفقر وقال بعض
الشعرا ولم ار بعد الدين خيرا من الغنى ولم ار بعد الكفر شرا من الفقر
وعيب الغنى يكون اقلال البخيل وعطاوه وادبار الجواد وسخاوه
كما قال دعبل لئن كنت لا تولي يدا غير مرم فلست بمول نائلا اخر الدهر
واي اناء لم يفض عند ملئه واي بخيل لم ينل ساعة الوفر
واذا كان الخصب يحدث من اسباب الصلاح ما وصفت كان الجدب
يحدث

يحدث من اسباب الفساد ما ضادها وكما ان صلاح الخصب
عام فكذلك فساد الجدب عام وما عم به ان وجد عم به الفساد
ان فقد فاحري ان يكون من قواعد الصلاح ودواعي الاستقامه
والخصب يكون من وجهين خصب في المكاسب وخصب في المواد
فاما خصب المكاسب فقد يتفرع من خصب المواد وهو من نتايج
الامن المقترن به واما خصب المواد فقد يتفرع عن اسباب الالاهيه
وهو من نتايج العدل المقترن بها واما القاعده السادسه فهو
امل فسيح يبعث على اقتنا ما يقصر العمر عن استيعابه ويبعث على
اقتنا ما ليس يوثق في دركه لحياة اربابه ولولا ان الثاني يرتفق
بما انشاه الاول حتى يصير به مستغنيا لافتقر اهل كل عصر الى
انشا ما يحتاجون من منازل السكنى وارض الحرث وفي ذلك
من الاعوان وتعذر الامكان ما لا خفا به فلذلك ما ارفق
الله تعالى خلقه باتساع الامال حتى عمر به الدنيا فعم صلاحها
وصارت تنتقل بعمرانها الى قرن بعد قرن فيتم الثاني ما ابقاه
الاول من عمارتها ويرم الثالث ما احدثه الثاني من شعثها
لتكون احوالها على الاعصار ملتيمه وامورها على مرور الدهر
منتظمه ولو قصرت الامال ما تجاوز الواحد حاجة يومه ولا

ولاتعدي ضروره وقته ولكانت تنتقل الي ما بعد خرابا الا
نجد فيها بلغةً ولا يُدرَكُ منها حاجةً ثم تنتقل الي من بعد باسواء
من ذلك حالاً حتى لا يبقي لها نبتٌ ولا يمكن فيها لبثٌ وقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الامل رحمه من الله تعالى
لامتي ولولاه ما غرس غارسٌ شجرًا ولا ارضعت ام ولدًا وقال
الشاعر ، وللنفوس وان كانت علي وجل من المنيه امال تقويها ،
، فالصبر يبسطها والدهر يقبضها والنفس تنشرها والموت يطويها ،
فاما حال الامل في امر الاخرة فهو من اقوي الاسباب في الغفله
عنها وقله الاستعداد بها وقد افصح لبيد ابن ربيعه مع اعراسه
ما بين به حال الامل في الامرين فقال
، واكذب النفس اذا حدثتها ان صدق النفس يزري بالامل ،
، غير ان لا تكذبنها في التقي واخزها بالبر لله الاجل ،
وفرق ما بين الامال والاماني ان الامال ما تقيدت بالاسباب
والاماني ما تجردت عنها فهذه القواعد الستة التي بها يصلح
احوال الدنيا وينتظم امور جملتها فان كملت فيها كمل صلاحها
وبعيد ان يكون امر الدنيا تاما كاملا وان يكون صلاحها عاما
شاملا لانها موضوعه على التغيير والفنا منشاه على التصرم والانقضاء
مغلوبه

مغلوبه وسمع بعض الحكما رجلاً يقول قلب الله الدنيا فقال
اذا تستوي لانها مغلوبه وقال بعض الشعراء
، ومن عادة الايام ان خطوبها اذا سر منها جانب ساء جانب ،
، وما اعرف الايام الا ذميمه ولا الدهر الا وهو للثار طالب ،
ونحسب ما اختل من قواعدها يكون اختلالها وقواعدها

فصل فاما ما يصلح حال الانسان فيها فثلثة اشيا
هي قاعدة امره ونظام حاله وهي نفس مطيعه الي رشدها
منتهية عن غيها والفة جامعه تنعطف القلوب عليها ويندفع
المكروه بها ومادة كافيه تسكن نفسه اليها ويستقيم اوده بها فاما
القاعدة الاولي التي هي نفس مطيعة فلانها اذا اطاعته ملكها
واذا عصته ملكته ولم يملكها ومن لم يملك نفسه فهو بان لا يملك
غيرها احري ومن عصته نفسه كان بمعصية غيرها اولي
وقد قال بعض الحكما لا ينبغي للعاقل ان يطلب طاعة غيره وطاعة
نفسه ممتنعة عليه وقال الشاعر اتطمع ان يطيعك قلب سعدي
وتزعم ان قلبك قد عصاكا
وطاعة نفسه تكون من وجهين احدهما نصح والثاني انقياد فاما
النصح فهو ان ينظر الي الامور بحقايقها فيري الرشد رشدا
ويستحسنه ويري الغي غيا ويستقبحه وهذا يكون من صدق

النفس اذا سلمت من دواعي الهوى ولذلك قيل من تفكر ابصر
فاما الانقياد فهو اسرع الى الرشد اذا امرها وتنتهي عن الغي
اذا زجرها وهذا يكون من قبول النفس اذا فنيت منازعة
الشهوات قال الله تعالى ويريد الذين يتبعون الشهوات ان
تميلوا ميلا عظيما وللنفس داب هي من تمام طاعتها وكمال مصلحتها
قد افردنا لها من هذا الكتاب بابا واقتصرنا في هذا الموضع
على ما اقتضاه الترتيب واستدعاه التقريب فاما القاعدة
الثانية التي هي الالفة الجامعة فلان الانسان مقصود بالاذية
محسود بالنعمة فاذا لم يكن الفا مالوفا تخطفته ايدي حاسديه
وتحكمت فيه اهوى اعاديه فلم تسلم له نعمة ولم تصف له مدة
واذا كان الفا مالوفا انتصر بالالفة على اعاديه وامتنع بهم
من حساده فسلمت نعمته منهم وصفت مدته عنهم وان كان
صفو الزمان عسرا وسلمه خطرا ه وقد روى ابن جريج عن
جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المومن الف مالوف
ولا خير فيمن لا يالف ولا يولف وخير الناس انفعهم للناس
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يرضى
لكم ثلثا ويكره لكم ثلثا يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به
شيا

شيا وان تعتصموا بحبله جميعا ولا تفرقوا وان تناصحوا من ولاه
الله امركم ويكره لكم قيل وقال وكثرة السوال واضاعة المال
وكل هذا حث منه على الالفة والعرب تقول من قل ذل وقال
قيس بن عاصم ه ان القداح اذا اجتمعن فرامها بالكسر ذو حنق وبطش ايد ه
عزت فلم تكسر فان هي بددت فالوهن والتكسير للمتبدد ه
واذا كانت الالفة كما ابنت تجمع الشمل وتمنع الذل اقتضت الحال ذكر
اسبابها واسباب الالفة خمسة وهي الدين والنسب والمصاهرة
والمودة والبر فاما الدين وهو الاول من اسباب الالفة فانه
يبعث على التناصر ويمنع من التقاطع والتدابر وبمثل ذلك
وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقاطعوا ولا تدابروا
ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم ان يهجر اخاه
فوق ثلث وهذا وان كان اجتماعهم في الدين مقتضيه فهو على
وجه التحذير من تذكر ترات الجاهلية واحن الضلالة فقد بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم والعرب اشد الناس تقاطعا
وتعاديا واكثرهم اختلافا وتماديا حتى بني الاب الواحد كانوا
يتفرقون احزابا مختلفة فينشو بينهم بالتحزب والافتراق احقادا
لاعداء واحن البعداء وكانت الانصار اشدهم تقاطعا وتعاديا

وكان بين الاوس والخزرج من الاختلاف والتباين اكثر من غيرهم
الى ان اسلموا فذهبت احنتهم وانقطعت عداوتهم وصاروا بالاسلام
اخوانا متواصلين وبالفه الدين اعوانا متناصرين قال الله تعالى
اذ كنتم اعدا فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا يعني اعدا
في الجاهليه فالف بين قلوبكم بالاسلام وقال الله تعالى ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا يعني حبا وعلى
وعلى حسب التالف على الدين تكون العداوه فيه اختلف باهله
فان الانسان قد تقطع في الدين من كان به برا وعليه مشفقا
هذا ابو عبيده ابن الجراح وكانت له المنزله العاليه في الفضل
والاثر المشهور في الاسلام قتل اباه يوم بدر واتي براسه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم طاعه لله ورسوله حتى بقي على
ضلاله وانهمك في طغيانه فلم يعطف عليه رحم ولا كفه عنه
اشفاق وهو من ابر الابنا فغلبنا للدين على النسب ولطاعه
الله تعالى على طاعه الاب وفيه انزل الله تعالى لا تجد قوما يومنون
بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباهم
او ابناهم او اخوانهم او عشيرتهم وقد تختلف اهل الدين على
مذاهب شتى واراء مختلفه فيحدث بين المختلفين فيه من العداوه
والتباين

والتباين مثل ما يحدث بين المختلفين في الاديان وعله ذلك
ان الدين والاجتماع على المعتقد الواحد فيه لما كان من اقوى
اسباب الالفه كان الاختلاف فيه من اقوى اسباب الفرقه واذا
تكافا اهل الاديان المختلفه والمذاهب المتباينه ولم يكن
احد الفريقين اعلى يدا واكثر عددا كانت العداوه بينهم اقوى
والاحن فيهم اعظم لانه ينضم الى عداوه الاختلاف تحاسد
الاكفا وتنافس النظراء واما النسب وهو الثاني من اسباب الالفه
فلان تعاطف الارحام وحميه القرابه يبعثان على التناصر والالفه
ويمنعان من التخاذل والفرقه انفه من استعلا الاباعد على الاقارب
وتوقيا من تسلط الغربا بالاجانب وقد روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال ان الرحم اذا تماست تعاطفت ولذلك
حفظت العرب انسابها لما امتنعت عن سلطان يقهرها ويكف الاذى
عنها ليكون به متظافره على من ناواها متناصره على من شاقها
وعاداها حتى بلغت بالفه الانساب وتناصرها عن القوي
الايدي وتحكمت به تحكم المتسلط وقد اعذر نبي الله لوط
نفسه حين عدم عشيرته بنصره فقال لمن بعث اليه لو ان لي
بكم قوه او اوي الى ركن شديد يعني الى عشيره مانعه فروي

ابو سلمه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله لوطاً لقد
كان ياوي الي ركن شديد يعني الله تعالي قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فما بُعث بعده من نبي الا في ثروه من قومه وقال
وهب ابن منبه لقد وجدت الرسل علي لوط وقالوا ان ركنك
لشديد ۝ وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لا يترك
المرء مغرجا حتي يضمه الي قبيله يكون فيها كل ذلك حثٌ منه علي
الالفة وكف عن الفرقه وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
من كثر سواد قوم فهو منهم واذا كان النسب بهذه المنزله من
الالفة فقد تعرض له عوارض تمنع منها وتبعث على الفرقه المنافيه
لها فاذن قد لزم ان نصف حال الانسان وما يعرض لها
من الاسباب وجمله الانساب انها تنقسم ثلثه اقسام قسم والدون
وقسم مولودون وقسم مناسبون ولكل صنف منهم منزله في
البر والصله وعارض نظرا فيبعث على العقوق والقطيعه
فاما الوالدون فهم الابا والامهات والاجداد والجدات وهم
موسومون مع سلامه احوالهم بخلقين احدهما لازم بالطبع والثاني
حادث باكتساب فاما ما كان لازما بالطبع فهو الحذر والاشفاق
وذلك لا ينتقل عن الوالد بحال وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه

انه قال لكل شي ثمره وثمره القلب الولد ۝ وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال الولد مبخله مجهله محبنه محزنه فاخبر ان الحذر عليه
بسبب هذه الاوصاف وتحدث هذه الاخلاق وقد كره قوم طلب
الولد كراهيه لهذه الحال التي لا يقدر على دفعها عن نفسه للزومها
طبعا وحدوثها حتما ۝ وقيل ليحيى ابن زكريا ما بالك تكره الولد
فقال ما لي وللولد ان عاش كدني وان مات هدني ۝ وقيل
لعيسي ابن مريم عليه السلام الا تتزوج فقال انما يحب التكثر في
دار البقا ۝ واما ما كان حادثا باكتساب فهي المحبه التي تنمي مع
الاوقات وتتغير مع تغير الحالات ۝ وقد روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ان الولد الوط يعني ان حبه يلتصق
بنياط القلب فان انصرف الوالد عن حب ولده فليس ذلك
لبغضه منه ولكن لسلو حدث من عقوق او تقصير مع بقا الحذر
والاشفاق الذي لا يزول عنه ولا ينتقل منه وقد قال محمد ابن
علي رضي الله عنه ان الله رضي الابا للابنا فحذرهم فتنتهم ولم يوصهم
بهم ولم يرض الابنا للابا فاوصاهم بهم وان شر الابنا من دعاه
التقصير الي العقوق وشر الابا من دعاه البر الي الافراط والامهات
اكثر اشفاقا واوفر حبا لما باشرت من الولاده وعانت من

من التربيه وانهن ارق قلوبا والين نفوسا وبحسب ذلك وجب
ان يكون التعطف عليهن اوفى جزا للفعلين والحقين وان كان الله
تعالى قد اشرك بينهما في البر وجمع بينهما في الوصيه فقال تعالى ووصينا
الانسان بوالديه حسنا ه وقد روي ان رجلا اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال ان لي اما انا مطيتها اقعدها على ظهري ولا اصرف
عنها وجهي وارد اليها كسبي فهل جزيتها قال لا ولا بزفرة واحدة
قال ولم قال لانها كانت تخدمك وهي تحب حياتك وانت تخدمها وانت
تحب موتها ه وقال الحسن البصري حق الوالد اعظم وبر الوالدة
الزم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انهاكم عن
عقوق الامهات ووأد البنات ومنع وهات وروي خالد بن
معدان عن المقدام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
الله تعالى يوصيكم بامهاتكم ثم يوصيكم بامهاتكم ثم يوصيكم بامهاتكم
ثم يوصيكم بابايكم ثم يوصيكم بالاقرب فالاقرب واما المولود
فهم الاولاد واولاد الاولاد والعرب تسمي ولد الولد الصفوه وهم
مختصون مع سلامه احوالهم بخلقين احدهما لازم والاخر منتقل
فاما اللازم فهو الانفة للابا من بعضهم او حمول والانفة في الابا
في مقابلة الاستنكاف في الابا وقد لحظ ابو تمام الطائي هذا المعنى
في شعره فقال ه فاصحب يلعانى الزمان من اجله باعظام مولود واشفاق والده
واما المنتقل فهو الادلال وهو اول حال الولد والادلال في
الابنا في مقابله المحبه في الابا لان المحبه في الابا اخص والادلال
بالابنا امس ه وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال قلت
يا رسول الله ما بالنا نرق على اولادنا ولا يرقون علينا قال لانا
ولدناهم ولم يلدونا ثم ان الادلال في الابنا قد ينتقل مع الكبر
الى احد امرين اما الى البر والاعظام واما الى الجفا والعقوق
فان كان الولد رشيدا وكان الوالد برا عطوفا صار الادلال
برا واعظاما وروى الزهري عن عامر ابن شراحيل عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لجابر ابن عبد الله ان حق الوالد على
الولد ان يخشع له عند الغضب ويوثره على نفسه عند السغابه
والنصب فان المكافي ليس بالواصل ولكن الواصل من اذا قطعت
رحمه وصلها وان كان الولد غاويا وكان الوالد جانيا صار
الادلال قطيعة وعقوقا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
رحم الله امرا اعان ولده على بره ه وبشر عمر الخطاب رضي الله عنه
فقال ريحانه اشمها ثم هو قريب ولد بارا او عدو ضار وقد
قيل في منثور الحكم العقوق ثكل من لم يثكل وقال بعض الحكما

ابنك ريحانتك سبعا وخادمك سبعا ووزيرك سبعا ثم هو
صديق او عدو واما المناسبون فهم من عدا الاباء والابناء ممن
يرجع بتعصيب او رحم والذين يختصون به الحميه الداعيه على النفرة
وهي ادنى رتبة من الانفة لان الانفة تمنع من التهضم والخمول
معا والحميه تمنع من التهضم وليس لها في كراهة الخمول نصيب
الا ان يقترن بها ما يبعث على الانفه وحميه المناسبين انما تدعوا
الى النصرة على البعداء الاجانب فهي معرضة الاداني والاقارب
موكله الى منافسه الصاحب فالصاحب فان حرست بالتواصل والتلاطف
تاكدت اسبابها واقترن بالحميه النسب مصافاه الموده وذلك اوكد
اسباب الالفه وقد قيل لبعض قريش ايما احب اليك اخوك او صديقك
قال اخي اذا كان صديقا ه وقال مسلم ابن عبد الملك العيش في
ثلثه سعه المنزل وكثرة الخدم وموافقة الاهل وقال بعض الحكما
البعيد قريب بمودته والقريب بعيد بعداوته وان اهملت الحال
بين المناسبين ثقه بلحمه النسب واعتمادا على حميه القرابه غلب عليهما
مقت الحسد ومنازعه المنافس فصارت الجمله المنافسه عداوه
والقرابه تباعدا وقال الكندي في بعض رسائله الاب رب
والولد كمد والاخ فخ والعم غم والخال وبال والاقارب عقارب
وقال

وقال عبد الله ابن المعتز شعر

لحومهم لحمي وهم ياكلونه ... وما داهيات المرء الا اقاربه

ومن اجل ذلك امر الله تعالى بصلة الارحام واثنى على واصليها فقال
تعالى والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون
سوء الحساب قال المفسرون هي الرحم التي امر الله تعالى بوصلها ويخشون
ربهم في قطعها ويخافون سوء الحساب في المعاقبه عليها وقد روى
عبد الرحمن ابن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى
انا الرحمن وانا الرحيم اشتققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن
قطعها قطعته ه وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال صلة الرحم منماه
للعدد مثراه للمال محبه في الاهل منساه في الاجل وقال بعض الحكماء
صلوا ارحامكم بالحقوق ولا تجفوها بالعقوق وقال بعض البلغاء
صلوا ارحامكم فانه لا يبلى عليها اصولكم ولا تهتضم عليها فروعكم ه
وقال بعض الادباء من لم يصلح لاهله لم يصلح لك ومن لم يذب عنهم لم
يذب عنك وقال بعض الفصحاء من وصل رحمه وصله الله ومن
اجار جاره اعانه الله واجاره وقال محمد ابن عبد الله الازدي

وحسبك من ذل وسوء صنيعة ... مناواة ذي القربى وان قيل قاطع
ولكن اواسيه وانسى عيوبه ... لترجعه يوما الي الرواجع

وقال عبد الله ابن الزبير ره

ولا يستوي في الحب عبدان واصل وعبد لارحام القرابه قاطع

واما المصاهره وهي الثالثه من اسباب الالفه فلانها استحداث مواصله
وتمازج مناسبه صدرا عن رغبه واختيار وانعقدا عن خبره وايثار
فاجتمع فيها اسباب الالفه ومواد المصاهره قال الله تعالي ومن
اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم موده
ورحمه يعني بالموده المحبه وبالرحمه الحنو والشفقه وهما من اوكد
اسباب الالفه وفيها تاويل اخر قال الحسن البصري الموده النكاح
والرحمه الولد وقال تعالي والله جعل لكم من انفسكم ازواجا
وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفده واختلف المفسرون في
الحفده فقال عبد الله ابن مسعود هم اختان الرجل علي بناته
وقال عبد الله ابن عباس هم ولد الرجل وولد ولده وحكي
عنه انهم بنو امراة الرجل من غيره وسموا حفده لتحففهم في الخدمه
وسرعتهم في العمل ومنه قولهم في القنوت واليك نسعي ونحفد
اي نسرع الي العمل بطاعتك ولم تزل العرب تجتذب البعدا
فتتالف الاعدا بالمصاهره حتي يرجع النافر مونسا ويصير
العدو المنابذ نصيرا والصهر بين الاثنين لحمه بين القبيلتين

وموالاه

وموالاه بين العشيرتين وحكي عن خالد بن يزيد انه قال
كان ابغض خلق الله الي آل الزبير حتي تزوجت فيهم رمله فصاروا احب
خلق الله الي وفيهم يقول

احب بني العوام طرا لاجلها ومن اجلها احببت اخوالها كلبا

فان تسلمي نسلم وان تتنصري يخط رجال بين اعينهم صلبا

ولذلك قيل المرا علي دين زوجته لما يستنزله الميل اليها من المتابعه
وتجتذبه الحب لها من الموافقه فلا يجد الي المخالفه سبيلا ولا الي
المباينه والمنافره طريقا واذا كانت المصاهره بالنكاح بهذه المنزله
من الالفه فقد يسعي بعقدها احد خمسه اوجه وهي المال والجمال
والدين والالفه والتعفف وقد روي سعيد ابن ابي سعيد
عن ابيه عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تنكح
المراه لاربع لمالها وجمالها ولحسبها ولدينها فعليك بذات الدين والجمال
تربت يداك فان كان عقد النكاح لاجل المال وكان اقوي الدواعي
اليه فالمال ادا هو المنكوح فان اقترن بذلك احد الاسباب الباعثه
علي الائتلاف جاز ان يثبت العقد وتدوم الالفه وان تجرد عن غيره
من الاسباب وعري عما سواه من المواد فاخلق بالعقد ان ينحل وبالالفه
ان تزول لا سيما اذا غلب الطمع وقل الوفا لان المال ان وصل اليه

فقد يعفي شين الالفه به وقد قيل من واذك ابنتي ولي مع
انقضايه وان اعوز الوصول اليه وتعذرت العدة عليه اعقب
ذاك اسهانه الانس بعد شدة الامل فحدث منه عداوة اجانب
بعد استحكام الطمع فصارت الوصلة فرقة والالفة عداوة
وقد قيل من ودك طمعا فيك ابغضك اذا ايس منك وقال
عبد الحميد من اعظمك لاستغنايك اهانك عند اقلالك وان
كان العقد رغبة في الجمال فذاك ادوم الفة من المال لان الجمال
صفة لازمه والمال صفة زايله ولذلك قيل حسن الصورة اول
السعاده وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اعظم
النسا بركه احسنهن وجها واقلهن مهرا فان سلمت الحال من الادلال
المفضي الى الملل استدامت الالفه واستحكمت الوصله وقد كانوا
يكرهون الجمال البارع اما لما يحدث عنه من شدة الادلال وقد
قيل من بسطه الادلال قبضه الادلال واما ما يخاف عليه من
محن الرغبه وبلوى المنازعه وقد حكي ان رجلا شاور حكيما
في التزوج فقال افعل رايك والجمال البارع فانه مرعى قال
الرجل وكيف قال كما قال الشاعر

ولن تصادف مرعى ممرعا ابدا الا وجدت به اثار ماكول

واما

واما ما يخافه اللبيب من شدة الصبوة وينوقاه الحازم من عواقب
الفتنه فقد قال بعض الحكما اياك ومخالطة النسا فان لحظ المراة
سهم ولفظها سم وراي بعض الحكما صيادا يكلم امراة فقال يا صياد
احذر ان تصطاد ه وقال سليمن ابن داود عليه السلام لابنه
امش وراء الاسد ولا تمش وراء المراه ه وسمع عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
امراه تقول ه ان النسا رياحين خلقن لكم وكلكم يشتهي شم الرياحين
فقال عمر الخطاب رضي الله عنه

ان النسا شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين

وان كان العقد رغبة في الدين فهو اوثق العقود حالا وادومها
الفه واحمدها بدءا وعاقبة لان طالب الدين متبع له ومن اتبع الدين
انقاد له فاستقامت حاله من الله ولذلك قال النبي صلى الله عليه
فاظفر بذات الدين تربت يداك وفيه تاويلان احدهما تربت يداك
ان لم تظفر بذات الدين والثاني انها كلمة تذكر للمبالغة لا يراد بها
سو كقولهم ما اشجعه قاتله ه وان كان العقد رغبة في الالفه فهذا
قد يكون على احد وجهين اما ان يقصد المكاثرة باجتماع الفريقين
او المضافرة بتناصر الفيتين واما ان يقصد به تالف اعدا متسلطين
استكفافا لعاديهم ونسخا لصولتهم وهذان الوجهان قد يكونان في

الامايل واهل المنازل وداعي الوجه الاول هو الرغبة وداعي
الوجه الثاني هو الرهبة وهما سببان في عقد المناكحين فان استدام
السبب دامت الالفة فان زال السبب بزوال الرغبة والرهبة
خيف زوال الالفة الا ان ينضم اليها احد الاسباب الباعثة عليها
والمقوية لها وان كان العقد رغبة في التعفف فهو الوجه الحقيقي
المتبع بعقد النكاح وما سواه فاسباب متعلقة عليه او مضافة
وروي انه لما نزل قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي
خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها قال النبي صلى الله عليه وسلم
خلق الرجل من التراب فهمه من التراب وخلقت المراة من الرجل
فهمها من الرجل وروي عطية ابن بشر عن عكاف ابن وداعة
الهلالي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا عكاف الك زوجة
قال لا قال له فانت اذن من اخوان الشياطين ان كنت من رهبان
النصارى فالحق بهم وان كنت منا فمن سنتنا النكاح وكان
هذا القول منه حثا على التعفف عن الفساد وباعثا على طلب
التكاثر بالاولاد ولهذا المعنى كان يقول النبي صلى الله عليه وسلم
للمقاتلين من غزوهم اذا افضيتم الى نسايكم فالكيس الكيس يعني
في طلب الولد فلزم حينيذ في عقد التعفف تحكيم الاختيار فيه
والتماس

والتماس الادوم ومن دواعيه وهي نوعان نوع يمكن حصر
شروطه ونوع لا يمكن لاختلاف اسبابه وتغاير شروطه فاما
الشروط المحصورة فيه فثلثة شروط احدها الدين المفضي الى
الستر والعفاف المودي الى القناعة والكفاف قال ابو هريرة
لا يترك مومن مومنة ان كره منها خلقا رضي خلقا اخر وخطب رجل
من عبد الله ابن عباس يتيمة كانت عنده فقال لا ارضاها لك
قال ولم وفي دارك نشات قال انها تتشرف قال لا ابالي قال
لاني لا ارضاك لها وفي معنى هذا قول بعض الحكما من رضي بصحبة
من لا خير فيه لم يرض بصحبة من فيه خير والثاني العقل الباعث على
حسن التقدير الامر بصواب التدبير فقد روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال العقل حيث كان الوف مالوف وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالودود الولود ولا
تنكحوا الحمقا فان صحبتها بلا وولدها ضياع والشرط الثالث
الاكفا الذين ينتفي بهم العار ويحصل بهم الاستكثار فقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تخيروا لنطفكم ولا تضعوها
الا في الاكفاء وقال اكثم ابن صيفي لولده يا بني لا يحملنكم جمال
النسا عن صراحة النسب فان المناكح الكريمة مدرجة الشرف

الشرط

٥

وقال ابو الاسود الديلي لبنيه قد احسنت اليكم صغارا وكبارا
وقبل ان تولدوا قالوا وكيف احسنت الينا قبل ان نولد قال اخترت
لكم من الامهات من لا تسابون بها وقال الرياشي

فاول احساني اليك تخيري لماجدة الاعراق باد عفافها

وقد ينضم الى هذه الشروط من صفات الذات واحوال النفس ما
يلزم التحذر منه لبعد الخير عنه وقلة الرشد فيه فان كثيرا من
الاخلاق بادية في الصور والاشكال كالذي روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال لزيد بن حارثة اتزوجت يا زيد قال لا
قال تزوج تستعفف مع عفتك ولا تتزوج من النساء خمسة
قال ومن هن يا رسول الله قال لا تتزوج شهبرة ولا لهبرة ولا
نهبرة ولا هيدرة ولا لفوتا قال يا رسول الله ما اعرف مما قلت
شيا قال اما الشهبرة فالزرقاء البذية واما اللهبرة فالطويلة
المهزولة واما النهبرة فالعجوز المدبرة واما الهيدرة فالقصيرة
الذميمة واما اللفوت فذات الولد من غيرك وقال شيخ من بني
سليم لابنه يا بني اياك والرقوب الغضوب القطوب اما الرقوب
التي تراقبه ان يموت فتاخذ ماله واوصى بعض الاعراب ابنا له
في التزويج فقال اياك والحنانة والمنانة والانانة فالحنانة التي
تحن

تحن الى زوج كان لها والمنانة التي تمن على زوجها بمالها والانانة
التي تان كسلا وتمارضا وقال اخر وهو اوس بن حارثة النساء
اربع فمنهن معمع لها شيئها اجمع ومنهن تبع تضر ولا تنفع ومنهن
صدع تفرق ولا تجمع ومنهن غيث وقع ببلد فامرع وقال اخر

اري صاحب النسوان يحسب انها سواء وبون بينهن بعيد
فمنهن جنات تفيء ظلالها ومنهن نيران لهن وقود

وانشد ابو العتاهية لابي زبيد

ان النساء كاشجار نبتن معا منهن مر وبعض المر ماكول
ان النساء ولو صورن من ذهب فيهن من هفوات الجهل تخييل
ان النساء متى ينهين عن خلق فانه واجب لا بد مفعول

فاما النوع الاخر فهو ما لا يمكن حصر شروطه لانه قد يختلف باختلاف
الاحوال وينتقل بتنقل الانسان والازمان وانه لا يستغنى فيه
عن موافقة النفس ومتابعة الشهوة ليكون ادوم لحال الالفة
وامد لاسباب الوصلة فان الراي المعلول لا يبقى على حاله والنيل
المدخول لا يدوم على دخله ولا بد ان ينتقل الى احدى حالتين اما
الى الزيادة والكمال واما الى النقصان والزوال وحكي ان
رجلا قال لعلي عليه السلام اني احبك واحب معاوية فقال علي عليه السلام

اما الان فانت اعور فاما ان تبرا واما ان تعمى واذا كان كذلك
فلا بدّ من كشف السبب الباعث على هذا النوع فانه لا يخلوا
من ثلثة احوال احدها ان يكون لطلب الولد فالاحمد فيه التماس
الحداثه والابكار لانها احص بالولاده وقد روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال عليكم بالابكار فانهن اعذب افواهًا
وانتق ارحامًا وارضى باليسير ومعنى قوله انتق ارحامًا اي اكثر اولادًا
وقال معاذ ابن جبل عليكم بالابكار فانهن اكثر حيآءً واقلهن خبًا وهذه
الحال هي اولى الاحوال الثلثه لان النكاح موضوع لها والشرع وارد
بها وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سوداء ولود خير
من حسنا عاقر والعرب تقول من لم يلد فلا ولد وقد كانوا يختارون
لمثل هذه الاحوال انكاح البعدا الاجانب ويرون ذلك انجب للولد
وابهى لخلقه ويجتنبون انكاح الاهل والاقارب ويرونه مصونًا
لخلق الولد بعيدًا من نجابته وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اغتربوا لا تضووا وروي عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
انه قال يا بني السايب قد اضويتم فانكحوا في الغرايب وقال الشاعر

تجاوزتُ بنت العم وهي حبيبةٌ مخافة ان يضوي علي سليلي

وكان حكما المتقدمين يرون ان انجب الاولاد خلقًا وخلقًا من
كانت

كانت سنّ امه ما بين العشرين والثلثين وسنّ ابيه ما بين الثلثين
والخمسين والعرب تقول ان ولد الغيرا انجب وان انجب النسا الفورك
لان الرجل يخلبها على الكره لزهدها في الرجال وقال ان الرجل اذا
اكره المراه وهي مذعوره ثم اذكرت انجبت والحال الثانيه ان يكون
المقصود به القيام به بما يتولاه النسا من تدبير المنازل فهذا وان
كان مختصا بمعاناه النسا فليبتنت الزم حالتي الزوجات لانه قد يجوز
ان يعانيه غيرهن من النسا ولذلك قيل المراه ريحانه وليست بقهرمانه
وليس في هذا القصد مايثر في دين ولا قدح في مروه ولا احد في
هذا النماس ذوي الاسنان والحنكه ممن قد خبر تدبير المنازل وعرف
عادات الرجل فانهن اقوم بهذه الحال والحال الثالثه ان يكون المقصود
به الاستمتاع وهذه اذم الاحوال الثلاثه واوهنها للمروه لانه يستفاد
فيه لاخلاقه البهيميه ويتابع شهواته الذميمه وقد قال الحرث ابن
النضر الاسدي عن النكاح نكاح الغلمه الا ان يفعل ذلك لكسر الشهوه
وقهرها بالاضعاف لها عند الغلبه او تسكين النفس عند المنازعه حتى
لا تطمح له عين بريبه ولا تنازعه نفس الى فجور فلا يلحقه في ذلك
ذم ولا يناله وصم وهو بالحمد اجدر وبالثنا احق ولو اتبع في مثل
هذه الحال عن استدلال الحراير الاما كان اكمل لمروته وابلغ في صيانته

وهذه حال تقع على شهوات النفوس لا يمكن ان ترجح فيها اولي
الامور ثم هي اخطر الاحوال بالمنكوحة لان للشهوات غايات متناهيه
تزول بزوالها ما كان متعلقا بها فتصير الشهوه في الابتدا كراهيه ه
الانتها وكذلك كرهت العرب البنات ووادتهن اشفاقا عليهن ورحمته
لهن من ان يسدلهن اللئام لمثل هذا الحال وكان من تحوب من قتل
البنات لرقه او محبه كان موتهن احب اليه واثر عنده خطب الى عقيل
ابن عقله ابنته الجربا فقال لا طاهر فان سبق الى المهر الف وعبدان
وذود عشر احب اصهاري الي القبر وقال عبد الله بن طاهر

• لكل ابي بنت يراعي شوونها ثلثه اصهار اذا حمد الصهر •
• فبعل يراعيها وخدر يكنها وقبر يواريها وخيرهم القبر •

فصل

واما المواخاه بالموده وهي الرابع الالفه فلانها تكسب
بصادق الميل اخلاصا ومصافاة وتحدث بخلوص المصافاه وفا ومحاماة
وهذه اعلى مراتب الالفه ه ولذلك اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين اصحابه لتزيد الفتهم ويقوي تظافرهم وتناصرهم ه وروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم باخوان الصدق
فانهم زينه في الرخا وعصمه في البلا وروي عن ابو الزبير عن
سهل ابن سعد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المرء كثير باخيه ولا

خير

خير في صحبه من لا يرى لك من الحق مثل ما يرى له وقال عمر ابن
الخطاب رضي الله عنه لقا الاخوان جلا الاحزان وقال خالد
ابن صفوان ان اعجز الناس من قصر في طلب الاخوان وان اعجز
الناس من ضيع من ظفر به منهم وقال علي لابنه الحسين عليهما
السلام يا بني الغريب من ليس له حبيب ه وقال ابن المعتز

• اخوانا كانوا لدا اعوانا ه وقال بعض الادبا افضل الذخاير اخ
وفي وقال بعض البلغا صديق مساعد عضد وساعد وقال
بعض الشعرا

• همومُ رجال في امور كثيره وهمي من الدنيا صديق مساعد •
• نكون كروح بين جسمين قسمت فجسماهما جسمان والروح واحد •

وقيل انما سمي الصديق صديقا لصدقه والعدو عدوا لعدوه عليك وقال
ثعلب انما سمي الخليل خليلا لان محبته تخلل القلب فلا تدع فيه خللا الا
ملاته وانشد قول بشار ه

• قد تخللت مسلك الروح مني وبه سمي الخليل خليلا •

والمواخاه في الناس قد تكون من وجهين احدهما مكتسبه بالاتفاق
والجاري مجرى الاضطرار والثاني مكتسبه بالقصد والاختيار فاما
المكتسبه بالاتفاق فهي اوكد حالا لانها تنعقد عن اسباب تقود
اليها والمكتسبه بالقصد يعقد لها اسباب تقاد اليها وما كان

جائما بالطبع فهو الزم مما هو حادث بالقصد ونحن نبدا بالوجه
الاول المكتسب بالاتفاق ثم نعقبه بالوجه الثاني المكتسب بالقصد
اما المكتسب بالاتفاق فله اسباب تبتدي منها ثم تنتقل في غاية احواله
المحدوده الي مراتب سبعه وربما استكملهن وربما وقف علي بعضهن ولكل
مرتبة من ذلك حكم خاص ونسب موجب كما قال الشاعر

ما هوي الا له سبب يبتدي منه وينشعب

فاول اسباب الاخا التجانس في كل حال يجتمعان فيها ويلتقيان بها فان
قوي التجانس قوي الائتلاف وان ضعف كان ضعيفا به ما لم تحدث
عليه اخري تقوي بها الائتلاف وانما كان كذلك لان الائتلاف
بالتشاكل والتشاكل بالتجانس فاذا عدم التجانس من وجه انتفا
التشاكل من كل وجه مع انتفا التشاكل يعدم الائتلاف فثبت ان
التجانس وان تنوع اصل الاخا وقاعدة الائتلاف وقد روي
يحيي بن سعيد عن عمره عن عايشه رضي الله عنها عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان الارواح جنود مجنده فما تعارف منها ائتلف
وما تناكر منها اختلف وهذا واضح وهي بالتجانس متعارفه وبفقده
متناكره وقد قيل في منثور الحكم الاضداد لا تتفق والاشكال لا
تفترق وقال بعض الحكما حسن تشاكل الاخوان يبعث التواصل وقال
بعض

بعض الشعراء

فلا تحتقر نفسي وانت خليلها فكل امرئ يصبو الى من يجانس

وقال اخر

فقلت اخي قالوا اخ من قرابه فقلت لهم ان الشكول اقارب
نسيبي في رايي وعزمي وهمتي وان فرقتنا في الاصول المناسب

ثم تحدث التجانس المواصله بين المتجانسين وهي المرتبه الثانيه من
رتب الاخا وسبب المواصله بينهما وجود الاتفاق منهما فصارت
المواصله نتيجه التجانس والسبب فيه وجود الاتفاق لان عدم
الاتفاق منفر وقد قال الشاعر

الناس ان وافقتهم عذبوا او لا فان جناهم مر
كم من رياض لا انيس بها تركت لان طريقها وعر

ثم تحدث عن المواصله رتبه ثالثه وهي المؤانسه وسببها الانبسا ط
ثم تحدث عن المؤانسه رتبه رابعه وهي المصافاه وسببها خلوص
النيه ثم تحدث عن المصافاه رتبه خامسه وهي الموده وسببها الثقه
وهذه الرتبه هي ادني الكمال في احوال الاخا وما قبلها اسباب تعود
اليها فان اقترن بها المعاضده فهي الصداقه ثم تحدث عن الموده
رتبه سادسه وهي المحبه وسببها الاستحسان فان كان سببها الاستحسان
لفضايل النفس حدثت منه رتبه سابعه وهي الاعظام وان كان
الاستحسان للصوره والحركات حدثت منه رتبه ثامنه وهي العشق

وسببه الطمع وقد قال المامون

اول العشق مزاح وولع ثم يزداد اذا زاد الطمع

كل من يهوي وان غالت به رتبة الملك لمن يهوى تبع

وهذه الرتبه وهي اخر الرتب المحدوده وليس لما جاوزها رتبه مقدره
ولا حال محدوده لانها قد تؤول الي ممازجة النفوس وان بعدت ديارها
وتفضي الي مخالطة الارواح وان تفارقت اجسادها وهذه حال لا يمكن
حصر غايتها ولا الوقوف عند نهايتها وقد قال الكندي الصديق انسان
هو انت الا انه غيرك ومثل هذا القول يحكى عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
في عمر حين اقطع طلحة ابن عبد الله ارضا وكتب له بها كتابا واشهد فيه ناسا
منهم عمر فاتى طلحة بكتابه الي عمر ليختمه فامتنع عليه فرجع طلحة مغضبا
الي ابي بكر وقال ما ادري انت الخليفة ام عمر فقال بل عمر لكنه انا واما
المكتسبه بالقصد فلا بد لها من دواع تدعوا اليها وباعث يبعث
عليها وذلك من وجهين رغبه وفاقه فاما الرغبه فهو ان يظهر
من الانسان فضايل يبعث على اخايه ويتسم بجميل يدعوا به الي
اصطفايه وهذه الحال اقوى من التي بعدها لظهور الصفات
المطلوبه من غير تكلف لطلبها وانما يخاف عليها من الاغترار بالتصنع لها
فليس كل من اظهر الخير كان من اهله ولا كل من تخلق بالحسنى كان
في

في طبعه والمتكلف للشي مناف له الا ان يدوم عليه مستحسنا في
العقل او مندوبا به في الشرع فيصير منطبعا به لا مطبوعا عليه
لانه قد تقدم في قول الحكما الكبير في الطبع ان يكون ما ليس في الطبع
ثم اقول في المتعذر ان يكون اخلاق الفاضل كامله بالطبع وانما الاغلب
ان يكون بعض فضايله بالطبع وبعضها بالتطبع الجاري بالعاده
مجري الطبع حتى يصير ما تطبع به في العاده اغلب عليه مما كان مطبوعا
عليه واذا خالف العاده ولذلك قيل العادة طبع ثان وقد قال ابن
الرومي ٥

واعلم بان الناس من طينة يصدق في الثلب لها الثالب

لولا علاج الناس اخلاقهم اذا لفاح الحمأ اللازب

واما الفاقه فهو ان يفتقر الانسان لوحشة انفراده ومهابة وحدته
الي اصطفا من يانس بمواخاته ويثق بنصرته وموالاته وقد قال
بعض الحكما من لم يرغب في ثلث بلي بست من لم يرغب في الاخوان
بلي بالعداوه والخذلان ومن لم يرغب في السلامه بلي بالشدايد
والامتهان ومن لم يرغب في المعروف بلي بالندامه والخسران
ولعمري ان اخوان الصدق من انفس الذخاير وافضل العدد
لانهم سهام النفوس واوليا النوايب وقد قالت الحكما رب صديق
اود من شقيق ٥ وقيل لمعاويه اي الناس احب اليك قال صديق

تحببني الى الناس وقال الشاعر

لموده من تخبك مخلصا خير من الرحم القريب الكاشح ٥ وقال آخر

يخونك ذو القربى مرارا وانما وفى لك بالعهد الذي لا تناسبه

فاذا عزم على اصطفا الاخوان سبر احوالهم قبل اخايهم وكشف عن اخلاقهم قبل اصطفايهم لما تقدم من قول الحكما اسبر تخبر ولا تبعثه الوحده على الاقدام قبل الخبره ولا حسن الظن على الاغترار بالتصنع فان الملق مصايد العقول والنفاق تدليس الفطن وهما سجيه المتصنع وليس فيمن يكون النفاق والملق بعض سجاياه خير يرجا ولا صلاح يومل ولاجل ذلك قالت الحكما اعرف الرجل من فعله لا من كلامه واعرف محبته من عينه لا من لسانه وقال خالد ابن صفوان انما نفقت على اخواني لاني لم استعمل معهم التكلف ولا قصرت بهم عن الاستحقاق وقال حماد عجرد ٥ كم من اخ لك لست تنكره ما دمت من دنياك في يسر

متصنع لك في مودته يلقاك بالترحيب والبشر

واذا عدا والدهر ذو غير دهر عليك عدا مع الدهر

فارفض باجمال موده من يقلي المقل ويعشق المثري

وعليك من حالاه واحده في العسر اما كنت واليسر

على ان الانسان موسوم بسيما من قارب ومنسوب اليه فاعل من صاحب

قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب ٥ وقال علي ابن ابي طالب عليه السلام الصاحب مناسب وقال عبد الله ابن مسعود ما شي ادل على شي ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب وقال بعض الحكما يظن بالمرء ما يظن بقرينه وقال عدي ابن زيد عن المرء لا تسال وسل عن قرينه فان القرين بالمقارن مقتدي ٥ فلزم من هذا الوجه ايضا ان يحترز من دخلا السو ويجانب صحبة اهل الريب ليكون موفور الغرض سليم العيب فلا يلام بلايمة غيره ولهذا قيل التثبت والارتياد ومداومة الاختيار والابتلا معقد بل معون وقد ضرب ذو الرمة مثلا بالما فيمن حسن ظاهره وخبث باطنه فقال الم تر ان الما يخبث طعمه وان كان لون الما ابيض صافيا ونظر بعض الحكما الى رجل سوء حسن الوجه فقال اما البيت فحسن واما الساكن فردي فاخذ بعض هذا المعنى فقال

رُبما بين البيان عنه منزل عامر وعقل خراب ٥ وانشد بعض اهل العلم ٥ لا تركنن الى ذي منظر حسن فرب رايقة قد سا مخبرها

ما كل اصفر دينار لصفرته صفر العقارب ادهاها وانكرها

ثم قد تقدم من قول الحكما من لم يقدم الامتحان قبل الثقه والثقه قبل الانس اثمرت مودته ندما ٥ وقال بعض البلغا مصارمة قبل

صوابه فكل قرين بالمقارن يقتدي
فان كان ذا شر فجنبه سرعة وان كان ذا خير فقارنه تهتدي

اختبارا وفصل من مواخاه علي اعتراره وقال بعض الادبا لا تثق
بالصديق قبل الخبره ولا توقع بالعدو قبل القدره وقال بعض الشعراء

لا تحمدن امرا حتى تجربه • ولا تذمنه من غير تجريب •
فحمدك المرا ما لم تبله خطا • وذمك المرا بعد الحمد تكذيب •

واذ قد لزم من هذين البيتين سبر الاخوان قبل اخاهم وخبره
اخلاقهم قبل اصطفاهم فالخصال المعتبره في اخاهم بعد المجانسه التي
هي الاتفاق اربع خصال فالخصلة الاولي عقل موفور يهدي الي مراشد
الامور فان الاحمق لا تثبت معه موده ولا يدوم لصاحبه استقامه
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال البذا لوم وصحبه
الاحمق شوم وقال بعض الحكما عداوه العاقل اقل ضررا من موده
الاحمق لان الاحمق ربما ضر وهو يقدر ان ينفع والعاقل لا يتجاوز
الحد في مضرته فمضرته لها حد يقف عليه العقل ومضره الجاهل
ليست بذات حد والمحدود اقل ضررا من غير المحدود وقال
المنصور للمسيب ابن زهير ما ماده العقل فقال مجالسه العقلا
وقال بعض البلغاء من الجهل صحبه ذوي الجهل ومن المحال مجادله
ذوي المحال وقال بعض الادبا من اشار عليك باصطحاب جاهل
او عاجز لم يخل ان يكون صديقا جاهلا او عدوا عاقلا لانه يشير بما يضر
بك

بك ويحتال فيما يضيع منك ه وقال بعض الشعراء

• اذا ما كنت متخذا خليلا • فلا تثقن بكل اخ اخا •
• فان خيرت بينهم فالصق • باهل العقل منهم والحيا •
• فان العقل ليس له اذا ما • تفاضلت الفضايل من كفا •

والخصله الثانيه الدين الواقف بصاحبه على الخيرات فان تارك الدين
عدو نفسه وكيف يرجا منه موده غيره ه وقد قال بعض الحكما
اصطف من الاخوان ذا الدين والحسب والراي والادب لانهم
رد لك عند حاجتك ويد عند نايبتك وانس عند وحشتك وزين
عند عافيتك وقال حسان ابن ثابت ه

• اخلا الرجال هم كثير ولكن في البلا هم قليل •
• فلا تغررك خله من تواخي فما لك عند نايبه خليل •
• وكل خليل يقول انا وفي ولكن ليس يفعل ما يقول •
• سوي خل له حسب ودين فذاك لما يقول هو الفعول •

وقال لحرج من لم تكن في الله خلته فخليله منه على خطر ه
والخصله الثالثه ان يكون محمود الاخلاق مرضي الافعال موثرا
للخير امرا به كارها للشر ناهيا عنه فان موده الشرير تكسب الاعدا
وتفسد الاخلاق ولا خير في موده تجلب عداوه وتورث مذمه

فان المتبوع تابع صاحبه وقال عبد الله ابن المعتز اخوان السوء
كشجر النار يحرق بعضه بعضا وقد قال بعض الحكما مخالطة الاشرار
خطر والصبر عليهم وعلى صحبتهم كركوب البحر الذي من سلم ببدنه من
التلف فيه لم يسلم بقلبه من الحذر منه وقال بعض الادبا صحبة الاشرار
تورث سوء الظن بالاخيار وقال بعض البلغاء ان من خير الاختيار صحبة
الاخيار ومن شر الاختيار صحبة الاشرار وقال بعض الشعراء

> صحبة الاشرار
> تورث البوار
> وتلزم العار
> وتدخل النار

مجالسة السفيه سفاه راي … ومن عقل مجالسة الحليم
فانك والقرين معا سواء … كما قد الاديم من الاديم

والخصلة الرابعة ان يكون من كل واحد منهما ميل الى صاحبه ورغبة
في مواخاته فان ذلك اوكد لحال المواخاة وامد لاسباب المصافاة وليس
كل مطلوب اليه طالب ولا كل مرغوب اليه راغب ومن طلب مودة ممتنع
عليه ورغب الى زاهد فيه كان معنى خائبا كما قال البحتري

وطلبت منك مودة لم اعطها … ان المعنى طالب لا يظفر

وقال العباس ابن الاحنف

عدوك من صديقك مستفاد … فلا تستكثرن من الصحاب
فدع عنك الكثير فكم كثير … يعاف وكم قليل مستطاب
فان الدا اكثر ما تراه … يكون من الطعام او الشراب

فما اللجج الملاح بمرويات … ويبقى الري في النطف العذاب

وقال بعض البلغاء ليكن غرضك في اتخاذ الاخلاء واصطناع النصحاء وكثرة
العدة لا تكثير العدة وتحصيل النفع لا تحصيل الجمع فواحد يحصل المراد خير
من الف تكثر الاعداد واذا كان التجانس والتشاكل من قواعد الاخوة
واسباب المودة كان وفور العقل وظهور الفضل يقتضي من حال صاحبه
قلة اخوانه لانه يروم مثله ويطلب شكله وامثاله من ذوي العقل
والفضل اقل من اضداده من ذوي الحمق والنقص لان الخيار في كل جنس
هو الاقل فلذلك ما قل وفور العقل والفضل وقد قال الله تعالى ان
الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون فقل لهذا التعليل
اخوان الفضل لقلتهم وكثر اخوان ذوي النقص والجهل لكثرتهم وقد قال
الشاعر

لكل امرء شكل من الناس مثله … واكثرهم شكلا اقلهم عقلا
وكل اناس آلفون لشكلهم … فاكثرهم عقلا اقلهم شكلا
لان كثير العقل ليس بواجد … له تريف حين يشكله مثلا
وكل سفيه طائش ان فقدته … وجدت له في كل ناحية عدلا

واذا كان الامر على ما وصفنا فقد احوال من دخل في عداد الاخوان
اربعة اقسام منهم من يعين ويستعين ومنهم من لا يعين ولا يستعين
ومنهم من يستعين ولا يعين ومنهم من يعين ولا يستعين فاما المعين

المستغني فهو معارض منتصف يؤدي ما عليه ويستوفي ماله
فهو كالقرض يُسعف عند الحاجة ويسترد عند الاستغناء فهو مشكور
في معونته معذور في استعانته وهذا اعدل احوال الاخوان واما
من لا يعين ولا يستعين فهو متارك قد منع خيره وقمع شره فلا
هو صديق يرجا ولا عدو يخشى وقد قال المغيرة ابن شعبة التارك للاخوان
متروك ومن كان كذلك فهو كالصورة الممثلة يروقك حسنها ويخونك
نفعها فلا هو مشكور لمنع خيره ولا هو مذموم لقمع شره وان كان
بالذم اجدر وقال بشار ابن برد

واسوا ايام الفتى يوم لا يرى له احدٌ يزري عليه وينكر

غير ان فساد الوقت وتغير اهله يوجب شكر من كان شره
مقطوعا وان كان خيره ممنوعا كما قال المتنبي

انا لفي زمن ترك القبيح به من اكثر الناس احسان واجمال

واما من يستعين ولا يعين فهو لئيم كَلٌّ ومهين مستذل قد قطع
عنه الرغبة وبسط فيه الرهبة فلا خيره يرجا ولا شره يؤمن
وحسبك مهانة برجل يستثقل عند اقلاله فليس لمثله في الاخلا
حظ ولا في الوداد نصيب وهو ممن جعله المامون من ذا الاخوان
لا من دوايهم ومن سمهم لا من غذايهم وقد قال بعض الحكما
ر

شر ما في الكريم ان يمنعك خيره وخير ما في اللئيم ان يكف عنك
شره وقال ابن الرومي ٥

عذرنا النخل في ابداء شوك يرد به الانامل عن جناه
فما للعوسج الملعون ابدا لنا شوكا بلا ثمر تراه

واما من يعين ولا يستعين فهو كريم الطبع مشكور الصنع فقد
حاز فضيلتي الابتدا والاكتفا فلا يرى ثقيلا في نائبة ولا يقعد
عن نهضة في معونة فهذا اشرف الاخوان نفسا واكرمهم طبعا
فينبغي لمن اوجده الزمان مثله وقل ان يكون له مثل لانه البر
الكريم والدر اليتيم ان يثني عليه خنصره ويعض عليه بناجذه
ويكون به اشد ظنا منه بنفايس امواله وسني ذخايره لان نفع
الاخوان عام ونفع الاموال خاص وما كان اعم نفعا فهو بالادخا ر
احق وقد قال الفرزدق

تمضي اخوك فلا تلقى له خلفا والمال بعد ذهاب المال يكتسب
وقال اخر لكل شي عدمته عوض وما لفقد الصديق من عوض

ثم لا ينبغي ان يزهد فيه لخلق او خلقين تنكرهما منه اذا رضي
ساير اخلاقه وحمد اكثر شيمه فان اليسير مغفور والكمال معوز
وقد قال الكندي ٥ كيف تريد من صديقك خلقا واحدا وهو ذو طبايع اربع

مع ان نفس الانسان التي هي اخص النفوس به ومدبره باختياره
وارادته لا تعطيه قيادها في كل ما يريد ولا تجيب الى طاعته في
كل ما احب فكيف بنفس غيره وحسبك ان يكون لك ممن احبك اكثره وقد
قال ابو الدردا معاتبة الاخ خير من فقده ومن لك باخيك كله فاخذ
الشعرا هذا المعنى فقال ابو العتاهيه

أأخي من لك من بني الدنيا بكل اخيك من لك
فاستبق بعضك لا يملك كل من اعطيت كلك

وقال ابو تمام

ما غبن المغبون مثل عقله من لك يوما باخيك كله

وقال بعض الحكما طلب الانصاف من قلة الانصاف وقال بعض البلغا
لا تزهدنك في رجل حمدت سيرته وارتضيت وتيرته وعرفت فضله
وبطنت عقله عيب خفي تحيط به كثير فضايله او ذنب صغير تستغفر له
قوة وسايله فانك لن تجد ما بقيت مهذبا لا يكون فيه عيب ولا يقع
منه ذنب فاعتبر نفسك بعد ان لا تراها بعين الرضا ولا تجري
فيها على حكم الهوى فان في اعتبارك بها واختبارك لها ما يويسك
مما تطلب ويعطفك على من يذنب وقد قال الشاعر

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا ان تعد معايبه

وقال

وقال النابغه الذبياني ولست بمستبق اخا لا تلمه على شعث اي الرجال المهذب
وليس ينقض هذا القول ما وصفنا من اختياره واختبار الخصال
الاربع فيه لان ما اعوز معفو عنه وهذا لا يسع ان يوحشه
فقد تجدها ولا ان يسيء به الظن في نبوة تكون منه ما لم يتحقق
تغيره ولم ينتفي تنكره وليصرف ذلك الى فترات النفوس واستراحات
الخواطر فان الانسان قد يتغير عن مراعاه نفسه التي هي اخص
النفوس به ولا يكون ذلك من عداوة لها ولا ملل منها وقد
قيل في منثور الحكم لا يفسدك الظن على صديق قد اصلحك اليقين
له وقال جعفر ابن محمد رضي الله عنه لابنه يا بني من غضب من
اخوانك ثلث مرات فلم يقل فيك سوا فاتخذه لنفسك خلا وقال
الحسن ابن وهب من حقوق الموده اخذ عفو الاخوان والاغضا
عن تقصير ان كان وقد روي عن علي ابن طالب عليه السلام
في قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل قال الرضا بغير عتاب وقال ابن الرومي

هم الناس والدنيا ولا بد من قذى يلم بعين او يكدر مشربا
ومن قلة الانصاف انك تبتغي المهذب في الدنيا ولست المهذبا

وقال بعض الشعراء

تواصلنا على الايام باق ولكن هجرنا مطر الربيع

يروعك صوته ولكن تراه على علاته دان النزوع
معاذ الله ان نلقا عضا ما سوى ذل المطاع على المطيع

وانشدني الازدي

لا يوئسنك من صديق نبوه ينبو الفتى وهو الجواد الخضرم
فاذا نبا فاستبقه وتانه حتى يفيء به الطباع الاكرم

واما الملول فهو سريع التغير وشيك التنكر فوداده مخطور واخاوه غرر ولانه لا يقف على حاله ولا يخلو من استحاله وقال ابن الرومي

انا اذا عاينت الملول فانما احطط في صحف من الماء احرفا
وهبه ارعوى بعد العتاب الم تكن مودته طبعا فصارت تكلفا

وهو نوعان منهم من يكون ملله استراحة ثم يعود الى المعهود من اخايه فهذا اسلم المالين واقرب الرجلين يسامح في وقت استراحته وحين فترته ليرجع الى الحسنى ويووب الى الاخا وان تقدم الميل بما نطق الشاعر حيث يقول

وقالوا يعود الماء في النهر بعد ما عفت منه اثار وجفت مشارعه
فقلت الى ان يرجع الماء عايدا ويعشب شطاه تموت ضفادعه

لاكن لا يطرح حقه بالتوهم ولا تسقط حرمته بالظنون وقد قال الشاعر

اذا ما حال عهد اخيك يوما وحاد عن الطريق المستقيم

فلا

فلا تعجل بلومك واستدمه فان اخا الحفاظ المستديم
فان تك زلة منه والا فلا تبعد عن الخلق الكريم

ومنهم من يكون ملله تركا واطراحا لا يراجع اخا ولا ودادا ولا يتذكر حفاظا ولا عهدا كما قال اشجع السلمي ابن عمرو السلمي

اني رايت لها مواصلة كالسم تفرغه على الشهد
فاذا اخذت بعهد ذمتها لعب الصدود بذلك العهد

وهذا ذم الرجلين حالا لان مودته من وساوس الخطرات وعوارض الشهوات وليس الا استدراك الحال معه الا بالاقلاع قبل الخلطة او حسن المتاركة بعد الورطة كما قال العباس ابن الاحنف

تداركت نفسي فعزيتها وبغضتها فيك لما الها
وما طابت النفس عن سلوة ولكن حملت عليها الها

وما مثل من هذه حاله الا كما قال ابرهيم ابن هرمة في المعنى

فانك واطراحك وصل سلمى لاخرى في مودتها نكوب
كثاقبة لحلي مستعار باذنيها فشانتها الثقوب
فادت حلي جارتها اليها وقد بقيت باذنيها ندوب

فاذا وصفت عنده اخلاق من سبره وتمهدت لديه احوال من خبره واقدم على اصطفايه اخا وعلى اتخاذه خدنا لزمته حينيذ

حقوقه ووجبت عليه حرماته فقد قال عمر بن مسعدة العبودية عبودية
الاخا لا عبودية الرق وقال بعض الحكما من جاد لك بمودته
فقد جعلك عديل نفسه فاول حقوقه اعتقاد مودته ثم ايناسه ه
بالانبساط اليه في غير محرم ثم نصحه في السر والعلانية ثم تخفيف الاثقال
عنه بمعاونته فيما ينوبه من حادثة او يناله من نكبة فان مراقبته في
الظاهر نفاق وتركه في الشدة لوم وقد روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال خير اصحابك المعين على دهرك وشرهم
من سعى لك بسوق يومه وقيل يا رسول الله اي الاصحاب خير
قال الذي اذا ذكرت اعانك واذا نسيت ذكرك وقال علي
ابن ابي طالب عليه السلام خير اخوانك من واساك وخير منه
من كفاك ه وقال ابو هريرة اللهم اني اعوذ بك ممن لا يلتمس
خالص مودتي الا بموافقة شهوتي وممن يساعدني على سرور
ساعتي ولا يفكر في حوادث غدي وقال بعض الحكما عمود
العادر محلوله وعهوده مدخوله وقال بعض البلغا ما ودك
من اهمل ودك ولا احبك من ابغض حبك وقال بعض الشعراء
وكل اخ عند الهوينا ملاطف ولكنما الاخوان عند الحقايق
وقال صالح ابن عبد القدوس

شر

شر الاخلاء من كانت مودته مع الزمان اذا ما خاف او رغبا
اذا وترت امرا فاحذر عداوته من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا
ان العدو وان ابدا مسالمة اذا راى منك يوما فرصة وثبا
وينبغي ان يتوقى الافراط في محبته فان الافراط داع الى التقصير
ولان تكون الحال بينهما نامية اولى من ان تكون متناهية وقد روى
ابن سيرين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احبب
حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا
ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يكن
حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال ابو الاسود الدؤلي ه
وكن معدنا للخير واصفح عن الاذى فانك راء ما عملت وسامع
واحبب اذا احببت حبا مقاربا فانك لا تدري متى انت نازع
وابغض اذا ابغضت غير مباين فانك لا تدري متى انت راجع
وقال عدي ابن زيد ه لا تامنن من مبغض قرب داره ولا من محب ان يمل فيبعدا ه
وانما يلزم من حقوق الاخا بذل المجهود في النصح والتناهي في الرعاية لما
بينهما من الحقوق فليس في ذلك افراط وان تناهى ولا تجاوز لحد وان
اكثر واوفى ويستوي في حالتاهما في المشهد والمغيب على المشهد كرم
واسواهما حفاظ وقال بعض الشعراء ه

على الاخوان رقيب من الصفا يبيد الليالي وهو لا يبيد
يذكرني في مغيب ومشهد فسيان منهم غايب وشهيد
واني لاستحيي من اخ ان ابن قريبا وان اجفو وهو بعيد

وهكذا ينبغي يقصد التوسط في زيارته وغشيانه غير مقلل ولا مكثر فان تقليل الزيارة داعية الهجران وكثرتها سبب الملال وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة زر غبا تزدد حبا وقال لبيد

تعفف عن زيارة كل يوم اذا اكثرت ملك من تزور

وقال آخر اقلل زيارتك الصديق ولا تطل هجرانه فتلح في هجرانه
ان الصديق يلح في غشيانه لصديقه فيمل من غشيانه
حتى تراه بعد طول سروره بمكانه متبرما بمكانه
واذا توانى عن صيانة نفسه رجل تنقص واستخف بشانه

ويجتنب ذلك فليكن في عتابه فان كثرة العتاب سبب القطيعة واطراح جميعه دليل على قلة الاكتراث بامر الصديق وقد قيل علة المعاداة قلة المبالاة بل يتوسط حالتي تركه فيسامح بالمتاركة ويستصلح بالمعاتبة فان المعاتبة والاستصلاح اذا اجتمعا لم يلبث معهما نفور ولم يبق معهما وجد وقد قال بعض الحكما لا تكثرن معاتبة اخوانك فيهون عليهم سخطك وقال منصور النمري في اقلال عتاب من استريب بوده ليست تنال مودة بعتاب

وقال

وقال بشار ابن برد

اذا كنت في كل الامور معاتبا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
وان انت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت واي الناس تصفو مشاربه
فعش واحدا او صل اخاك فانه مقارف ذنب مرة ومجانبه

ثم من حق الاخاء ان يعفو هفوته ويستر زلته لانه من رام بريا من الهفوات وسليما من الزلات رام امرا معوزا واقترح وصفا معجزا وقد قالت اي عالم لا يهفو وصارم لا ينبو وجواد لا يكبو وقد قال بعض الحكما من حاول صديقا يامن زلته ويدوم اغتباطه به كان كضال الطريق الذي لا يزداد لنفسه تعبا الا ازداد من غايته بعدا وقيل لخالد ابن صفوان اي اخوانك احب اليك فقال من غفر زللي وقطع عللي وبلغني املي وقال بعض الشعرا

ما كدت افحص عن اخي ثقة الا ذممت عواقب الفحص

وانشدت عن الربيع للشافعي رضي الله عنه

احب من الاخوان كل مواتي وكل غضيض الطرف عن عثراتي
يوافقني في كل امر اريده ويحفظني حيا وبعد وفاتي
فمن لي بهذا ليت اني اصبته فقاسمته مالي من الحسنات

مع الحسنات

وانشد ثعلب اذا انت لم تستقبل الامر لم تجد بكفيك في ادباره متعلقا

اذا انت لم تترك اخاك وزله اذا زلها اوشكتما ان تفرقا

وقال الاصمعي حكى لي عن بعض الاعراب انه قال ساس مساوي الاخوان يدم لك ودهم ووصى بعض الادبا اخا له فقال كن للود حافظا وان لم تجد محافظا وللخل واصلا وان لم تجد مواصلا وقال رجل من ايادٍ ليزيد ابن المهلب ٥ شعر

اذا لم تجاوز عن اخ عند زلةٍ فلست غدا عن عز نفس متجاوزا

وكيف يرجيك البعيد لنفعهِ اذا كان عن مولاك خيرك عاجزا

ظلمت امرا كلفته فوق وسعه وهل كانت الاخلاق الا غرائزا

وقال ابو مسعود كاتب الرضا كنا عند الرضا في مجلسه فشكا رجل اخاه فانشا الرضا يقول شعر اعذر اخاك على ذنوبه واستر وغط على عيوبه ٥ واصبر على بهت السفيه وللزمان على خطوبهِ

ودع الجواب تفضلا وكل الظلوم الى حسيبهِ

واعلم بان الحلم عند الغي احسن من ركونه

وحكي عن بنت عبد الله ابن مطيع انها قالت لزوجها طلحه ابن عبد الله ابن عوف الزهري وكان اجود قريش في زمانه ما رايت قوما الأم من اخوانك قال لها مه ولم قلت ذاك قالت اذا ايسرت لزموك واذا اعسرت تركوك قال هذا والله من كرمهم ياتونا في حال القوة

بنا

ما عليهم ويتركونا في حال الضعف منا عنهم انظر كيف تاول بكرمه هذا التاويل حتى جعل قبيح فعلهم حسنا وظاهر غدرهم وفا وهذا محض الكرم وابواب الفضل ومثل هذا يلزم ذوي الفضل ان يتاولوه لهفوات اخوانهم وقال بعض الشعراء ٥

اذا ما بدت من صاحب لك زله فكن انت محتالا لزلته عذرا

احب الفتى ينفي الفواحش سمعه كان به عن كل فاحشة وقرا

والداعي الى هذا التاول شيان التفضل الحادث عن القطيعه والتالف الصادر عن الوفا وقال اكثم ابن صيفي من تشدد نفر ومن تراخى تالف والشرف في التغافل وقال شبيب ابن شيبه الاديب العاقل هو المتغافل وقال ابو تمام الطائي ليس الغبي بسيد في قومه ولكن سيد قومه المتغابي وقال ابو العتاهيه ٥

ان في صحة الاخا من الناس وفي خلة الوفا لقله

فالبس الناس ما استطعت على النقص والا لم يستقم لك خله

عش وحيدا ان كنت لا تقبل العذر وان كنت لا تجاور زله

من اب واحد وام خلقنا غير انا في المال والاولاد عله

ومما يتبع هذا الفضل تالف الاعدا بما يصدهم عن المعصه ويعطفهم على المجد وذلك قد يكون بصنوف من البر ويختلف بحسب اختلاف الاحوال

فنفى ذلك من سمات الفضل وشروط السودد فانه ما احد يعدم عدوًا
الا يعتقد حاسدًا وحسب وفور النعمة بكثرة الاعدا والحسد كما قال البحتري

ولن تستبين الدهر موقع نعمة اذا انت لم تدلل عليها بحاسد

فان اغفل التألف الاعدا مع وفور النعمة وظهور الحسد توالى عليه من
مكر حيلهم وبادرة سفههم ما تصير به النعمة غرامًا والدعة ملامًا وروى
ابن المسيب عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم راس العقل
بعد الايمان بالله تعالى التودد الى الناس وقال سليمان ابن داوود
عليه السلام لابنه يا بني لا يستكثر ان يكون لك الف صديق فالالف قليل
ولا يستقل ان يكون لك عدو واحد فالواحد كثير فنظم ابن الرومي هذا
المعنى فقال فيه

تكثر من الاخوان ما استطعت انهم بطون اذا استنجدتهم وظهور

وليس كثيرًا الف خل وصاحب وان عدوًا واحدًا لكثير

وقيل لعبد الملك ابن مروان ما الذي افدت في ملكك هذا قال
مودات الرجال وقال بعض البلغا الحكما من علامة الاقبال اصطناع
الرجال وقال بعض البلغا من استصلح عدوه زاد في عدده ومن استفسد
صديقه نقص من عدده وقال بعض الادبا العجب ممن يطرح عاقلًا كافيًا
لما يضمر من عداوة ويصطنع عاجزًا جاهلًا لما يظهر من محبته وقد نبه

على

على استصلاح من يعاديه بحسن صنايعه واياديه وقال عبد الله ابن
الزبير ثلثة ابيات جامعة لكل ما قالته العرب وهي للافوه

بلوت الناس قرنًا بعد قرن فلم ار غير ختال وقال

وذقت مرارة الاشيا جميعًا فما طعم امر من السؤال

ولم ار في الخطوب اشد هولًا واصعب من معاداة الرجال

وقال التنوخي القاضي رحمه الله عليه

الق العدو بوجه لا قطوب به يكاد يقطر من ما البشاشات

فاحزم الناس من يلقى اعاديه في جسم حقد وثوب من مودات

الرفق يمن وخير القول اصدقه وكثرة المزح مفتاح العداوات

وانشدت عن الربيع للشافعي رضي الله عنه

اني احيي عدوي عند رؤيته كانما قد حشا قلبي محبات

واظهر البشر للانسان ابغضه لادفع الشر عني بالتحيات

لما عفوت ولم احقد على احد ارحت نفسي من هم العداوات

الناس دا ودا الناس قربهم وفي اعتزالهم قطع المودات

وليس وان كان بالاعدا مامورًا والى مقاربتهم مندوبًا ينبغي
ان يكون لهم راكنًا وبهم واثقًا بل يكون منهم على حذر ومن مكرهم
على تحرز فان العداوة اذا استحكمت في الطباع صارت طبعًا لا

يستحيل وحيله لا تزول وانما يستنكف بالتألف اظهارها ويستدفع
به اضرارها كالنار يستدفع بالما احراقها وتستنفع به ايضاحها
وان كانت محرقه بطبع لا يزول وجوهر لا يتغير وقد قال ابن نباته

• اذا عجزت عن العدو فداره وامزح له ان المزاح وفاق •
• فالنار بالما الذي هو ضدها يعطي النضاج وطبعها الاحراق •

فصل واما البر وهو الخامس من اسباب الالفه فلانه
يوصل الي القلوب الطافا ويثنيها محبه وانعطافا ولذلك ندب الله
تعالي الي التعاون به وقرنه بالتقوي له فقال تعالي وتعاونوا علي
البر والتقوي لان في التقوي رضا الله وفي البر رضا الناس ومن
جمع بين رضا الله تعالي ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت
نعمته وقد روي الاعمش عن خيثمة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جبلت القلوب علي حب من احسن اليها
وجبلت القلوب علي بغض من اسا اليها ٥ وحكي ان الله تعالي اوحي
الله الي داود ذكر عبادي احساني اليهم ليحبوني فان عبادي لا
يحبون الا من احسن اليهم وانشد ابو الحسن ابن ابي الحرث الهاشمي

• الناس كلهم عيال الله تحت ظلاله فاحبهم طرا اليه ابرهم بعياله •

والبر نوعان صله ومعروف فاما الصله فهي التبرع ببذل المال في جهات

محموده

البرّ

محموده لغير عوض مطلوب وهذا يبعث عليه سماحه النفس وسخاؤها
ويمنع منه شحها واباؤها قال الله تعالي ومن يوق شح نفسه فاولئك
هم المفلحون
وروي محمد بن ابرهيم التيمي عن عروه ابن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال السخي قريب من الله تعالي قريب من الجنه قريب من الناس بعيد
من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنه قريب من النار
وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعدي ابن حاتم رفع الله عن ابيك العذاب
الشديد لسخاء نفسه ٥ وبلغه عن الزبير انسان يجذب عمامته اليه وقال يا
زبير انا رسول الله اليك والي غيرك انفق انفق عليك ولا توكي فاوكي
عليك وروي ابو الدردا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من
يوم غربت فيه شمسه الا وملكان يناديان اللهم اعط كل منفق خلفا
وكل ممسك تلفا وانزل في ذلك القران فاما من اعطى واتقى وصدق
بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره
للعسرى ٥ وقال ابن عباس ساده الناس في الدنيا الاسخيا وفي الاخره
الاتقيا وقيل في منثور الحكم الجود عن موجود وقيل في المثل سودد
بلا جود كملك بلا جنود ٥ وقال بعض الحكما الجود حارس الاعراض
وقال بعض الادبا من جاد ساد ومن اضعف ازداد وقال بعض البلغا
جود الرجل يحببه الي اضداده وبخله يبغضه الي اولاده وقال بعض

الفضي خير الاموال ما استرق حرا وخير الاعمال ما استحق شكرا وقال صالح
ابن عبد القدوس ❁ ويظهر عيب المرء في الناس بخله ويستره عنهم جميعا سخاوه ❁
❁ تغط باثواب السخا فانني ارى كل عيب والسخا غطاوه ❁
وحد السخا بذل ما يحتاج اليه عند الحاجه وان يوصل الي مستحقه بقدر
الطاقه وتدبير ذلك مستصعب ولعل بعض من يحب ان ينسب الي الكرم
ينكر حد السخا ويجعل التقدير في العطيه نوعا من البخل وان الجود بذل
الموجود لما كان للتبذير موضعا ولا للتقتير موقعا وقد ورد الكتاب
بذمهما وجات السنة بالنهي عنهما واذا كان السخا محدودا فمن وقف
على حده سمي كريما وكان للحمد مستحقا ومن قصر عنه كان بخيلا وكان
للذم مستوجبا قال الله تعالي ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله
من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمه
وروي ابو هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اقسم الله تعالي
بعزته لا يجاوره في الجنة بخيل وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال طعام الجواد
دوا وطعام البخيل دا وسمع صلى الله عليه وسلم رجلا يقول الشحيح
اعذر من الظالم فقال لعن الله الشحيح ولعن الظالم وقال بعض الحكما
البخل جلباب المسكنه وقال بعض الادبا البخيل ليس له خليل وقال
بعض البلغا البخيل حارس نعمته وخازن ورثته وقال بعض الشعراء
اذا

❁ اذا كنت جماعا لمالك ممسكا فانت عليه خازن وامين ❁
❁ تؤديه مذموما الي غير حامد فياكله عفوا وانت دفين ❁
وتظاهر بعض ذوي النباهه بحب الثنا واستسال فيه فقال بعض الشعرا
فيه ❁ اراك تومل حسن الثنا ولم يرزق الله ذاك البخيلا ❁
❁ وكيف يسود اخو بطنه يمن كثيرا ويعطي قليلا ❁
وقد بينا في حب الثنا وحب المال ان حب الثنا يبعث على البذل وحب المال
يمنع فانظر ما كان حب الثنا كاذبا وقال الشاعر
❁ جمعت امرين ضاع الحزم بينهما تيه الملوك واخلاق المماليك ❁
❁ اردت شكرا بلا بر ولا صله لقد سلكت طريقا غير مسلوك ❁
❁ ظننت عرضك لم يقرع بقارعة وما اراك على حال بمتروك ❁
❁ لين سبقت لمال حظيت به لما سبقت الي شي سوي النوك ❁
وقد يحدث عن البخل من الاخلاق المذمومه وان كان ذريعه الي
كل مذمه اربعه اخلاق وناهيك بها ذما وهي الحرص والشره وسو
الظن ومنع الحقوق فاما الحرص فهو من شده الكدح والاسراف في
الطلب واما الشره فهو استقلال الكفايه والاستكثار لغير حاجه
وهذا فرق بين الحرص والشره وقد روي العلا ابن حريز عن ابيه
عن سالم ابن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يكن العيش
نجد

ما حرمه لم يجد ما عاش ما يغنيه ه وقال بعض الحكما الشح من عوار
اللوم واما سو الظن فهو عدم الثقه بمن هو لها اهل فان كانت
بالخالق كانت شكا يؤول الى الضلال وان كانت بالمخلوق كانت استخانه
يصير بها مخانا وخوانا لان ظن الانسان بغيره بحسب ما يراه بنفسه
فان وجد فيها خيرا ظنه في غيره وان راى منه سوا اعتقده في الناس
وقد قيل في المثل كل انا ينضح بما فيه فان قيل فقد تقدم من قول الحكما
ان من الحزم سو الظن قيل انما يليه قله الاسترسال اليهم لا اعتقاد السو
فيهم واما منع الحقوق فان نفس البخيل لا تفرح بفراق محبوبها ولا
ينقاد الى ترك مطلوبها ولا يذعن لحق ولا يجيب الى انصاف واذا آل
البخل الى ما وصفنا من هذه الاخلاق المذمومه والشيم اللئيمه لم يبق
معه خير مرجو ولا صلاح مامول وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال للانصار من سيدكم قالوا الجد بن قيس على بخل فيه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم واي داء ادوى من البخل قالوا وكيف ذاك يا
رسول الله قال ان قوما نزلوا بساحل البحر فكرهوا لبخلهم نزول الاضياف
بهم فقالوا ليبعد الرجال منا عن النسا حتى يعتذر الرجال منا الى
الاضياف ببعد النساء ويعتذر النسا ببعد الرجال ففعلوا ذلك
وطال ذلك بهم فاشتغل الرجال بالرجال والنسا بالنسا فاما السرف
والتبذير

والتبذير فان من زاد على حد السخا فهو مسرف ومبذر وهو بالذم
جدير قال الله تعالى ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ما عال مقتصد ه وقال المامون لا خير
في السرف ولا سرف في الخير وقال بعض الحكما صديق الرجل قصده
وسرفه عدوه وقال بعض البلغاء لا كثير مع اسراف ولا قليل مع احتراف
اعلم ان السرف والتبذير قد يفترق معناهما فالسرف هو الجهل
بمواقع الحقوق وكلاهما مذموم وذم التبذير اعظم لان المسرف
مخطي في الزياده والمبذر مخطي في الجميع ومن جهل مواقع الحقوق
ومقاديرها بماله واخطاها فهو كمن جهلها بفعاله فتعداها
وكما انه بتبذيره قد يضع الشي في غير موضعه فهكذى قد يعدل
به عن موضعه لان المال اقل من ان يوضع في كل موضع من حق وغير
حق وقد قال معاويه كل سرف فبازائه حق مضيع وقال بعض الحكما
الخطا في اعطا ما لا ينبغي ومنع ما ينبغي واحد وقال سفين الثوري
الحلال لا يحتمل السرف وليس يتم السخا ببذل ما في يده حتى تسخو نفسه
عما في يد غيره فلا يميل الى طلب ولا يتكلف عن بذل وقد حكي ان الله
تعالى اوحى الى ابرهيم الخليل عليه السلام تدري لم اتخذتك خليلا
قال لا يا رب قال لاني رايتك تحب ان تعطي ولا تحب ان تاخذ وروى

سهل بن سعد الساعدي قال اتى رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله اخبرني بما يحبني الله تعالى عليه ويحبني الناس قال
ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس
وقال ايوب السختياني لا يسود الرجل حتى يكون فيه خصلتان العفة
عن اموال الناس والتجاوز عنهم وقيل لسفين الثوري ما الزهد
في الدنيا قال الزهد في الناس وكتب كسرى الى ابنه هرمز يا بني
استقلل الكثير مما تعطي واستكثر القليل مما تاخذ فان قرة عيون
الكرام في الاعطا وسرور اللئام في الاخذ ولا تعد الشحيح امينا
ولا الكذاب حرا فانه لا عفة مع الشح ولا مروة مع الكذاب وقال
بعض الحكما السخا سخاان فاشرفهما سخاوك عما بيد غيرك وقال
بعض البلغا السخا ان تكون بمالك متبرعا وعن مال غيرك متورعا
وقال بعض الصلحا الجود غاية الزهد والزهد غاية الجود وقال
بعض الشعراء • اذا لم تكن نفس الشريف شريفة وان كان ذا قدر فليس له شرف •
والبذل على وجهين احدهما ما ابتدا به الانسان من غير سوال والثاني
ما كان عن طلب وسوال فاما المبتدى به فهو اطبعهما سخا واشرفهما
عطا ه سيل علي عليه السلام عن السخا فقال ما كان منه ابتدا فاما ما
كان منه عن مسلة فحيا وتكرم وقال بعض الحكما اجل النوال ما

وجد قبل السوال وقال بعض الشعراء
• وفتى خلا من ماله ومن المروة غير خالي
• اعطاك قبل سواله فكفاك مكروه السوال
وهذا النوع من البذل قد يكون لاحد تسعة اسباب فالسبب الاول
ان يرى خلة يقدر على سدها فانه يتمكن من ازالتها لا يبعده الكرم
والندب الا ان يكون زعيم صلاحها وكفيلا لنجاحها رغبة في الاجر
ان تدين وفي الشكران تكرم وقال ابو العتاهيه
• ما الناس الا اله معمله للخير والشر جميعا فعله
والسبب الثاني ان يرى في ماله فضلا عن حاجته وفي يده زيادة عن
كفايته فيرى انتهاز الفرصة بها فيصنعها حيث تكون له ذخرا معدا
وغنما مستجدا فقد قال الحسن البصري ما انصفك من كلفك اجلاله وسلبك
ماله وقيل لهند بنت الحكم من اعظم الناس في عينك قالت من كانت
لي اليه حاجة وقال الشاعر
• وما ضاع مال ورث الحمد اهله ولكن اموال البخيل تضيع
والسبب الثالث ان يكون لتعريض يتنبه عليه بفطنته واشارة يستدل
عليها بكرمه فلا يدعه الكرم ولا الحيا ان يكف كالذي حكي ان رجلا
ساير بعض الولاة فقال ما اهزل برذونك فقال يده مع ايدينا

ان يتغافل

فوصله اكتفا بهذا التعريض الذي بلغ ما لا يبلغه صريح السوال
ولذلك قال اكثم ابن صيفي السخا حسن الفطنه واللوم سو التغافل ٥ وحكي
ان عبيد الله ابن سليمن لما تقلد وزاره المعتضد كتب اليه عبد الله ابن
عبد الله ابن طاهر ٥ شعر

ايادينا هم اسعافنا في نفوسنا واسعفنا فيما تحب وتكرم
فقلت له نعماك فيهم اتمها ودع امرنا ان المهم المقدم

فقال عبيد الله ما احسن ما سنكا امر بين اضعاف مدحه وقضا حاجاته
ولذلك قال بعض الشعراء ٥

ومن لا يري من نفسه مذكرا راي طلب المستخبرين ثقيلا

والسبب الرابع ان يكون ذلك رعايه ليد او جزا على صنيعه فيري
ناديه للحق عليه طوعا اما انفه واما شكرا ليكون من شر الامتنان
طليقا ومن رق الاحسان عتيقا وقد قال بعض الحكما الاحسان
رق والمكافاه عتق وقال ابو العناهيه

ولبيت لايادي الناس عندي غنيمه ورب يد عندي اشد من الاسر

والسبب الخامس ان يوثر الاعان بتقليبه والاقرار بتعطيه توطيدا
لرياسه هو لها محب وعلى طلبها مكب وقد قال الشاعر

حب الرياسه دا لا دوا له وقل ما تجد الراضين بالقسم

فيستصعب

فيستصعب عليه اجابه النفوس له طوعا الا بالاستعطاف وادعانها
الا بالرغبه والاسعاف ٥ وقد قال بعض الادبا بالاحسان يرتبط
الانسان وقد قال بعض البلغاء من بذل ماله ادرك اماله وقال
بعض الشعراء ٥

اترجوا ان تسود ولم تعنا وكيف يسود ذو الدعه البخيل

والسبب السادس ان يستدفع به سطوه اعدا ويستكف به نفار خصما
ليصير واله بعد الخصومه اعوانا وبعد العداوه اخوانا اما الصيانه
عرض واما الحراسه مجد وقال ابو تمام الطايي

فلن تجمع شرق وغرب لقاصد ولا المجد في كف امري والدراهم
ولم ار كالمعروف تدعى حقوقه مغارم في الاقوام وهي مغانم

وقال بعض الادبا من عظمت مرافقته اعظمه مرافقه والسبب السابع
ان يرب به سالف صنيعه اولاها ويراعي به قديم نعمه اسداها كيلا
ينسا ما اولاه او يضاع ما اسداه فان مقطوع البر ضايع ومهمل الاحسان
ضال وقد قال الشاعر

وتمت امرا بالمعروف ثم اطرحته ومن افضل الاشيا رب الصنايع

وقال محمد ابن داود الاصبهاني

بدات بنعمي اوجبت لك حرمه عليك فعد بالفضل والعود احمد

والسبب الثامن المحبه التي يوثرها المحبوب على ماله ولا نضن عليه

مرغوب ولا سعر عليه مطلوب للذة التي هي عنده احظى والى
نفسه اشهى لان النفوس الى محبوبها اشوق والى ما ثالثه اسبق
وقد قال الشاعر ، وما زرتكم عمدا ولكن ذا الهوى الى حيث يهوى القلب تهوى به الرجل
وهذا وان دخل في اقسام العطا فخارج عن حد السخا وهكذا الخامس
والسادس من هذه الاسباب وانما ذكرناها لدخولها في اقسام
العطا والسبب التاسع وليس يسميان بفعل ذلك بغير ما سبب وانما
هي منه سجيه قد فطر عليها وشيمه قد طبع بها ولا يميز بين مستحق
ومحروم ولا يفرق بين محمود ومذموم كما قال بشار
ليس يعطيك للرجا والخوف ولكن يلذ طعم العطاء
وقد اختلف الناس في مثل هذا هل يكون منسوبا الى السخا فيحمد او
خارجا عنه فيذم وقال قوم هذا هو مستحق السخا طبعا والجواد
كرما وهو احق من كان به ممدوحا واليه منسوبا والتمييز يصف
البخل والبذل لسبب الحيا وصروره وقال ابو تمام
من غير ما سبب نديك كفي سببا للحران تحتذي حرنا بلا سبب
وقد قال سهل اذا لم اعط الا مستحقا فكاني اعطيت غريما وقال الشرف
في السرف فقيل له لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير وقال
الفضل ابن سهل العجب لمن يرجو من فوقه كيف يحرم من تحته وقال
بشار

بشار ، وما الناس الا صاحبان فمنهم سخي ومعلول اليدين من البخل
فسامح بما اما امكنتك فانها تقل وتثري والعوادل في شغل
وقال الحزون هذا خارج من السخا المحمود الى السرف والتبذير المذموم
لان العطا اذا كان لغير سبب كان المنع لغير سبب لان المال يقل
عن الحقوق ويقصر عن الواجبات فاذا اعطي غير مستحق فقد يمنع
مستحقا وما يناله من الذم بمنع المستحق اكثر مما يناله من الحمد باعطا
غير المستحق وحسبك ذما ممن كانت افعاله تصدر عن غير تمييز
وتوجد لغير عله وقد قال الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا فنهى عن بسطها سرفا
كما نهى عن قبضها بخلا فدل على استوا الامرين ذما وعلى اتفاقهم لوما
قال الشاعر ، وكان المال يأتينا فكنا نبذره وليس لنا عقول
فلما ان تولى المال عنا عقلنا حين ليس لنا فضول
قالوا ولان العطا والمنع اذا كانا لغير عله افضيا الى ذم الممنوع
وقله شكر المعطى واما الممنوع فلانه قد فضل عليه من ساواه
واما المعطى فلانه وجد ذلك اتفاقا وربما امل بالاتفاق اضعافا
فصار ذلك مفضيا الى احتلاف الذم واحتلاط الشكر وليس فيما
افضى الى واحد منهما خير يرجا وهو جدير ان يكون شرا يتقى

ولمثل ذلك قيل منع الجميع ارضا للجميع وعطا يكون ارضي منه حرمان
مبين فاما اذا كان البذل والعطا عن سوال وطلب فشروطه معتبره
من وجهين احدهما من السايل والثاني من المسوول فاما ما كان معتبرا
في السايل فثلثه شروط احدها فالشرط الاول ان يكون السوال
السبب والطلب الموجب فان كان لضروره فارتفع الحرج وسقط عنه
اللوم وقد قال بعض الحكما الضروره توقح الصوره وقال بعض الشعرا

الا قبح الله الضروره انها تكلف اعلي الخلق ادني الخلايق
ولله در الاخيار فانه يبين فضل السبق من غير سابق

وقال الكميت اذا لم يكن الا الاسنه مركب فلا راي للمضطر الا ركوبها
فان ارتفعت الضروره ودعت الحاجه فيما هو اولي الامرين ان يكون
وان جاز ان لا يكون فالنفس المسامحه تغلب الحاجه وتسمح في الطلب
وتداعي بما استقام به الحال واستتم به الامر فان نالت بذله وحق
وصل وناول صاحبها قول البحتري

وربما كان مكروه الامور الي محبوبها سببا ما مثله سبب

والنفس الشريفه تغلب الصيانه وتراعي النزاهه وتحمل من الضر ما
احتمل ومن الشده ما اطاق لتبقي تجملها وتدوم بصونها فيكون
كما قال الشاعر قد يكتسي المرء خز الثياب ومن دونه حاله مضنيه
لها

كمن يكتسي خده حمره وعلتها ورم في الريه
ولا يري ان يتدلس بمطالب السوم ومطامع اللوم فان من البهايم
الوحشيه ما يابي ذلك ويانف عنه وقال الشاعر

وليس الليث من جوع بغاد علي جيف تحيط بها كلاب

فكيف بالانسان الفاضل الذي هو اكرم الحيوان نفسا واشرفه
نفسا هل به ان يري لوحشي البهايم عليه فضلا وقد قال الشاعر

علي كل حال ياكل المرا زاده علي البوس والضرا والحدثان

والفضل في مثل ما قيل لبعض الزهاد لو سالت جارك لاعطاك
فقال والله ما اسال الدنيا من يملكها فكيف من لا يملكها ووصف بعض
الشعرا قوما فقال اذا افتقروا عضوا علي الرحشيه وان ايسروا عادوا
سراعا الي الفقر فاما ان سال من غير ضروره مست ولا حاجه دعت
فذلك صريح اللوم ومحض الدناه وقل ما تجد مثله محروما ومع لا محظوظا
لان الحرمان قاده الي اضيق الارزاق واللوم ساقه الي اخبث المطاعم
فلم يبق لوجهه ماء الا اراقه ولا ذل الا ذاقه كما قال عبد الصمد ابن المعذل لابي
تمام الطاي

انت بين اثنتين تبرز للناس وكلتاهما بوجه مذال
لست تنفك طالبا لوصال من حبيب او طالبا لنوال
اي ماء لحر وجهك يبقي بين ذل الهوي وذل السوال

ولو استقبح العار وانف من الذل لوجد غير السوال مكتسبا بمونه
ولقدر على ما نقله وتصونه وقد قال الشاعر

لا تطلبن معيشة بتذلل فلنا تنيك رزقك المقدور
واعلم بانك آخذ كل الذي هو في الكتاب محرر مسطور

والشرط الثاني من شروط السوال ان يضيق الزمان عن رجايه ويقصر
الوقت عن ابطايه ولا يجد لنفسه في التاخير فسحة ولا في التمادي
مهلة فتصير من المعدودين وداخلا في عداد المضطرين فاما اذا
كان الوقت متسع والزمان ممتد فتعجيل السوال لوم وقنوط قال الشاعر

اني اعضا الجفون على القذى بعسى ان لا عسر الا سيفرج
الا ربما ضاق الفضا باهله وامكن من بين الاسنة مخرج

وللشرط الثالث اختيار المسول ان يكون مرجو الاجابة مامول النجح
اما لحرمة السايل واكرم في المسول فان سال لييما لا يراعي حرمة ولا
يولي بكرمه فهو من اخيبان ملوم وفي سواله محروم وقد قال بعض
الحكما المخذول من كانت له الى اللييام حاجة وقال بعض البلغا ابذل
من اللييم سايله واقل من البخيل نايله وقال بعض الشعراء

من كان يامل ان يرى من ساقط امرا سنيا
فلقد راى ان تجتني من عوسج رطبا جنيا

واما

واما الشرط المعتبر في المسول فثلثة فالشرط الاول ان يكتفي بالتعريض ولا
يلجي الى السوال الصريح ليصون السايل عن ذل الطلب فان الحال ناطقة
والتعريض كاف وقد قال الشاعر

اقول وستر الليل مسبل كما قال حين شكا الضفدع
كلام اذا قلته صار بي وفي الصمت حتفي فما اصنع

وربما فهم المسول الاشارة فالجا الى التصريح بالعبارة تهجينا للسايل المجمل
فيسند ويستحي فيكف فيكون كما قال ابو تمام الطائي

من كان مفقود الحيا فوجهه من غير بواب له بواب

والشرط الثاني ان يتلقى بالبشر والترحيب ويقابل بالطلاقة والترحيب الترغيب
ليكون مشكورا ان اعطى ومعذورا ان منع وقد قال بعض الحكما الق
صاحب الحاجة بالبشر فان عدمت شكره لم تعدم عذره وحكي ان
ابا بكر ابن دريد قصد بعض الوزرا في حاجة فلم يقضها
وظهر له منه ضجر فقال

لا تدخلنك ضجرة من سايل فلخير دهرك ان ترى مسولا
لا تجبهن بالرد وجه مومل فبقا عزك ان ترى مامولا
تلقى الكريم فتستدل ببشره وترى العبوس على اللييم دليلا
واعلم بانك عن قليل صاير خبرا فكن خبرا يروق جميلا

والشرط الثالث تصديق الامل فيه وتحقيق الظن به ثم اعتبار حاله في حال
سايله فانها لا تخلوان من اربعة احوال فالحال الاولى ان يكون السايل
مستوجبا والمسول ممكنا فالاجابة هاهنا تستحق كرما وتلزم
مروة وليس الى الرد سبيل الا من استولى عليه البخل وهان
عليه الذم فيكون كمن قال فيه عبد الرحمن ابن حسان

• اني رايت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا •
• فاذا تذكرت المكارم مرة في مجلس انتم به فتقنعوا •

ونعوذ بالله ممن حرم ثروة ماله ومنع حسن حاله ان يكون مستودعا
في صنيع مشكور وبر مذخور ونيل الجميل لم حسبت مالك فالله النوايب
قيل فقد زالت بك وقال بعض الشعراء

• مالك من مالك الا الذي قدمت فابذل طايعا مالكا •
• تقول اعمالي ولو فتشوا رايت اعمالك اعمى لكا •

ثم قد اسقط حق نفسه ورفع اسباب شكره فصار بان لا حق له مذموما
كمشكور وماثوما كماجور كما قال ابو العتاهية

• جرى البخيل على صالحه اذا ثقل بره ظهري فاما اتى حير امراي صعب عداه (على)
ومؤونة الشكر • فاذا لم يكن الى الرد في مثل هذه الحال سبيل نظر
فان كان التاخير مفضيا الى تعجيل بذله وقطع مطله وكانت اجابته فعلا

وقوله

وقوله عملا وقال بعض الحكماء من مروة المطلوب اليه الا يلجي
الى الالحاح عليه وقال محمد ابن حازم

• ومستطر سوالك بالعطايا وانزف من عطاياه السوال •
• اذا لم ياتك المعروف طوعا فدعه فالتنزه عنه مال •

وان كان في الوقت تمهله وفي التاخير فسحه فقد اختلف مذاهب
الفضلا فيه فذهب بعضهم الى ان الاولى تعجيل الوعد قولا ثم يتعقبه
الانجاز فعلا ليكون السايل مسرورا بتعجيل الوعد فهو لتعجيل الانجاز
ويكون المسوول مرهونا بالكرم ملحوظا بالوفا وقد روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال العدة عطيه وقال الفضل ابن سهل
لرجل سأله حاجة اعدك اليوم واحبوك غدا بالانجاز لتذوق
حلاوة الامل وانتظر بثوب الوفا ووعد يحيى ابن خالد رجلا حاجة
سأله اياها فقيل له بعد وانت قادر فقال ان الحاجة اذا لم يتقدمها
وعد ينتظر صاحبها نجحه لم تجد سرورها لان الوعد طعم والانجاز طعام
وليس من فاجاه الطعام كمن تجد رائحته ويتطعمه فدع الحاجة تختمر
بالوعد ليكون لها طعم عند المصطنع اليه وقال بعض الحكماء
اذا احسنت القول فاحسن الفعل ليجتمع لك مزية اللسان وثمرة الاحسان
فلا تقل ما لا تفعل فانك لا تخلو من ذلك من ذنب تكتسبه او

عجز نلتزمه ومنهم من ذهب الى تعجيل البذل فعلا من غير وعد
اولي وتنفذ به من غير ترقب والانتظار اهني وانما يقدم الوعد واحد
من رجلين اما معوز ينتظر جدة او ماسح يروض نفسه توطية ليتيسر
للوعد في غير هاتين الحالتين وجه يصح ولا راي يصح معما يغير الليل
والنهار ويتقلب به الحال من يسار واعسار وقال بعض الشعراء

يا ايها الملك المقدم امره شرقا وغربا
امن تختم صحيفتي ما دام هذا الطين رطبا
واعلم بان جفافه مما يعيد السهل صعبا

قالوا ولان في الرجوع عنه من الاختيار وفي توقع الوعد من ذل
الانتظار وفي العود اليه من مذلة الاقتضا وذلة الاجتدا ما يكدر
بره ويوهن شكره وقال الشاعر

ان الحوائج ربما ازرى بها عند الذي يقضى له تطويلها
فاذا ضمنت لصاحب لك حاجة فاعلم بان تمامها تعجيلها

والحال الثانية ان يكون السايل غير مستوجب والمسول غير متمكن
ففي الرد فسحة وفي المنع عذر غير انه يلين عند الرد لينا يقيه الذم
ويظهر عذرا يدفع عنه اللوم فليس كل مقل يعرف ولا كل معذور
ينصف قال ابو العتاهية يصف الناس

يا رب

فيا رب ان الناس لا ينصفونني فكيف وان انصفتهم ظلموني
وان كان لي شي تصدوا لاخذه وان جيت ابغي شيهم منعوني
وان نالهم بذلي فلا شكر عندهم وان انا لم ابذل لهم شتموني
وان طرقتني نكبة فكهوا بها وان صحبتني نعمة حسدوني
سامنع قلبي ان يحن اليهم واحجب عنهم ناظري وجفوني
واقطع ايامي بيوم سهوله اقضي بها عمري ويوم حزوني
الا ان اصفى العيش ما طاب كسبه وما نلته من ذلة وسكون

والحال الثالثة ان يكون السايل مستوجبا والمسول غير متمكن فيأتي
بالحمل على النفس ما امكن من يسير يشكله ويدفع مذمة او يوضح
من اعذار المعوزين وتوجع المتالمين ما يجعله في المنع معذورا وبالتوجع
مشكورا كما قال ابو النضر العتبي

الله يعلم اني لست ذا بخل ولست ملتمسا في البخل لي عللا
لكن طاقة مثلي غير خافية والنمل يعذر في القدر الذي حملا

وربما تحرق وقت العجز بعد تقدم القدرة على فوت الصنيعة وزوال
العادة حتى صار اضنى حسدا وازيد كمدا كما قال بعض الشعراء

فكنت كباز السوق قص جناحه يرى حسرات كلما طار طاير
يرى طايرات الجو يخفق حوله فيذكر اذ ريش الجناح وافر

والحال الرابعه ان يكون السايل غير مستوجب والمسول متمكنا وعلى
البذل قادرا فسطر فان خاف بالرد فتح عرض او فتح هجا مضى كان
الى البذل مسرعا وبا صيانة لاحوا فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من وقى الرجل عرضه فهو صدقه وان امن ذلك وسلم منه
فمن الناس من غلب المسله وامر بالبذل لان لا يقابل الرجا بالخيبه
والامل بالاياس ثم لما فيه من اعتياد الرد واستسهال المنع وحكا
ان اعتياد البذل مفض الى السخاء كذلك اعتياد المنع مفض الى الشح
وانشد الاصمعي عن الكسائي

• كانك في الكتاب وجدت لا محرمة عليك فلا تحل •

• فما تدري اذا اعطيت مالا ايكثر من سماحك ام يقل •

• اذا حصر الشتا فانت شمس وان حضر المصيف فانت ظل •

ومن الناس من اعتبر الاسباب وغلب حال السوال وندب الى المنع اذا
كان العطا في غير حق يقوي على الحقوق اذا عرضت فلا يعجز عنها
اذا لزمت وتعينت وقال بعض الشعراء

• لا تجد بالعطا في غير حق ليس في منع غير ذي الحق بخل •

• انما الجود ان تجود على من هو للجود والندى منك اهل •

فاما من اجاب السوال ووعد بالبذل والنوال فقد صار بوعده
مرهونا

مرهونا وصار وفاؤه بالوعد مقرونا ولا اعتبار باستحقاق السايل
بعد الوعد ولا سبيل الى مراجعته في الرد فيستوجب مع ذم المنع
لوم التخلف ومقت الغادر وهجنة الكذوب ثم لا سبيل الى مطله بعد
الوعد لما في المطل من تكدير الصنيع وتمحيق الشكر والعرب تقول في
امثالها المطل احد المنعين واليأس احد النجحين وقال بشار ابن برد

• اظلت علينا منك يوما غمامة اضات لنا برقا وابطا رشاشها •

• فلا غيمها يجلى فييأس طامع ولا غيثها يأتي فيروى عطاشها •

ثم اذا انجز وعده واوفى بعهده ولم يتبع نفسه ما اعطى صار كانت
يده العليا قال النبي صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد
السفلى وقال الشاعر

• وانك لا تدري اذا جا سايل انت بما تعطيه ام هو اسعد •

• عسى سايل ذو حاجة ان منعته من اليوم سولا ان يكون له غد •

ولكن من سووره اذا كانت الارزاق مقدره ان تكون على يده جاريه
ومن جهته واصله لا ينتقل عنه بمنع ولا يتحول عنه باياس وحكي
ان رجلا شكى كثرة عياله الى بعض الزهاد فقال انظر من كان منهم ليس
رزقه على الله فحوله الى منزلي وقال ابن سيرين لرجل كان يأتيه
على دابه ففقد الدابه فقال ما فعل برذونك قال اشتدت على مؤنته

بنعمه قال اقراه خلف رزقه عندك وقال ابن الرومي

ان لله غير مرعال مرعي برنعيه وغير مايل ما

ان لله بالبريه لطفا سبق الامهات والاباء

ثم ليكن غالب عطايه لله عز وجل واكثر قصده ابتغا ما عند الله كالذي
حكاه ابو بكر عن عمر الخطاب رضي الله عنه ان اعرابيا اتاه فقال

يا عمر الخير جزيت الجنه اكس بنياتي وامهنه

وكن لنا من الزمان جنه اقسم بالله لتفعلنه قال عمر ان لم افعل
يكون ماذا قال اذا ابا حفص لاذهبنه قال فاذا ذهبت ماذا يكون
قال يكون عن حالي لتسالنه يوم يكون الاعطيات هنه وموقف
المسول بينهنه اما الى نار واما جنه فبكى عمر حتى اخضلت لحيته ثم قال
يا غلام اعطه قميصي لذلك اليوم لا لشعره اما والله لا املك غيره فاذا
كان العطا على هذا الوجه خاليا من طلب جزا وشكر وعريا من امتنان
ونشر كان ذلك اشرف للباذل واهنى للقابل فاما المعطي اذا
التمس بعطايه الجزا وطلب به الشكر والثنا فخارج بعطايه عن حكم
السخاء لانه ان طلب الشكر والثنا كان صاحب سمعه وريا وفي هذين
من الذم ما ينافي السخا وان طلب به الجزا كان تاجرا مترنحا لا يستحق
حمدا ولا مدحا وقال ابن عباس في تاويل قوله تعالى ولا تمنن
تستكثر

تستكثر انه الذي يعطي عطيه يلتمس بها افضل منها وكان
الحسن البصري يقول في ذلك لا تمنن بعملك تستكثره على ربك
وقال ابو العتاهيه

وليست يدا اوليتها بغنيمه اذا كنت تبغي ان تعد لها شكرا
غنى المرء ما يكفيه من سد خله فان زاد شيا عاد ذاك الغنى فقرا

واعلم ان الكريم يخدع بالكرامه واللطف واللئيم يخدع بالمهانه
والعنف فلا تجود الا خوفا ولا تجيب الا عنفا وقال الشاعر

رايتك مثل الجوز يمنع لبه صحيحا ويعطي خيره حين يكسر

واحرى ان يكون للمهانه طريقا الى اجتنابك وللخوف سبيلا
الى عطايك فيجر عليك سفه الطغام وامتهان اللئام فليكن
جودك كرما ورغبا لا لوما ورهبا كيلا تكون مع الوصمه كما قال
العباس بن الاحنف صرت كاني ذباله نصبت تضي للناس وهي تحترق
فاما النوع الثاني من البر وهو المعروف فيتنوع ايضا نوعين
قول وعمل فاما القول فهو طيب الكلام وحسن البشر والتودد
بجميل القول وهذا يبعث عليه حسن الخلق ورقه الطبع ويجب
ان يكون محدودا كالسخاء فانه ان اسرف فيه كان ملقا مذموما
وان توسط واقتصد فيه كان معروفا وبرا محمودا وقد قال

ابن عباس في تاويل قوله تعالى والباقيات الصالحات خير عند
ربك ثوابا وخير املا انها الكلام الطيب وكان سعيد ابن
جبير يتاول انها الصلوات الخمس ٥ وروى ابو سعيد عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انكم لن تسعوا الناس
باموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق ٥ وروي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه انشد قول الاعرابي

وحي ذوي الاضغان تسبي قلوبهم تحيتك الحسنى فقد يرقع النغل
فان دحسوا بالكره فاعف تكرما وان خنسوا عنك الحديث فلا تسل
فان الذي يوذيك منه سماعه وان الذي وراك لم يقل

فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكما وان من البيان
لسحرا وقيل للعتابي انك تلقى العامة ببشر وتقريب قال دفع ضغينة
بايسر مؤونة واكتساب اخوان باهون مبذول وقيل في
منثور الحكم من قل حياوه قل احباوه وقال بعض الشعراء

بني ان البر شي هين وجه طليق وكلام لين ٥ وانشدني بعض
اهل العلم ٥

المرء يعرف عند ان مالم يبن للناس افعاله
وكل من تمنعني بنزر فعل ما ينفعني ماله

واما العمل فهو بذل الجاه والاسعاد بالنفس والمعونة في
النايبة

في النايبة وهذا يبعث عليه حب الخير للناس وايثار الصلاح
لهم وليس في هذه الامور سرف ولا لغايتها حد بخلاف النوع
الاول لانها وان كثرت فهي افعال خير تعود بنفعين نفع
على فاعلها في اكتساب الاجر وجميل الذكر ونفع على
المعان بها في التخفيف عنه والمساعدة له وقد روى محمد ابن
المنكدر عن جابر ابن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال كل معروف صدقة وقال النبي صلى الله عليه وسلم المعروف
كاسمه واول من يدخل الجنة يوم القيمة المعروف وقال علي
ابن ابي طالب عليه السلام لا يزهدنك في المعروف كفر من
كفر فقد يشكر الشاكر باضعاف جحود الكافر قال الحطيئة

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب المعروف بين الله والناس ٥

وانشد الرياشي ٥ شعرا

يد المعروف غنم حيث كانت تحملها كفور او شكور
ففي شكر الشكور لها جزاء وعند الله ما كفر الكفور

فينبغي لمن قدر على اسدا المعروف ان يعجله حذر فواته ويبادر
به خيفة عجزه وليعلم انه من فرص زمانه وغنايم امكانه
ولا يهمله ثقة بالقدرة عليه فكم من واثق بقدرة فاتت فاعقبت

ندما ومعول على مكسور الت فارويت محلا كما قال الشاعر

• ما زلت اسمع كم من واثق بخل حتى ابتليت فكنت الواثق الخجلا •

ولو فطن لنوايب دهره وتحفظ من عواقب مكره لكانت مغانمه
مذخورة ومغارمه مجبورة وقد روي عن علي ابن ابي طالب
عليه السلام انه قال من فتح عليه باب من الخير فلينتهزه فانه لا
يدري متى يغلق عليه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لكل شي ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وقيل لانو
شروان ما اعظم المصايب عندكم قال ان يقدر على المعروف
ولا يصطنعه حتى يفوت وقال عبد الحميد من اضاع الفرصة
عن وقتها فليكن على ثقة من فوتها وقال بعض الشعراء

• اذا هبت رياحك فاغتنمها فان لكل خافقة سكون •

• ولا تغفل عن الاحسان فيها فما تدري السكون متى يكون •

وحكي ان بعض وزرا بني العباس مطل راغبا اليه في عمل
يستكفيه اياه فكتب اليه بعد طول المطل به

• اما يدعوك طول الصبر مني على استيناف منفعتي وشغلي •

• وعلمك ان ذا السلطان غاد على خطرين من موت وعزل •

• وانك ان تركت قضا حقي الى وقت التفرغ والتخلي •

ستصبح

• ستصبح نادما اسفا معزى على فوت الصنيعة عند مثلي •

وكتب بعض ذوي الحاجات والحرمات الى وال قصر في رعاية
حرمته • اعلى الصراط تريد رعية حرمتي ام في الحساب تجود بالانعام •

• للنفع في الدنيا اريدك فانتبه لحوائجي من رقدة النوام •

كتب ابو علي البصري الى بعض الوزراء وقد اعتذر اليه بكثرة
الاشغال • لنا كل يوم نوبة قد نشوبها وليس لنا رزق ولا عندنا فضل •

• فلا تعتذر بالشغل عنا فانما تناط بك الامال ما اتصل الشغل •

واعلم ان للمعروف شروط لا يتم الا بها ولا يكمل الا معها فمن
ذلك ستره عن اذاعته يستطيل لها واخفاؤه ومن اشاعة يتبذل
بها فقد قال بعض الحكما اذا اصطنعت المعروف فاستره واذا
اصطنع اليك فانشره وقال دعبل ابن علي الخزاعي

• اذا انتقموا اعلنوا امرهم وان انعموا انعموا باكتتام •

• يقوم القعود اذا اقبلوا وتقعد هيبتهم بالقيام •

على ان ستر المعروف من اقوى اسباب ظهوره وابلغ دواعي
نشره لما جبلت عليه النفوس من اظهار ما اخفي واعلان ما
كتم وقد قال سهل ابن هرون

• خل اذا جئته يوما لتسأله اعطاك ما ملكت كفاه واعتذرا •

تخفي صنايعه والله يظهرها ان الجميل اذا اخفيته ظهرا
ومن شروط المعروف تصغيره ان تراه مستكبرا وتقليله عن ان
يكون مستكثرا ليلا يصير مدلا بطرا او مستطيلا اشرا قال
العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه لا يتم المعروف الا بثلثة
خصال تعجيله وتصغيره وستره فاذا عجلته هنيته واذا صغرته
عظمته واذا سترته اتممته وقال بعض الشعرا زاد معروفك
عندي عظما انه عندك مستور حقير
وتناسيت كان لم تاته وهو عند الناس مشهور خطير
ومن شروط المعروف مجانبة الامتنان وترك الاعجاب بفعله
لما فيهما من اسقاط الشكر واحباط الاجر وقد روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم والامتنان بالمعروف
فانه يبطل الشكر ويمحو الاجر ثم تلا يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والاذى وسمع ابن سيرين رجلا يقول فعلت
اليك وفعلت فقال ابن سيرين اسكت لا خير في المعروف اذا احصي
وقال بعض الحكما المن مفسدة للصنيعة وقال بعض الادبا
كدر معروفا امتنان وضيع حسبا امتهان وقال بعض الادبا المن
مفسدة الصنيعة وقال بعض البلغا من من بمعروفه سقط شكره
ومن

ومن اعجب بعمله حبط اجره وقال بعض الفصحاء قوة المنن من
ضعف المنن وقال بعض الشعراء
افسدت بالمن ما اسديت من حسن ليس الكريم اذا اسدى بمنان
وانشد ابو نواس فامن ولا تمنن على يد المعروف من كدره
وانشدت عن الربيع للشافعي رضي الله عنه
لا تحملن لمن يمن عليك من الايام منه واختر لنفسك حظها واصبر فان الصبر جنه
منن الرجال على القلوب اشد من وقع الاسنه ومن شروط
المعروف ان لا يحتقر منه شيا وان كان قليلا نزرا اذا كان
الكثير معوزا وكنت عنه عاجزا فان من حقر يسيره منع منه عجزه
كثيره فامتنع منه وفعل قليل الخير افضل من تركه وقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يمنعنكم من معروف
صغيره وقال عبد الله ابن جعفر لا تستحي من القليل فان البخل
اقل منه ولا تجبن عند الكثير فانك اكثر منه وقال الشاعر
اعمل الخير ما استطعت وان كان يسيرا فلن تحيط بكله
ومتى تفعل الكثير من الخير اذا كنت تاركا لاقله
على ان المعروف ما لا كلفة على موليه ولا مشقة على مسديه
وانما هو جاه يستظل به الادنى ويرتفق به البايع وقد قال

ظل الفتى ينفع من دونه وماله في ظله حظ ٥

واعلم بانك لن تستطيع ان توسع جميع الناس معروفك ولا ان
توليهم احسانك فاعمد بذلك منهم اهل الفضل والحفاظ واقصد
به ذوي الرعاية والوداد لتكون معروفك فيهم ناميا وصنيعك
عندهم زاكيا فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا
تنفع الصنيعة الا عند ذي حسب ودين وقال صلى الله عليه
وسلم اذا اراد الله تعالى بعبد خيرا جعل صنايعه في اهل
الحفاظ فقال حسان ابن ثابت ٥

ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع ٥
فاذا صنعت صنيعة فاعمد بها لله او لذوي القرابة او دع ٥

وقيل في منثور الحكم لا خير في معروف الى غير عروف وقد
ضرب الشاعر مثلا فقال ٥ كحمار السوء ان اشبعته رمح الناس وان جاع نهق ٥
وقال بعض الحكما على قدر المعارض يكون اجتنا الغارس فاخذه
بعض الشعراء فقال

لعمرك ما المعروف في غير اهله وفي اهله الا بعض الودايع ٥
فمستودع ضاع الذي كان عنده ومستودع ما عنده غير ضايع ٥
وما الناس في شكر الصنيعة عندهم وفي كفرها الا بعض المزارع ٥

فمن زرع

فمن زرعه طابت واضعف نبتها ومن زرعه اكدت على كل زارع

فامامن اسدي اليه المعروف واصطنع اليه الاحسان فقد
صار باسر المعروف موثوقا وفي ملكه موقوفا ولزمه ان كان
من اهل المكافاه ان يكافي عليها وان لم يكن من اهلها ان يقابل
المعروف بنشره ويقابل الفاعل بشكره وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من اودع معروفا فلينشره فان نشره فقد شكره
وان كتمه فقد كفره وقد روي ابو هريرة عن عروه عن عايشة
قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اتمثل بهذين
البيتين ٥ ارفع ضعيفك لا يحربك ضعفه يوما فتدركه العواقب قد نمى ٥
يجزيك او يثني عليك وان من اثنى عليك بما صنعت فقد جزى ٥

فقال النبي صلى الله عليه وسلم ردي علي قول اليهودي قاتله
الله اتاني جبريل برسالة ربي تعالى ايما رجل صنع الى اخيه
صنيعة فلم يجد لها جزا الا الدعا والثنا فقد كافاه وقيل
في منثور الحكم الشكر قيد النعم وقال عبد الحميد من لم يشكر
الانعام فاعدده من الانعام وقيل في منثور الحكم فيه كل نعمة
شكرها وقال بعض الحكما كفر النعمه من امارات البطر واسباب
العبر وقال بعض البلغاء لا زوال للنعمه مع الشكر ولا بقا لها

مع الكفر وقال بعض الفصحا الكريم شكور او مشكور واللئيم كفور
ومكفور وقال بعض الادبا شكر الاله بطول الثنا وشكر الولاة بصدق
الولا وشكر النظير بحسن الجزاء وشكر من دونك بسبب العطاء وقال
بعض الشعراء ه • فلو كان يستغني عن الشكر ماجد لعزة ملك او علو مكان •
• لما امر الله العباد بشكره فقال اشكروا لي ايها الثقلان •
فان شكر معروف من احسن اليه ونشر انعام من افضل عليه فقد
ادى حق النعمة وقضى موجب الصنيعة ولم يبق عليه الا استدامة
ذلك انما الشكر ليكون للمزيد مستحقا ولمتابعة الاحسان موجبا
حكى ان الحجاج اتي بقوم من الخوارج وكان فيهم صديق له
فامر بقتلهم الا ذلك الصديق فانه عفا عنه واطلقه ووصله
فرجع الرجل الى القطري وكان من اصحابه فقال له عد الى قتال
الحجاج عدو الله فقال هيهات غل يدا مطلقها واسترق رقبة معتقها
وانشا يقول • اني اذا لاجو الدناءة والذي شهدت باقبح فعله غدراته •
• ماذا اقول اذا وقفت ازاءه في الصف واحتجت له فعلاته •
• اقول جار علي لا اني اذا لاحق من جارت عليه ولاته •
• وتحدث الاقوام ان صنائعا غرست لدي فحنظلت نخلاته •
وقيل في منثور الحكم المعروف رق والمكافاة عتق ومن اشكر

الناس

الناس الذي يقول ه • لاشكرنك معروفا هممت به ان اهتمامك بالمعروف معروف •
• ولا الومك ان لم تمضه قدرا فالشيء بالقدر المحتوم مصروف •
وهذا النوع من الشكر الذي يستعجل المعروف ويتقدم للبر
قد يكون على وجوه فيكون تارة من حسن الثقة بالمشكور في
وصول بره واستيذان عرفه ولا ارى لمن حسن به ظنه
شاكرا ان تخلف حسن ظنه فيه فيكون كما قال العتابي شعر
قد اورقت فيك امالي بوعدك لي ولَيس في ورق الامال لي ثمر
وقد يكون تارة من فرط شكر الراجي وحسن مكافاة الا مل
ولا تجز معها رجا برضى الا بتعجيل الحق وايتلاف الشكر وليس
لمن صادف لمعروفه متعدنا زاكيا ومغرسا ناميا ان يفوت نفسه
عما ولا تجزيها رجا وهذا وجه ثاني وقد يكون تارة ارتهانا
للمامول وجبا للمسؤول بحسب ما اسلف من الشكر يكون الذم عند
الاياس وقال بعض الادبا من حكما المتقدمين من شكر
على معروف لم يسده اليه تعاجله والا انعكس فصار ذما وقال
ابن الرومي ه • وما الحقد الا توام الشكر في الفتى وبعض السجايا ينتسبن الى بعض •
• فحيث ترى حقدا على ذي اساءة فثم ترى شكرا على حسن القرض •
• اذا الارض ادت ريع ما انت زارع من البذر فيها فهي ناهيك من ارض •

فاما ستر معروف المنعم ولم يظهر شكر على ما اولاه من نعم فقد كفر
النعمه وجحد الصنيعه وابا من ذم الخلايق وسو الظن عما يستوجب
به قبح الرد وسو المنع فقد روي ابو هريره عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لا يشكر الله من لا يشكر الناس وقال
بعض الادبا من لم يشكر لمنعمه استحق قطع النعمه وقال بعض
الفصحا من كفر نعمه المفيد استوجب حرمان المزيد وقال بعض
الادبا البلغا من انكر حسن الصنيعه استوجب قبح القطيعه وانشد
بعض الادباء ما ذكر انه لعلي ابن ابي طالب عليه السلام

من جاور النعمه بالشكر لم يخش على النعمه مغتالها
لو شكروا النعمه زادتهم مقاله الله التي قالها
لان شكرتم لازيدنكم لكنما كفركموا غالها
والكفر بالنعمه يدعوا الى زوالها والشكر ابقى لها

فهذا اخر ما يتعلق بالقاعده الثانيه من اسباب الالفه الجامعه

فصل فاما القاعده الثالثه فهي الماده الكافيه
لان حاجه الانسان لازمه لا يعرى منها بشر قال الله تعالى وما
جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين فاذا عدم الماده
التي بها قوام نفسه لم تدم له حياه ولم تستقم له دنيا واذا تعذر شي
منها

منها عليه لحقه من الوهن في نفسه والاختلال في دنياه بقدر ما
تعذر من الماده عليه لان الشي القايم بغيره يكمل بكماله ويختل
باختلاله ثم لما كانت المواد مطلوبه لحاجه الكافه اليها اعوزت
بغير طلب وعدمت لغير سبب واسباب المواد مختلفه وجهات المكاسب
متشعبه ليكون اختلاف اسبابها الايتلاف بها وتشعب جهاتها متوسعه
لطلابها كيلا يجتمعوا على سبب واحد فلا يلمون واشتركوا في
جهه واحده فلا يكتفون ثم هداهم اليها بعقولهم وارشدهم
اليها بطباعهم حتى لا يتكلفوا ايتلافهم في المعايش المختلفه
فيعجزوا ولا يتفاوتوا تقدير موادهم بالمكاسب المتشعبه فيختلوا
حكمه منه سبحانه وتعالى اطلع بها على عواقب الامور وقد
انبا الله تعالى في كتابه اخبارا واذكارا بقوله سبحانه قال
ربنا الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى واختلف المفسرون
في تفسير ذلك فقال قتاده اعطى كل شي ما يصلحه ثم هداه
له وقال مجاهد اعطى كل شي صورته ثم هداه لمعيشته
وقال ابن عباس اعطى كل شي زوجه ثم هداه لنكاحه وقال
تعالى يعلمون ظاهرا من الحياه الدنيا وهم عن الاخره هم غافلون
وقال تعالى وقدر فيها اقواتها في اربعه ايام سوا للسايلين

قال عكرمه قدر في كل بلد منها ما لم يجعله في الاخرى بالتجاره
من بلد الى بلد ليتعيش بعضهم مع بعض وقال الحسن البصري
وعبد الرحمن ابن زيد ارزاق اهلها سوا للسايلين الزياده
في ارزاقهم ثم ان الله تعالى جعل لهم مع ما هداهم اليه من مكاسبهم
وارشدهم اليه من معايشهم دينا يكون لهم حكما وشرعا يكون
عليهم فيما ليصلوا الى مرادهم بتقديره ويطلبوا اسباب مكاسبهم
بتدبيره حتى لا ينفردوا بارادتهم فيتغالبوا ولا يستولي عليهم
اهواهم فيتقاطعوا قال الله تعالى ولو اتبع الحق اهواهم
لفسدت السموات والارض ومن فيهن قال المفسرون الحق
في هذا الموضع هو الله تعالى فلاجل ذلك لم يجعل المراد
مطلوبه بالالهام حتى جعل العقل هاديا اليها والدين قاضيا
عليها لتتم السعاده ويعم المصلحه ثم انه جلت عظمته جعل سد
حاجاتهم وتوصلهم الى منافعهم من وجهين بماده وكسب اما الماده
فهي حادثه عن اقتنا اصول ناميه بذواتها وهي شيان نبت
نامي وحيوان متناسل قال الله تعالى وانه هو اغنى واقنى
قال ابو صالح اغنى خلقه بالمال واقنى جعل لهم قنيه هي اصول
الاموال واما الكسب فيكون بالافعال الموصوله الى الماده

والتصرف

والتصرف المودي الحاجه وذلك من وجهين احدهما تقلب
في تجاره والثاني تصرف في صناعه وهذان الوجهان هما فرع
لوجهي الماده فصارت اسباب المواد المولوفه وجهات المكاسب
المعروفه من اربعه اوجه هي زراعه ونتاج حيوان وربح
تجاره وكسب صناعه وقد حكى الحسن ابن رجا نحو ذلك عن
المامون قال سمعته يقول الناس على اربعه اقسام زراعه
وصناعه وتجاره وامارة فمن خرج عنها كان كلا عليها واذ قد
تقررت اسباب المواد بما ذكرنا فسنصف حال كل واحد منها
بقول موجز اما الاول من اسبابها وهو الزراعه فهي ماده
اهل الحضر وسكان الامصار والمدن والاستمداد بها اعم نفعا
واوفى فرعا ولذلك ضرب الله به المثل فقال مثل الذين
ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبه انبتت سبع سنابل في كل
سنبله مايه حبه والله يضاعف لمن يشا والله واسع عليم
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير المال عين
ساهره لعين نايمه وقال صلى الله عليه وسلم نعمت لكم النخله
تشرب من عين خواره وتغرس في ارض خواره وقال صلى الله
عليه وسلم في النخل هي الراسخات والوحل المطعمات في المحل

وروي عن هشام ابن عروه عن ابيه عن عايشه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق في خبايا الارض
يعني الزرع وقال بعض السلف خير المال عين خراره في ارض
خواره يحرسها الفاره تسهر اذا نمت وتشهد اذا غبت وتكون
عقبا اذا مت وحكي عن المعتضد انه قال رايت على ابن ابي
طالب عليه السلام في المنام فناولني مسحاه وقال خذها فانها
مفاتيح خزاين الارض ه وقال كسري للموبذ ما فيه نماء
هذا فاطرق ساعه ثم قال ما اعرف له فيه الان يكون مطره
في بستان فانها اصلح من معايش الرعيه ما يكون قيمته مثل
مقدار تاج الملك ولقي عبد الله ابن عبد الملك لابن شهاب
الزهري قال دلني على مال اعالجه فانشا ابن شهاب يقول

تتبع خبايا الارض وادع مليكها لعلك يوما ان تجاب فترزقا

فيؤتيك مالا واسعا ذا مثابه اذا ما مياه الارض غارت تدفقا

وقد اختلف الناس في تفضيل الزرع والشجر بما ليس يتسع كتابنا
هذا لبسط القول فيه فمن فضل الزرع فلعموم نفعه
ووفور جدواه ومن فضل الشجر فللبوث ارضه وتوالي ثمره
واما الثاني من اسبابها وهو نتاج الحيوان فهو ماده اهل

الحصن وسكان الخيام لانهم لما لم يستقر بهم دار ولم يحبهم امصا ر
فنفروا الى الاموال المنتقله وما لا ينقطع به عن بالظعن والرحله
فاقتنوا الحيوان لانه ينتقل من النقله بنفسه ويستغنى في
الحموله برعيه ثم هو مركوب ومحلوب وكان اقتناوه على اهل
الخيام ايسر لقله مونته وتسهيل الكلفه به وكانت جدواه
عليهم اكثر لوفور نسله واقتناب رسله الهاما من الله تعالى
لخلقه في تعديل المصالح فيهم وارشاد العباده في قسمه المنا فع
بينهم وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
خير المال مهره مامورة او سكه مابوره ومعنى قوله مهره مامورة
اي كثيره النسل ومنه ما تاول الحسن وقتاده قوله تعالى
امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا
اي اكثرنا عددهم واما السكه المابوره فهي النخله الموبره
الحمل وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في
الغنم سمنها معاش وصوفها رياش وروي عن ابي ظبيا ن
قال قال لي عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ما مالك يا ظبيان
قال قلت عطاي الفان قال اتخذ من هذا الحرث والسابيا
ان يليك غلمه من قريش لا تعد العطا معهم مالا والسابيا النتاج

ورُوي ان امراه اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول
الله اني احدثت غنمًا ابتغي رسلها ونسلها فتقدم موخر اواها
لا تنمي فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ما الوانها قالت سود
فقال عفري وهذا مثل قوله في مناكح الادميين اغربوا
لا تضووا واما الثالث من اسبابها وهي التجاره فهي فرع
لمادتي الزرع والنتاج وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال تسعه اعشار الرزق في التجاره والجزء الثاني في
السابيا وهي نوعان تقلب في الحضر من غير نقله ولا سفر وهذا
تربص واحتكار قد رغب عنه اولوا الاقدار وزهد
فيه ذووا الاخطار والثاني تقلب المال في الاسفار
ونقله الي الامصار فهذا اليق باهل المروه واعظم جدوى
ومنفعه غير انه اكثر خطرًا واعظم غررًا وقد روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان المسافر وماله لعلى قلت
الا ما وقى الله يعني على خطر وقيل في التوريه يا ابن ادم
احدث سفرًا احدث لك رزقًا واما الرابع من اسبابها وهو
الصناعه فقد يتعلق بما مضى من الاسباب الثلثه وينقسم
ثلثه اقسام صناعه فكر وصناعه عمل وصناعه مشتركه
بين

بين فكر وعمل لان الناس الاف الصناعات فاشرهم نفسًا
منهي لاشرفها جنسًا الا ان كان ارذلهم نفسًا منهي لارذلها جنسًا لان
الطبع يبعث على ما لاومه وتدعوا الى ما جانسه ٥ حكى ان
الاسكندر لما اراد الخروج الى اقاصي الارض قال لارسطاطاليس
اخرج معي قال قد نحل جسمي وضعفت عن الحركه فلا تزعجني قال فما
اصنع في عمالي خاصه قال انظر من كان له عبيد فاحسن سياستهم
فوله الجند ومن كانت له ضيعه فاحسن تدبيرها فوله الخراج فنبه
باعتبار الطباع على ما اغناه عن كلف التجربه واشرف الصناعات
صناعه الفكر وارذلها صناعه العمل لان العمل نتيجه الفكر
وهو مدبره فاما صناعه الفكر فقد تنقسم قسمين احدهما
وتقف على التدبيرات الصادره عن نتاج الاراء الصحيحه كسياسه
الناس وتدبير البلاد وقد افردنا للسياسه كتابًا لخصنا فيه
من جملها ما ليس يحتمل هذا الكتاب زياده عليه والثاني ما ادي
الي المعلومات الحادثه عن الافكار النظريه وقد مضى في العلم
من كتابنا هذا باب كا اغنى ما فيه عن زياده قول فيه واما
صناعه العمل فقد ينقسم قسمين عمل صناعي وعمل بهيمي فالعمل
الصناعي اعلاهما رتبه لانه يحتاج الى معاطاه من تعلمه ومعاناه

في تصوره فصار احد النسبه من المعلومات الفكريه والاخر فانما
هي صناعه كدّ ومهنه وهي الصناعه التي تقتصر عليها النفوس الرذيله
ويتفق عليها الطباع الخسيسه كما قال اكثم ابن صيفي لكل ساقطه لاقطه
وقد قال المتلمس فلا يقيم على ضيم يسام به الا الاذلان عير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثي له احد
واما الصناعه المشتركه بين الفكر والعمل فقد ينقسم قسمين احدهما
ان يكون صناعه الفكر اغلب والعمل تبعا كالكتابه والثاني ان يكون
الصناعه اغلب والفكر تبعا كالبنا فاعلاهما رتبه ما كان صناعه
الفكر اغلب عليها والعمل تبعا لها فهذه احوال الخلق التي ركبهم
الله تعالى عليها في ارشاد موادهم ودلهم الى نظرهم في طلب اكسابهم
وفرق في الناس بين هممهم ليكون ذلك سببا لالفهم سبحان من
تفرد فيها بلطيف حكمته واظهر لعظيم عزايم قدرته واذ قد وضح
القول في اسباب المواد وجهات المكاسب فليس تخلو احوال الانسان
فيها من ثلثه امور احدها ان يطلب منها قدر كفايته ويلتمس
وفور حاجته من غير ان يتعدى الى زياده عليها او يقتصر على نقصان
منها فهذه احمد احوال الطالبين واعدل مراتب المقتصدين وقد
روي قتاده عن رسول الله صلى الله انه قال اوحى الله الي
كلمات

كلمات تدخلن في اذني ووقرن في قلبي من اعطي فضل ماله فهو خير له
ومن امسك فهو شر له ولا يلوم الله على كفاف وروى حميد عن
معويه ابن كنده قالت قلت يا رسول الله صلى الله عليه ما يكفيني من
الدنيا قال ما سد جوعتك وستر عورتك فان كان دار تظلك
وان كان حمار فبخ بخ فلق من خبز وجر من ما وانت مسؤل عما
فوق الازار وتحكى عن ابن عباس ومجاهد في قوله تعالى اذ
جعل فيكم انبيا وجعلكم ملوكا ان كل من ملك بيتا وزوجه وخا دما
فهو ملك وروى زيد ابن اسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من كان له بيت وخادم فهو ملك وهو في المعنى صحيح لانه
بالزوجه والخادم مطاع في امره وبالدار محجوب الامر اذ به
فليس على من طلب على قدر الكفايه ولم يتجاوز ويبتغ الزياده الا
توخي الحلال منه واجمال الطلب فيه ومجانبه الشبه الممازجه فقد
روى نافع ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلال
بين والحرام بين فدع ما يريبك الى ما لا يريبك فلن تجد فقد
شي تركته لله وسيل رسول الله صلى الله عليه عن الزهد تعال
اما انه ليس باضاعه المال ولا تحريم الحلال ولكن ان تكون بما
بيد الله تعالى اوثق منك بما في بيتك وان يكون ثواب المصيبه

ارح عندك من بقايها وحكى عبد الملك ابن المبارك قال كتب
عمر ابن عبد العزيز الى الجراح ابن عبد الله الحكمي ان استطعت ان
تدع مما احل الله تعالى لك ما يكون حاجزا بينك وبين الحرام فافعل
فانه من استوعب الحلال تاقت نفسه الى الحرام وقد اختلف اهل
التاويل في قوله تعالى فان له معيشه ضنكا فقال عكرمه يعني
كسبا حراما وقال ابن عباس هو اتفاق من لا يوقن بالخلف
وقال يحيى ابن معاذ الدرهم عقرب فان احسنت رقيتها والا فلا
تاخذها وقيل من قل توقيه كثرت مساويه وقال بعض البلغاء
خير الاموال ما اخذته من الحلال وصرفته في النوال وشر الاموال
ما اخذته من الحرام وصرفته في الاثام وكان الاوزاعي الفقيه
يتمثل بهذه الابيات

المال ينفد حله وحرامه يوما ويبقى بعده اثامه
ليس التقي بمتق لالهه حتى يطيب شرابه وطعامه
ويطيب ما يحوي ويكسب اهله ويطيب من لفظ الحديث كلامه

وحكي عن ابن المعتز انه قال الناس ثلثه اغنيا وفقرا واوساط
فالفقرا موتى الا من اغناه الله تعالى بعز القناعه والاغنيا
سكارى الا من عصمه الله بتوقع الغير واكثر الخير مع اكثر الاوساط
واكثر

والشر مع اكثر الفقرا والاغنيا لسخف الفقر وبطر الغنى والحاله
الثانيه ان يقصر عن طلب كفايته ويزهد في التماس ما دونه وهذا
التقصير قد يكون على ثلثه اوجه فيكون تاره كسلا وتاره توكلا
وتاره زهدا وتقنعا فان كان تقصيره لكسل فقد حرم ثروه
النشاط ومرح الاغتباط ولن يعدم ان يكون كلا مضيعا او ضايعا
شقيا وروي عن النبي صلى الله عليه انه قال كاد الحسد ان يغلب
القدر وكاد الفقر ان يكون كفرا وقال بزرجمهر ان كان
شي فوق الحياه فالصحه وان كان شي مثلها فالغنى وان كان شي
فوق الموت فالمرض وان كان شي مثله فالفقر وقيل في منثور الحكم
العسر خير من الفقر ووجد في تل مصر مكتوب على حجر عقبى الصبر
نجاح وغنا ورداء الفقر من نسج الكسل وقال بعض الشعراء

اعوذ بك اللهم من بطر الغنى ومن نكبه البلوى ومن ذله الفقر
ومن امل يهدي الى كل بارق ويرجعني منه بخط بلا صفر
اذا لم تدنسني الذنوب بعارها فلست ابالي ما تشعث من امري

وان كان تقصيره لتوكل فذلك عجز قد اعذر به نفسه وترك حزما
قد غير اسمه لان الله تعالى انما امر بالتوكل عند انقطاع الحيل
والتسليم الى القضاء بعد الاعذار وقد روى معمر عن ايوب

عن ابن قلابة قال ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل
فذكر فيه خير وقالوا يا رسول الله خرج معنا حاجاً فاذا نزلنا
منزلاً لم يزل يصلي حتى نرتحل فاذا ارتحلنا لم يزل يذكر الله تعالى
حتى ينزل قال فمن كان يكفيه علف ناقته وصنع طعامه قالوا
كلنا قال وكلكم خير منه وقال بعض الحكما ليس من توكل
المرء اضاعته للحزم ولا من الحزم اضاعة نصيبه من التوكل وان
كان يقصر لزهد ويقنع فهذه حال من علم محاسبة نفسه بتبعات
الغنى والبطر وخاف عليها من بوايق الهوى والفتن فاثر الفقر
على الغنى وزجر النفس عن ركوب الهوى وقد روى ابو الدرداء
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم طلعت فيه شمسه الا
وجنبها ملكان يناديان يسمعها خلق الله كلهم الا الثقلين يا ايها الناس
هلموا الى ربكم ان ما قل وكفى خير مما كثر والهى وروى علي ابن الحسين
عن ابيه عن جده عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انتظار الفرج من الله تعالى عبادة ومن رضي بالقليل من الرزق
رضي الله منه بالقليل من العمل وروي عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
انه قال من نبل الفقر انك لا تجد احداً يعصي الله تعالى ليفتقر واخذه
محمود الوراق فقال

يا

يا عايب الفقر الا تزدجر عيب الغنى اكثر لو تعتبر
من شرف الفقر ومن فضله على الغنى ان صح منك النظر
انك تعصي لتنال الغنى ولست تعصي الله كي تفتقر
وقال ابن المقفع دليلك ان الفقر خير من الغنى وان القليل المال خير من المثري
لقاؤك مخلوقاً عصى الله بالغنى ولم تر مخلوقاً عصى الله بالفقر
وهذه الحالة انما تصح لمن نصح طاعته نفسه وصدقها فاجابته حتى
لان قيادها وهان عنادها وعلم ان من لم يقتنع بالقليل لم ينتفع
بالكثير كما كتب الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز يا اخي من استغنى
بالله تعالى اكتفى ومن انقطع الى غيره تعنى ومن كان من قليل الدنيا
لا يشبع لم يغنه منها كثير ما جمع فعليك منها بالكفاف والزم نفسك
العفاف واياك وجمع الفضول فان حسابه يطول وقال
بعض الحكما هيهات منك الغنى ان لم يقنعك ما حويت فاما من عزفت
نفسه عن قبول نصحه وجمحت به عن قبول زهده فليس الى اكراهها
سبيل ولا الى حملها عليها وجه الا بالرياضة والمرون وان
يستنزلها عن الشيء الذي لا ينفر منه فاذا استقرت عليه استنزلها
الى ما هو اقل منه لينتهي بالتدريج الى الغاية المطلوبة ويستقر
بالرياضة والمرون على الحالة المحبوبة فقد تقدم قول الحكماء

بان الكد ليتسهل بالمروة فهذا حكم ما في الحال الثانية من التقصير
عن طلب الكفاية واما الحال الثالثة فهو ان لا يقنع بالكفاية
ويطلب الزيادة الكثيرة فقد يبعثوا الى ذلك اربعة اسباب
احدها منازعة الشهوات التي لا تنال الا بزيادة المال وكثرة المادة
فاذا نازعته الشهوة طلب من المال ما يوصله اليها وليس
للشهوات حد متناه فيصير ذلك ذريعة الى ما يطلبه من الزيادة
غير متناه ومن لم يتناه طلبه استدام كده وتعبه ومن استدام
به الكد والتعب لم يف التذاذه بنيل شهواته بما يعانيه من
استدامة كده واتعابه مع ما قد لزمه من ذم الانقياد لمغالبة
الشهوات والتعرض لاكتساب التبعات حتى يصير كالبهيمة التي
قد انصرف طلبها الى ما تدعوا اليه شهوتها فلا ينزجر عنه بعقل
ولا ينكف عنه بقناعة وقد روي عن علي ابن ابي طالب عليه السلام
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اراد الله به خيرا
حال بينه وبين شهوته وبينه وبين قلبه واذا اراد الله به شرا
وكله الى نفسه وقال الشاعر

اذا انت اعطيت بطنك همه وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا

والسبب الثاني ان يطلب الزيادة ويلتمس الكثرة ليصرفها في وجوه الخير
ويتقرب

ويتقرب بها في جهات البر ويصطنع بها المعروف ويغيث بها
الملهوف فهذا اعذر وهو بالحمد احرى واجدر اذا انصرفت عنه
تبعات المطالب وتوقي شبهات المكاسب واحسن التقدير في
حالتي فايدته وافادته على قدر الزمان وتعذر الامكان لان
المال له المكارم وعون على الدين ومتالف الاخوان ومن فقده
من ابناء الدنيا قلت الرغبة فيه والرهبة منه ولم يكن منهم بموضع
رهبة ولا رغبة استهانوا به وقد روى عبد الله ابن زايد
عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احساب
اهل الدنيا هذا المال وقال مجاهد الخير في القران كله المال
انه لحب الخير لشديد يعني المال احببت حب الخير عن ذكر ربي يعني
المال وكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا يعني مالا وقال شعيب اني
اراكم بخير يعني الغنى والمال وانما سمى الله تعالى المال خيرا اذا كان
في الخير مصرفا وقالوا ما ادى الى الخير فهو من نفسه خير وقد
اختلف اهل التاويل في قوله تعالى ومنهم من يقول ربنا اتنا في
الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار فقال السدي
وعبد الرحمن ابن زيد الحسنة في الدنيا المال وفي الاخرة الجنة
وقال الحسن البصري وسفين الثوري الحسنة في الدنيا العلم

والعباده وفي الاخره الجنه وقال عبد الله ابن عباس الدراهم
والدنانير خواتيم الله في الارض لا تؤكل ولا تشرب حيث قصدت
بها قضيت حاجتك ه وقال قيس ابن سعد اللهم ارزقني حمدا
ومجدا فانه لا حمد الا بفعال ولا مجد الا بمال وقيل لابي الزناد لم
تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا قال هي وان ادنتني من الدنيا
فقد صانتني عنها وقال بعض الحكما من اصلح ماله فقد صان
الاكرمين الدين والعرض وقيل في منثور الحكم من استغنى كرم
على اهله ومر رجل من ارباب الاموال ببعض العلما فتحرك له واكرمه
فقيل له بعد ذلك ما كانت لك الى هذا حاجه قال لا ولكني رايت
ذا المال مهيبا وسال رجل محمد ابن عمر ابن عطارد وعتاب ابن ورقا
في عشر ديات فقال محمد على ديه وقال عتاب الباقي علي فقال محمد
نعم العون اليسار على المجد وكان يقال الدراهم مراهم لانها تداوي
كل جرح ويطيب بها كل صلح وقيل في منثور الحكم الفقر مخذله والغنى
مجذله والبوس مرذله والسوال مذله وقال اوس ابن حجر

اقيم بدار الحزم ما دام حزمها واحرى اذا حالت بان اتحولا •
فاني وجدت الناس الا اقلهم خفاف العهود يكثرون التنقلا •
اخر ه بني ادم ذا المال الكثير يرونه وان كان عبدا سيد الامر جحفلا •

وهم

وهم بقليل المال اولا علته وان كان محضا في العشيره مخولا   اخر ه
اجلك قوم حين صرت الى الغنى وكل غني في العيون جليل •
وليس الغنى الا غنى زين الفتى عشيه يقرى او غداه ينيل •

وقد اختلف الناس في تفضيل الغنى والفقر مع اتفاقهم ان ما احوج
من الفقر مكروه وما ابطر من الغنى مذموم فذهب قوم الى
تفضيل الغنى على الفقر لان الغني مقتدر والفقير عاجز والقدره
افضل من العجز وهذا مذهب من غلب عليه حب النباهه وذهب
اخرون الى تفضيل الفقير على الغني لان الفقير تارك والغني ملابس
وترك الدنيا افضل من ملابستها وهذا مذهب من غلب عليه حب
الدنيا والسلامه وذهب اخرون الى تفضيل التوسط بين الامرين بان
يخرج من حد الفقر الى ادنى مراتب الغنى ليصل الى فضيله الامرين
ويسلم من مذمه الحالين وهذا مذهب من يرى تفضيل الاعتدال
وان خيار الامور اوساطها وقد مضى من شواهد كل فريق في
موضعه ما اغنى عن اعادته والسبب الثالث ان يطلب الزياده
ويقتني الاموال ليدخرها الولد ويخلفها على ورثته مع شده ضنه
على نفسه وكفه عن صرف ذلك في حقه اشفاقا عليهم من كدح
الطلب وسو المنقلب فهذا شقي بجمعها ماخوذ بوزرها قد

استحق اللوم واستوجب الذم من وجوه لا تخفى على ذي لب فمنها سوء
ظنه بخالقه في انه لا يرزقه الا من جهته وقد قيل القنوط صاحبه
وفي حسن الظن بالله تعالى راحة القلوب وقال عبد الحميد كيف تبقى على
حالتك والدهر في احالتك ومنها الثقة بنفاذ ذلك على ولده مع نوايب
الزمان ومصايبه وقد قيل الدهر حسود لا ياتي على شي الا غيره وقد
قيل في منثور الحكم المال ملول وقال بعض الحكما الدنيا ان بقيت لك لم
تبق لها ومنها ما حرم من منافع ماله وسلب من وفور حاله وقد قيل
انما مالك لك او للوارث او للجايحة فلا تكن اشقى الثلثه وقال عبد الحميد
اطرح كواذب الامال وكن وارث مالك ومنها ما لحقه من شقا جمعه
وناله من عناكده حتى صار ساعيا محروما وجاهدا مذموما وقد قيل
رب مغبوط بنعمة هي داؤه ومرحوم من سقم هو شفاؤه وقال الشاعر

ومن كلفته النفس فوق كفافها فما ينقضي حتى الممات عناؤه

ومنها ما يواخذ به من وزره واثامه ويحاسب عليه من تبعاته واجرامه
كما حكي ان هشام ابن عبد الملك لما ثقل بكا عليه ولده فقال لهم
جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم عليه بالبكا وترك لكم ما كسب وتركتم
عليه ما اكتسب ما اسوا حال هشام ان لم يغفر الله له فاخذ هذا المعنى
محمود الوراق فقال

تمتع

تمتع بمالك قبل الممات والا فلا مال ان انت متنا
شقيت به ثم خلفته لغيرك بعدا وسحقا ومقتا
فجادوا عليك بزور البكا وجدت لهم بالذي قد جمعتا
وارهنتهم كلما في يديك وخلوك رهنا بما قد كسبتا

وقد روي ان العباس ابن عبد المطلب جا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله ولني فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباس
يا عم النبي قليل يكفيك خير من كثير يرديك يا عباس يا عم النبي
نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها يا عباس يا عم النبي ان الامارة اولها
ندامه واوسطها ملامه واخرها خزي يوم القيمه فقال يا رسول الله
الا من عدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف يعدلون
مع الاقارب وقال رجل للحسن البصري اني اخاف الموت واكرهه
فقال لانك خلفت مالك ولو قدمته لسرك اللحاق به وقيل في منثور
الحكم كثرة مال الميت تعزي ورثته عنه فاخذ المعنى ابن الرومي فقال

بقيت مالك ميراثا لوارثه فليت شعري ما بقى لك المال
القوم بعدك في حال تسرهم فكيف بعدهم حالت بك الحال
ملوا البكا فما يبكيك من احد واستكثروا القول في الميراث والقال
ولتهم عنك دنيا اقبلت لهم وادبرت عنك والايام احوال

والسبب الرابع ان يجمع المال ويطلب المكاثره استحلا لجمعه وشغفا
باحتجانه وهذا اسوا الناس حالا فيه واشدهم حرمانا له وقد توجهت
اليه سائر الملاوم حتى صار وبالا عليه ومذموما له وفي مثله قال الله
تعالى والذين يكنزون الذهب والفضه ولا ينفقونها في سبيل الله
فبشرهم بعذاب اليم فقال النبي صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا
للفضه قال فشق ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا فاي مال نتخذ قال عمر انا اعلم لكم ذلك فقال يا رسول الله
ان اصحابك قد شق عليهم وقالوا فاي مال نتخذ فقال لسانا ذاكرا
وقلبا شاكرا وزوجة مومنة تعين احدكم على دينه قال عمر انا اعلم
لكم ذلك فقال يا رسول الله ان اصحابك قد شق عليهم ذلك قالوا
فاي مال نتخذ فقال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وروى شهر بن
حوشب عن ابي امامه قال مات رجل من اهل الصفه فوجد في
ميزره دينار فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيه ثم مات اخر فوجد في
ميزره ديناران فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان وان كان قد
ذكر فيهما وان كان قد مات على عهده من ترك اموالا جمه واحوالا
ضخمة فلم يكن منه فيهم ما كان منه في هذين لانهما تظاهرا بالقناعه
واصحاما ليس بهما اليه حاجه فصارا باحتجازه زورا عليهما وعقابا بالهما وقد قال الشاعر
اذا

اذا كنت ذا مال ولم تك ذا ندى فانت اذا والمقترون سواء
على ان في الاموال يوما تباعه على اهلها والمقترون براء
وانشد عن الربيع للشافعي رضي الله عنه
ان الذي رزق اليسار فلم يصب اجرا ولا شكرا لغير موفق
فالجد يدني كل شي شاسع والجد يفتح كل باب مغلق
واذا سمعت بان مجدودا حوى عودا فاورق في يديه فصدق
واذا سمعت بان محروما اتى ماء ليشربه فغار فحقق
واشد من نقل الجبال وبسطها بين الكور امر ما لم ارزق
حسبي من الدنيا الدنيه انني بين الخلائق موثق بالمطلق
لوكان بالحيل الغنى لرايتني بنجوم اسباب السما اتعلق
لكن من رزق الحجا حرم الغنى ضدان مفترقان اي تفرق
واحق خلق الله بالهم امرؤ ذو همة يبلى بعيش ضيق
ومن الدليل على القضا وكونه بوس اللبيب وطيب عيش الاحمق
وانه من بلي بالجمع والاستكثار ومني بالامساك والادخار حتى
انصرف عن رشده فغوى وانحرف عن سبيل قصده فهوى ان يستولي
عليه حب المال وبعد الامل فيبعثه حب المال على الحرص في
طلبه ويدعوه بعد الامل على الشح به والحرص والشح اصلا كل

دم وسببا كل لوم لان الشح يمنع من ادا الحقوق ويبعث على القطيعه
والعقوق ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم شر ما اعطى العبد
شح هالع وجبن خالع وقال بعض الحكما الغني البخيل كالقوي الجبان
واما الحرص فيسلب فضايل النفس لاستيلايه عليها ويمنع من التوفر على
العباده لتشاغله عنها ويبعث على التورط في الشبهات لقله تحرزه منها
وهذه ثلاث خلال هن جامعات الرذايل وسالبات الفضايل مع ان
الحريص لا يستزيد بحرصه زياده على رزقه سوى اذلال نفسه واسخاط
خالقه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الحريص الجاهد
والقنع الزاهد يستوفيان اكلهما غير منتقص منه شيا فعلام التهافت
في النار وقال بعض الحكما الحرص مفسده الدين والمروه والله
ما عرفت من وجه رجل حرصا فرايت ان فيه مصطنعا وقال اخر
الحريص اسير مهانه لا تنفك اسره وقال بعض البلغا المقادير
الغالبه لا تنال الا بالمغالبه والارزاق المكتوبه لا تنال الا بالشده
والمطالبه فذلل للمقادير نفسك واعلم بانك غير نايل بالحرص الا
حظك وقال بعض الادبا حظ ادركه غير طالبه ودر احرزه غير
حالبه وانشدني بعض اهل الادب لمحمد ابن حازم

ايا اسير الطمع الكاذب في غل الهوان

ان

ان عزا الناس خير لك من ذل الهوان
سامح الدهر اذا عز وخذ صفو الزمان
ربما اعدم ذو الحرص واثرى ذو التواني

وليس للحريص غايه مقصوده يقف عندها ولا نهايه محدوده يقنع
بها لانه ان وصل بالحرص الى ما امل اغراه ذلك بزياده الحرص
والامل وان لم يصل رأى اضاعه العنا لوما والصبر عليه حرما
وصار بما اسلف من عنايه اقوى رجا وابسط املا وقد روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال يشيب ابن ادم ويبقى منه خصلتان
الحرص والامل وقيل للمسيح عليه السلام ما بال المشايخ احرص على
الدنيا من الشباب قال لانهم ذاقوا من طعم الدنيا ما لم تذقه الشباب
ولو صدق الحريص نفسه واستنصح عقله لعلم ان من تمام السعاده
وحسن التوفيق الرضا والقناعه بالقسم روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال اقتصدوا في الطلب فانما رزقتموه اشد
طلبا لكم منكم له وما حرمتموه فلن تنالوه ولو حرصتم روي ان
جبريل عليه السلام هبط على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله
تعالى يقرا عليك السلام ويقول لك اقرا بسم الله الرحمن الرحيم
لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهره الحياه الدنيا لنفتنهم

فيه ورزق ربك خير وابقى فامر صلى الله عليه وسلم مناديا فنادى
من لم يتأدب بآداب الله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات
وقيل مكتوب في بعض الكتب ردوا ابصاركم عليكم فان لكم فيها شغلا
وقال مجاهد في تفسير قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة قال بالقناعة
وقال اكثم ابن صيفي من باع الحرص بالقناعه ظفر بالغنى والثروه
وقال بعض السلف قد يخيب الجاهد والساعي ويظفر الوادع الهادي
فاخذه البحتري فقال

لم الق مجتهدا على استحقاقه في الحظ اما ناقصا او زائدا
وعجبت للمجدود يحرم ناصبا كلفا وللمجدود ينعم قاعدا
ما خطب من جاز الارادة وادعا خطب الذي حرم الارادة جاهدا

وقال بعض الحكماء من قنع كان غنيا وان كان فقيرا ومن لم يقنع
كان فقيرا وان كان مكثرا وقال بعض البلغاء اذا طلبت العز فاطلبه
في الطاعه واذا طلبت الغنى فاطلبه في القناعه فمن اطاع الله
عز نصره ومن لزم القناعة زال فقره وقال بعض الادبا القناعه عز
المعسر والصدقه حرز الموسر وقال بعض الشعراء

اني ارى من له قنوع يدرك ما نال من تمنا
والرزق ياتي بلا عناء وربما فات من تعنا

والقنا

والقناعة تكون على ثلثة اوجه فالوجه الاول ان يقنع بالبلغه
من دنياه ويصرف نفسه عن التعرض لما سواه وهذا اعلى منازل
اهل القناعه وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا
شئت ان تحيا غنيا فلا تكن على حاله الا رضيت ان تكون بدونها
وقال مالك ابن دينار ازهد الناس من لم تتجاوز رغبته من
الدنيا بلغته وقال بعض الحكما الرضا بالكفاف يودي الى العفاف وقال
بعض الادبا رب ضيق افضل من سعة وعناء خير من دعة وانشد في
بعض اهل الادب وذكر انه لعلي ابن ابي طالب عليه السلام

افادتني القناعه اي عز واي غنى اعز من القناعة
فصيرها لنفسك راس مال وصير بعدها التقوى بضاعه
تحز ربحين تغنى عن بخيل وتنعم في الجنان بصبر ساعة

والوجه الثاني ان تنتهي به القناعة الى الكفايه وتحذف الفضول
والزياده وهذا اوسط احوال المقتنع وقد روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال ما من عبد الا بينه وبين رزقه حجاب
فان قنع واقتصد اتاه رزقه وان هتك الحجاب لم يرد فيه رزقه
وقال بعض الحكما طلب ما فوق الكفاف اسراف وقال بعض البلغاء
من رضي بالمقدور قنع بالميسور وقال البحتري

منها

• تطلب الاكثر في الدنيا وقد تبلغ الحاجه بالاقل •

وانشدت لابرهيم ابن المدبر • ان القناعه والعفاف ليبلغان عن الغنى •

• فاذا صبرت عن المنى فاشكر فقد نلت المنى •

والوجه الثالث ان تنتهي به القناعه الي الوقوف على ما سنح فلا
يكره ما اتاه وان كان كثيرا ولا تطلب ما تعذر وان كان يسيرا
وهذه الحال ادني منازل اهل القناعه لانها مشتركه بين رغبه ورهبه
اما الرغبه فلانه لا يكره الزياده على الكفايه اذا سنحت واما
الرهبه فلانه لا يطلب التعذر عن نقصان الماده اذا تعذرت
وفي مثله قال ذو النون من كانت قناعته سمينه طابت له كل مرقه
وقد روي الحسن ابن علي عن ابيه عن جده عليهم السلام قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا دول فما كان منها لك
اتاك على ضعفك وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك ومن
انقطع رجاوه مما فات استراح بدنه ومن رضي بما رزقه الله
تعالى قرت عينه وقال ابو حازم الاعرج وجدت الدنيا شيئين
شيا هو لي لن اعجله قبل اجله ولو طلبته بقوة السموات والارض
وشيا هو لغيري وذلك مما لم انله فيما مضى ولا اناله فيما بقي يمنع
الذي لي من غيري كما يمنع الذي لغيري مني ففي اي هذين افني

عمري

عمري واهلك نفسي وقال ابو تمام الطائي

• لا تاخذني بالزمان فليس لي تبعا ولست على الزمان كفيلا •

• من كان مرعى عزمه وهمومه روض الاماني لم يزل مهزولا •

• من راحة الايام ثم عيالها غير القناعه لم يزل مغلولا •

• لو جار سلطان القنوع وحكمه في الخلق ما كان القليل قليلا •

• فالرزق لا تكمد عليه فانه ياتي ولم يبعث اليه رسولا •

وانشدني بعض اهل الادب لابن الرومي

• جرى قلم القضا بما يكون فسيان التحرك والسكون •

• جنون منك ان تسعى لرزق ويرزق في غشاوته الجنين •

ونحن نسال الله تعالي اكرم مسول وافضل مامول ان تحسن لنا التوفيق
فيما منح ويصرف عنا الرغبه فيما منع استنكافا لتبعات الثروه ومونات
الشهوه وروي شريك ابن ابي نمر عن ابي الجدع عن اعمامه واجداده
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خيرا متي الذين لم يعطوا حتي
يبطروا ولم يقتر عليهم حتى يسالوا وقال ابو تمام الطائي

• عندي من الايام ما لو انه اضحى لشارب مرقد ما غمضا •

• لا تطلبن الرزق بعد شماسه فترومه سعيا اذا ما غيضا •

• ما عوض الصبر امرا الا ارى ما فاته دون الذي عوضا •

باب أدب النفس

اعلم ان النفس مجبوله على شيم مهمله واخلاق مرسله لا تستغني محمودها
عن التاديب ولا تكتفي بالمرضي منها عن التهذيب لان لمحمودها
اضدادا مقابله تسعدها هوي مطاع وشهوه غالبه فان
اغفل تاديبها تفويضا الي العقل او توكلا على ان تنقاد الي الاحسن
بالطبع اعدمه التفويض درك المجتهدين واعقبه التوكل ندم الخائبين
فصار من الادب عاطلا وفي صوره الجهل داخلا لان الادب
مكتسب بالتجربه او مستحسن بالعاده ولكل قوم مواضعه وكل ذلك
لا ينال بتوقيف العقل ولا بالانقياد للطبع حتى يكتسب بالتجربه
والمعاناه بالدربه والمعاطاه ثم يكون العقل عليه قيما وزكي الطبع
اليه مسلما ولو كان الطبع العقل اليه مغنيا عن الادب لكان
انبيا الله تعالى عن ادبه مستغنين وبعقولهم مستكفين وروي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ٥
وقيل لعيسى ابن مريم عليه السلام من ادبك قال ما ادبني احد
رايت جهل الجاهل فاجتنبته وقال علي ابن ابي طالب عليه وسلم
ان الله تعالى جعل مكارم الاخلاق ومحاسنها وصلا بينه وبينكم
فحسب الرجل ان يتصل من الله تعالى بخلق منها وقال اردشير
ابن

ابن بابك من فضيله الادب انه ممدوح بكل لسان ومتزين
به في كل مكان وباق ذكره على ايام الزمان وقال مهبود شبه
العلام الشريف العديم الادب كالبنيان الخراب الذي كلما علا سمكه
كان اشد لوحشته وكالنهر اليابس الذي كلما كان اعرض واعمق كان
اشد لوعورته وكالارض الجيده المعطله التي كلما طال خرابها ازداد د
نباتها عبثا المستنقع به السما وصار للهوام مسكنا وقال ابن المقفع ما
نحن الي ما نتقوي به على حواسنا من المطعم والمشرب باحوج منا الي
الادب الذي هو لقاح عقولنا فان الحبه المدفونه في الثرى
لا تقدر ان تطلع زهرتها ونضارتها الا بالما الذي يعود اليها من
مستودعها وحكى الاصمعي ان اعرابيا قال لابنه يا بني الادب دعامه
ايد الله تعالى بها الالباب وحليه زين الله بها عواطل الاحسا ب
فالعاقل لا يستغني وان صحت غريزته عن الادب المخرج زهرته كما
لا تستغني الارض وان عذبت تربتها عن الما المخرج ثمرتها وقال
بعض الحكما الادب صوره العقل فصور عقلك كيف شئت وقال
اخر العقل بلا ادب كالشجر العاقر ومع الادب كالشجر المثمره
وقيل الادب احد المنصبين وقال بعض البلغا الفضل بالعقل
والادب لا بالاصل والنسب لان من سا ادبه ضاع نسبه

ومن غفل عن اصله ضل وقال بعض الادبا ذلل قلبك بالادب
كما تذكي النار بالحطب واتخذ الادب غنما والحرص عليه حظا
يرجيك راغب ويخف صولتك راهب ويومل نفعك ويرجي
عدلك وقال بعض العلما الادب وسيله الي كل فضيله
وذريعه الي كل شريعه وقال بعض الفصحا الادب يستر قبح
النسب وقال بعض الشعرا

ماخلق الله مثل العقول ولا اكتسب الناس مثل الادب
وماكرم المرا الا التقي ولاحسب المرا الا النسب
وفي الحلم زين اهل الحجي وافه ذي الحلم طيش الغضب

وانشد الاصمعي

ان يكن العقل مولودا فلست اري ذا العقل مستغنيا عن حادث الادب
اني رايتهما كالما مختلطا بالترب تظهر عنه زهرة العشب
وكل من اخطاه في موالده عزن العقل كان كالبهيم في النسب

والتادب يلزم من وجهين احدهما ما لزم الوالد للولد
في صغره والثاني ما لزم الانسان في نفسه عند نشوه وكبره
فاما التادب اللازم للاب فهو ان ياخذ ولده بمبادي
الاداب ليانس بها وينشوا عليها فيسهل عليه قبولها عند الكبر

لاستيناسه

لاستيناسه بمبادئها عند الصغر لان نشو الصغير علي الشي يجعله منطبع
به ومن اغفل في الصغر كان تاديبه في الكبر عسرا وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما نحل والد ولده افضل من
ادب حسن يفيده اياه او جهل قبيح يكفه عنه ويمنعه منه وقال
بعض الحكما بادروا بتاديب الاطفال قبل تراكم الاشغال وتفرق
البال وقال بعض الشعراء

قد ينفع الادب الاحداث في مهل وليس ينفع بعد الشيبة الادب
ان الغصون اذا قومتها اعتدلت ولا يلين اذا قومته الخشب

وقال اخر

ينشوا الصغير على ما كان والده ان الاصول عليها ينبت الشجر

واما الادب اللازم للانسان عند نشوه وكبره فادبان ادب مواضعه
واصطلاح وادب رياضه واستصلاح فاما ادب المواضعه والاصطلاح
فيوخذ تقليدا على ما استقر عليه اصطلاح العقلا واتفق عليه استحسان
الادبا وليس لاصطلاحهم على وضعه تعليل مستنبط ولا لاتفاقهم على
استحسانه دليل موجب كاصطلاحهم على مواضعات الخطاب
واتفاقهم على هيات اللباس حتى ان الانسان الان اذا اراد ان يتجاوز
ما اتفقوا عليه منها صار مجانبا للادب مستوجبا للذم لان
فراق المالوف في العادة مجانبه صار متفقا عليه بالمواضعة

مفضٍ إلى استحقاق الذم بالعقل ما لم يكن لمخالفته علة ظاهرة
ومعنى حادث وقد كان جائزاً في العقل ان يوضع ذلك على
غير ما اتفقا عليه فيرونه حسنًا ويرون ماسواه قبيحًا فصار هذا
مساركا للواجب بالعقل من حيث توجه الذم على تاركه ومخالفا
له من حيث انه كان جائزًا في العقل ان يوضع على خلافه واما ادب
الرياضة والاستصلاح فهو ما كان محمودًا على حال لا يجوز
في العقل ان يكون بخلافها ولا ان تختلف العقلا في صلاحها
وفسادها وما كان كذلك فتعليله بالعقل مستنبط وصحته
بالدليل مرتبط وللنفس على ما ياتي من ذلك شاهدًا الهمها
الله ارشادًا لها قال الله تعالى فالهمها فجورها وتقواها قال
ابن عباس بين لها ما تاتي من الخير وتذر من الشر وسنذكر تعليل
كل شي في موضعه فانه اولى به واحق فاول مقدمات ادب الرياضة
والاستصلاح ان لا يحسنوا الظن بنفسه فيخفا عليه مذموم
شيمه ومساوي اخلاقه لان النفوس بالشهوات امرة وعن الرشد
زاجرة كما قال الله تعالى ان النفس لامارة بالسو وقال النبي
صلى الله عليه وسلم اعدا عدوك نفسك التي بين جنبيك
ثم اهلك ثم عيالك ودعت اعرابية فقالت كبت الله كل عدو
لك

لك الا نفسك فاخذه بعض الشعراء فقال

قلبي الى ما ضرني داعي يكثر اسقامي واوجاعي
كيف احتراسي من عدوي اذا كان عدوي بين اضلاعي

فاذا كانت النفس كذلك فحسن الظن بها ذريعة الى تحكيمها وتحكيمها
داع الى سلاطتها وفساد الاخلاق بها واذا صرف حسن الظن عنها
وتوسمها بما هي عليه من التسويف والمكر فان ظاهرها وتوسمها
والحاجز عن معصيتها فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه العاجز
من عجز عن سياسة نفسه وقال بعض الحكما من ساس نفسه ساد
واما سو الظن فقد اختلف الناس فيه فمنهم من كرهه لما فيه من
اتهام طاعتها ورد مناصحتها فان النفس وان كان لها مكر يردي
فلها نصح يهدي فلما كان حسن الظن بها يعمي عن مساويها
كان سو الظن يعمي عن محاسنها ومن عمي عن محاسن نفسه كان
كمن عمي عن مساويها فلم ينف عنها قبيحًا ولم يهد اليها حسنًا وقد قال
الجاحظ في كتاب البيان يجب ان يكون في التهمة لنفسه معتدلًا
وفي حسن الظن بها مقتصدًا فانه ان تجاوز مقدار الحق في مقدار
حسن الظن اودعها تهاون الامين ولكل ذلك مقدار من الجهل
وقال الاحنف بن قيس من ظلم نفسه كان لغيره اظلم ومن

هدم دينه كان لمجده اهدم وقد قال الاحنف ابن قيس من ظلم
نفسه كان لغيره اظلم وذهب قوم الى ان سو الظن بها ابلغ من صلاحها
واوفر في اجتهادها لان للنفوس جور لا ينكف الا بالسخط عليها
وغرور لا ينكشف الا بالتهمة لها انها محبوبة تحرز ادلالا وتعز مكرا
فان لم يسى الظن بها غلب عليه جورها ونموه عليه غرورها فصار
بميسورها قانعا وبالشبهه من افعالها راضيا وقد قال الحكما من
رضي عن نفسه اسخط عليه الناس وقال شاعر

لم ارض عن نفسي مخافة سخطها ورضي الفتى عن نفسه اغضابها
ولو انني عنها رضيت لقصرت عما تزيد بمثله اذا بها
وتبينت اثار ذاك فاكثرت عذلي عليه وطال فيه عتابها

وقد استحسن قول ابي تمام الطائي حيث يقول

وتسي بالاحسان ظنا لا كمن هو بابنه وبشعره مفتون

فلم يروا اساة ظنه بالاحسان ذما ولا الاستقلال لعمله لوما
بل لو راوه ذلك ابلغ في الفضل وابعث على
الازدياد فاذا عرف من نفسه ما تجن ونضور منها
ما تكن ولم يطاوعها فيما تحب اذا كان عناوة
صرف عنها ما تكره اذا كان رشدا فقد ملكها بعد ان كان
في

في ملكتها وعليها بعد ان كان في غلبتها وقد روى ابو حازم عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشديد من
غلب نفسه وقال عون ابن عبد الله اذا عصتك نفسك فيما كرهت
فلا تطعها فيما احبت ولا يغرنك ثنا من جهل امرك وقال بعض البلغا
من قوي على نفسه تناهى في القوه ومن صبر عن شهوته بالغ في المروة
تجنيد باجتهاد نفسه عند معرفة ما اكتنت وخبرة ما اجتنت بتقويم عوجها
واصلاح فاسدها فقد روي عن عايشة انها قالت يا رسول الله
متى يعرف الانسان ربه قال اذا عرف نفسه ثم يراعي منها ما صلح
واستقام من زيغ تحدث عن اغفال او ميل يكون عن اهمال ليتم له
الصلاح وتستديم له الاستقامه فان المغفل بعد المعاناه ضايع
والمهمل بعد المراعاه زايغ وسنذكر من احوال ادب الرياضة
والاستصلاح فصولا تحتوي على ما يلزم مراعاته من الاخلاق
وتجب معاناته من الاداب وهي سته فصول متفرعه فالفصل
الاول منها مجانبه الكبر والاعجاب لانهما يسلبان الفضايل
ويكسبان الرذايل وليس لمن استوليا عليه اصغا لنصح ولا قبول
لتاديب لان الكبر يكون بمنزله والعجب يكون بالفضله فالمتكبر يجل
نفسه عن رتبه المتعلمين والمعجب يستكثر فضله عن استزاده المتادبين

فلذلك وجب تقديم القبول فيهما بإبانة ما يكسبانه من ذم ويوجبانه
من كره فنقول أما الكبر فيكسب المقت ويلهي عن التألف ويوغر
صدور الإخوان وحسبك بذلك سوءا عن استقصاء ذمه ولذلك
قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمه العباس أنهاك عن الشرك بالله وعن
الكبر فإن الله يحتجب منهما وقال أردشير بن بابك ما الكبر إلا
فضل حمق لم يدر صاحبه أين يذهب به فصرفه إلى الكبر وما
أشبه ما قال بالحق حكي أن مطرف بن عبد الله بن الشخير نظر
إلى المهلب بن أبي صفرة وعليه حلة يسحبها ويمشي الخيلاء فقال له
يا عبد الله ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله فقال المهلب
أوما تعرفني قال بلى أعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة
وحشوك فيما بين ذلك بول وعذرة فأخذ ابن عون هذا الكلام فنظمه شعرا
فقال: عجبت من معجب بصورته ... وكان بالأمس نطفة مذرة
وفي غد بعد حسن صورته ... يصير في اللحد جيفة قذرة
وهو على تيهه ونخوته ... ما بين ثوبيه يحمل العذرة
وقد كان المهلب أفضل من أن يخدع نفسه بهذا الجواب ولكنها
زلة من زلات الاسترسال وخطيئة من خطايا الإدلال فأما
العجب والجهل القبيح فهو ما حكي عن نافع بن جبير بن مطعم أنه جلس
في

في حلقة العلاء بن عبد الرحمن الحرقي وهو يقرئ الناس فلما فرغ قال
أتدرون لم جلست إليكم قالوا جلست لتسمع قال لا ولكني أردت أن
أتواضع لله بالجلوس إليكم فهل يرجى من مثل هذا أفضل أو ينجع
فيه عذل وقال ابن المعتز لما عرف أهل النقص حالهم عند ذوي
الحال استعانوا بالكبر ليعظم صغيرا ويرفع حقيرا وليس بفاعل وأما
الإعجاب فيخفي المحاسن ويظهر المساوي ويكسب المذام ويصد عن الفضا بل
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن العجب ليأكل الحسنات
كما تأكل النار الحطب وقال علي بن أبي طالب عليه السلام الإعجاب
ضد الصواب وآفة الألباب وقال بزرجمهر النعمة التي لا
يحسد صاحبها عليها التواضع والبلاء الذي لا يرحم منه صاحب العجب
وقال بعض الحكماء عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله وليس لما يكسبه
الكبر من المقت حد ولا لما ينتهي إليه العجب من الجهل غاية حتى إنه ليطمس
من المحاسن ما انتشر ويسلب من الفضائل ما اشتهر وناهيك بسيئة تحبط
كل حسنة وبمذمة تهدم كل فضيلة مع ما يثيره من حنق ويكسبه من حقد
حكى عمر بن حصين قال قيل للحجاج كيف وجدت منزلك بالعراق
قال خير منزل لو كان الله بلغني أربعة فتقربت إليه بدمائهم
قيل ومن هم قال مقاتل بن مسمع ولي سجستان فأتاه الناس

فاعطاهم الاموال فلما عزل دخل مسجد البصره فبسط له الناس
اردبتهم فمشى عليها وقال لرجل يماشيه لمثل هذا فليعمل العاملون وعبيد الله
ابن زياد ابن ظبيان التيمي خطب اهل البصره امر فخطب خطبه واوجز
فيها فنادي من اعراض المسجد اكثر الله فينا امثالك فقال لقد كلفتم
الله شططا ومعبد ابن زراره كان ذات يوم جالسا في طريق فمرت به
امراه فقالت يا اباعبد الله كيف الطريق الى موضع كذا فقال لها يا
هناه مثلي يكون من عبيد الله وابو سمال الاسدي اضلت راحلته فالتمسها
فلم يجدها فقال والله لين لم يرد علي راحلتي لا صليت له ابدا فالتمسها
الناس حتي وجدوها فقالوا قد رد الله راحلتك فصل فقال ان يميني
يمين مصر فانظر الي هاولا كيف افضى بهم العجب الي حمق صاروا به
نكالا في الاولين ومثلا في الاخرين ولو تصور المعجب المتكبر ما
فطر عليه من جبله وبلي به من مهنه لخفض جناح نفسه واستبدل لينا
من عتوه وسكونا من نفوره قال الاحنف ابن قيس عجبت لمن جري
مجري البول مرتين كيف يتكبر وقد وصف بعض الشعرا الانسان فقال

يا مظهر الكبر اعجابا بصورته انظر الي خلاك فان النتن تثريب
لو فكر الناس فيما في بطونهم ما استشعر الكبر شبان ولا شيب
هل في ابن ادم مثل الراس مكرمة وهو بخمس من الاقذار مضروب
انف يسيل واذن ريحها سهك والعين مرفضه والثغر ملعوب
يا ابن التراب وماكول التراب غدا اقصر فانك ماكول ومشروب

واحق من كان للكبر مجانبا وللاعجاب مباينا من جل في الدنيا قدره وعظم
فيها خطره لانه قد يستقل بعالي همته كل كثير ويستصغر معها كل كبير
وقال محمد ابن علي لا ينبغي ان يري شيا من الدنيا لنفسه خطرا فيكون
بها تايها وقال ابن السماك لعيسي ابن موسي تواضعك في شرفك
اشرف لك من شرفك وكان يقال اسمان متضادان بمعنى واحد
التواضع والشرف وللكبر اسباب فمن اقوي اسبابه علو اليد ونفوذ
الامر وقله مخالطة الاكفا حكي ان قوما مشوا خلف علي ابن ابي
طالب عليه السلام فقال عني خفق نعالكم فانها مفسدة القلوب
نوكي الرجال ومشوا خلف ابن مسعود فقال ارجعوا فانها ذله للتابع
وفتنه للمتبوع وروي عن قيس ابن حازم ان رجلا اتي النبي صلى الله
عليه وسلم فاصابته رعدة فقال النبي صلى الله عليه وسلم هون
عليك فانما انا ابن امراة كانت تاكل القديد وانما قال ذلك حسما
لمواد الكبر وقطعا لذرايع الاعجاب وكسرا لاشر النفس وتذليلا
لسطوه الاستعلا ومثل ذلك ما روي عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
انه نادي الصلاه جامعه فلما اجتمع الناس صعد المنبر فحمد الله واثني

على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال ايها الناس لقد رايتني ارعا على
خالات لي من بني مخزوم فيقبض لي القبضة من التمر والزبيب فاظل
اليوم واي يوم فقال له عبد الرحمن ابن عوف والله يا امير
المومنين ما زدت على ان قصرت بنفسك فقال عمر ويحك يا ابن عوف
اني خلوت بنفسي فحدثتني نفسي فقالت انت امير المومنين فمن ذا افضل
منك فاردت ان اعرفها نفسها وللاعجاب اسباب فمن اقوى اسبابه كثرة
مدح المتقربين واطراء المتملقين الذين قد جعلوا النفاق مادة ومكسبا
والتملق خديعة وملعبا فاذا وجدوه مقبولا في العقول الضعيفة اغروا
اربابها باعتقاد كذبهم وجعلوا ذلك ذريعة الى الاستهزاء بهم
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يزكي رجلا فقال لقد
قطعت مطاه لو سمعها ما افلح بعدها وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
المدح ذبح وقال ابن المقفع قابل المدح كمادح نفسه وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم اياكم والتمادح فانه الذبح ان كان يمدح احدكم
اخاه لا محالة فليقل احسب ولا ازكي على الله احدا وقال بعض الحكما
من رضي ان يمدح بما ليس فيه فقد امكن الساخر من نفسه وقيل فيما انزل
الله تعالى من الكتب السالفة عجبا لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف
يفرح وعجبا لمن قيل فيه الشر وهو فيه كيف يغضب وقال بعض الشعراء

يا

يا جاهلاً غره افراط مادحه ... لا يغلبن جهل من اطراك علمك بك
اثنى وقال بلا علم احاط به ... وانت اعلم بالمحصول من ريبك

وهذا امر يسعى للعاقل ان يضبط نفسه عن ان يستفزها ويمنعها
من تصديق المدح لها فان للنفس ميلا الى حب الثنا وسماع المدح
وقال الشاعر: يهوى الثناء مبرز ومقصر ... حب الثناء طبيعة الانسان
واذا سامح نفسه في هذه الصبوة وتابعها على هذه الشهوة تشاغل
بها عن الفضايل الممدوحة ولها بها عن المحاسن الممنوحة فصار الظاهر
من مدحه كذبا والباطن من ذمه صدقا وعند تقابلهما يكون الصدق
الزم الامرين وهذه خدعة لا يرتضيها عاقل ولا ينخدع بها مميز
وليعلم ان المتقرب بالمدح يسرف مع القبول ويكف مع الابا فلا يغلبه
حسن الظن على تصديق مدح هو اعرف بحقيقته ولكن تهمة المادح
اغلب عليه فقل مدح كان جميعه صدقا وقل ثنا كان كله حقا ولذلك كره
اهل الفضل ان يطلقوا السنتهم بالثنا والمدح تحرزا من التجوز فيه
وتنزها عن التملق به وقد روى مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تكونوا عيابين ولا تكونوا لعانين ولا مداحين ولا متماوتين
وحكى الاصمعي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كان اذا مدح
قال اللهم انت اعلم بي من نفسي وانا اعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني

اللهم اجعلني خيرا مما يحسبون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تواخذني
بما يقولون وقال بعض الشعرا ؛ ه

اذا المرء لم يمدح بحسن فعاله فمادحه يهذي وان كان مفصحا

وربما الجا المدح بصاحبه الي ان يصير مادح نفسه اما لتوهمه ان
الناس قد غفلوا عن فضله واخلوا بحقه واما ليخدعهم بتدليس نفسه
فيعتقدوا ان قوله حق متبع وصدق مستمع لتلذذ بسماع الثنا ويرى
نفسه بالمدح والاطرا كما يتغني لنفسه طربا اذا لم يسمع صوتا مطربا ولا
غنا ممتعا ولاجل ذلك كان هو اجهل الصرح والنقص الفاضح وقال
بعض الشعراء ه

وما شرف ان يمدح المرا نفسه ولكن اعمالا تذم وتمدح
وما كل حين يصدق المرا ظنه ولا كل اصحاب التجارة يربح
ولا كل من ترجوا الغيب حافظا ولا كل من ضم الوديعة يصلح

وينبغي للعاقل ان يسترشد اخوان الصدق والذين هم اصفيا القلوب
ومرايا المحاسن والعيوب على ما ينبهونه عليه من مساويه التي
صرفه حسن الظن عنها فانهم امكن نظرا واسلم فكرا ويجعل ما ينبهونه
عليه من مساويه عوضا عن تصديق المدح فيه وقد روي انس ابن
مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المومن مراة المومن اذا
راي فيه عيبا اصلحه وكان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول
رحم

رحم الله امرا اهدي الينا مساوينا وقيل لبعض الحكما اتحب ان يهدي
اليك عيوبك قال نعم من ناصح ومما يقارب معنى هذا القول ما روي
عن عمر انه قال لابن عباس من ترى ان نوليه حمصا قال رجلا
صحيحا منك صحيحا لك قال فكن انت ذاك الرجل فقال لا ينتفع بي مع
سو ظني بك وظنك بي وقد قيل في منثور الحكم من اطلع على عيب نفسه
فقد زكاها واذا قطع اسباب الكبر وحسم مواد العجب اعتاض بالكبر
تواضعا وبالعجب توددا وذلك من اوكد اسباب الكرامه واقوى
مواد النعم وابلغ شافع للقلوب يعطفها الي المحبه ويثنيها عن البغضه
وقد قال بعض الحكما من برئ من ثلث نال ثلاثا من برئ من الشر
نال العز ومن برئ من البخل نال الشرف ومن برئ من الكبر نال
الكرامه وقال مصعب ابن الزبير التواضع مصايد الشرف وقيل
في منثور الحكم من دام تواضعه كثر صديقه وقد تحدث المنازل
والولايات لقوم اخلاقا مذمومه يظهرها سو طباعهم ولاخرين فضايل
محموده يبعث عليها زكي شيمهم لان لتقلب الاحوال سكره تظهر من
الاخلاق مكنونها ومن السراير مخزونها لاسيما اذا هجمت بغير تدرج
وطرقت من غير تاهب وقد قال بعض الحكما في تنقل الاحوال تعرف
جواهر الرجال وقال الفضل ابن سهل من كانت ولايته فوق

قدره كبر لها ومن كانت ولايته دون قدره تواضع لها وقال
بعض البلغا الناس في الولايه رجلان رجل يجل عن العمل بفضله
ومروته ورجل يجل بالعمل لنقصه ودناءته فمن جل عن عمله
ازداد به تواضعا وبشرا ومن جل عنه عمله لبس به فخرا وتكبرا

الفصل الثاني

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان الله اختار لكم الاسلام دينا فاكرموه بحسن الخلق والسخا
فانه لا يستكمل الا بهما وقال الاحنف ابن قيس الا اخبركم بادوا الداء
قالوا بلى قال الخلق الدني واللسان البذي وقال بعض البلغاء
الحسن الخلق من نفسه في راحه والناس منه في سلامه والسي
الخلق الناس منه في بلا ونفسه منه في عنا وقال بعض الحكما من
ساء خلقه ضاق رزقه وعلة هذا القول ظاهره وقال بعض الادبا
عاشر اهلك باحسن اخلاقك فان الثوا فيهم قليل وقال بعض الشعرا

اذا لم تتسع اخلاق قوم يضيق بهم الفسيح من البلاد
اذا ما المرء لم يخلق لبيبا فليس اللب عن قدم الولاد

فاذا حسنت اخلاق الانسان كثر مصافوه وقل معادوه فتسهلت
عليه الامور الصعاب ولانت له القلوب الغضاب وقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حسن الخلق وحسن الجوار
يعمران

يعمران الديار ويزيدان في الاعمار وقال بعض الحكما في سعة الاخلاق
كنوز الارزاق وسبب ذلك ما ذكرنا من كثرة الاصفيا المسعدين
وقلة الاعدا المجحفين ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم احبكم الي
احاسنكم اخلاقا الموطاون اكنافا الذين يالفون ويولفون وحسن
الخلق ان يكون سهل العريكه لين الجانب طلق الوجه قليل النفور
طيب الكلمه وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاوصاف فقال
اهل الجنه كل هين لين سهل طليق ولما ذكرنا من هذه الاوصاف حدود
مقدوره ومواضع مستحقه كما قال الشاعر

اصفو واكدر احيانا لمختبري وليس مستحسن صفو بلا كدر

وليس يريد الكدر الذي هو البذا ومراسه الخلق فان ذلك
لا يستحسن وعيب لا يرتضي وانما يريد الكف والانقباض في موضع
يلام فيه المساعد ويذم فيه الموافق واذا كانت المحاسن الاخلاق
حدود مقدوره ومواضع مستحقه فان من تجاوز بها الحد صارت ملقا
وان عدل بها عن مواضعها صارت نفاقا والملق ذل والنفاق لوم وليس
لمن وسم بهما ود مبرور ولا اثر مشكور وقد روى حليم عن جابر
ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الناس
ذو الوجهين الذي ياتي هاولا بوجه وهاولا بوجه وروي

مكحول عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لذي الوجهين ان يكون وجيها عند الله وقال سعيد ابن ابي عروبة لئن يكون لي نصف وجه ونصف لسان على ما فيهما من قبح المنظر وعجز المحاور احب الي من ان اكون ذا وجهين وذا لسانين وذا قولين مختلفين وقال الشاعر

خل النفاق لاهله وعليك فالتمس الطريقا
وارغب بنفسك ان ترى الا عدوا او صديقا

وقال ابرهيم ابن محمد

وكم من صديق وده بلسانه خؤون بظهر الغيب غير مذمم
كذلك ذو الوجهين يرضيك شاهدا وفي غيبه ان غاب صاب وعلقم

وربما تغير حسن الخلق والوطا الى الشراسة والبذا لاسباب عارضة وامور طارية تجعل اللين خشونة والوطا غلظة والطلاقة عبوسا فمن اسباب ذلك الولاية التي قد تحدث في الاخلاق تغيرا وعلى الخلطا تنكرا اما من لوم طبع واما من ضيق صدر وقد قيل من تاه في ولايته ذل في عزله وقيل ذل العزل يضحك من تيه الولاية ومنها العزل فقد يسو به الخلق ويضيق به الصدر اما لشدة اسف او لقلة صبر حكى حميد الطويل ان عمار ابن ياسر عزل عن ولاية فاشتد ذلك عليه وقال اني وجدتها حلوة الرضاع مرة الفطام

الفطام ومنها الغنى فقد يتغير به اخلاق اللئيم بطرا وتسوء طرائقه اشرا ولذلك قيل من نال استطال وانشد الرياشي

غضبان يعلم ان الموت ساق له ما لم يسعه له دين ولا خلق
فمن يكن عن كرام الناس يسألني فاكرم الناس من كانت له ورق

وقال بعض الشعراء

فان تكن الدنيا انالتك ثروة فاصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر
لقد كشف الاثراء منك خلائقا من اللوم كانت تحت ثوب من الفقر

وبحسب ما افسده الغنى كذلك يصلحه الفقر وكتب قتيبة ابن مسلم الى الحجاج ان اهل الشام قد التاثوا عليه فكتب اليه ان اقطع عنهم الارزاق ففعل فساءت حالهم فاجتمعوا اليه فقالوا اقلنا فكتب الى الحجاج فيهم فكتب اليه ان كنت آنست منهم رشدا فاجر عليهم ما كنت تجري واعلم ان الفقر جند الله الاكبر يذل به كل جبار متكبر وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لولا ان الله تعالى اذل ابن ادم بثلث ما طاطا راسه شي الفقر والمرض والموت ومنها الفقر فقد يتغير به الخلق اما انفة من ذل الاستكانة او اسفا على فايت الغنى ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب القدر وقال ابو تمام الطائي

واكثر حالات ابن ادم خلقة يضل اذا فكرت في كنهه الفكر

ويفرح بالشيء القليل بقاؤه ويجزع لما صار وهو له ذخر
وربما تسلى من هذه حاله بالاماني وان قل صدقها فقد قيل قلما
يصدق الامنيه لكن قد يعتاض بها سلوة من هم ومسرة برجا وقد
قال ابو العتاهيه حرك مناك اذا اغتممت فانهن مراوح
وقال آخر اذا تمنيت بت الليل مغتبطا ان المنى راس اموال المفاليس
ومنها الهموم التي تذهل اللب وتشغل القلب فلا تتسع لاحتمال ولا تقوى
على صبر فقد قيل الهم كالسم وقال بعض الحكما الحزن كالداء
المخزون في فواد المحزون وقال بعض الشعراء

همومك بالعيش مقرونة فما تقطع العيش الا بهم
اذا تم امر بدا نقصه توقع زوالا اذا قيل تم
اذا كنت في نعمة فارعها فان المعاصي تزيل النعم
حلاوة دنياك مسمومة فلا تاكل الشهد الا بسم
فكم قدر دب في مهله فلم يعلم الناس حتى هجم

ومنها الامراض التي يتغير بها الطبع كما يتغير بها الجسم فلا تبقى الاخلاق
على اعتدال ولا يقدر معها احتمال وقد قال المتنبي

آلة العيش صحة وشباب فاذا وليا عن المرء ولى
ابدا تسترد ما تهب الدنيا فيا ليت جودها كان بخلا

ومنها علو السن وحدوث الهرم لتاثيره في آلة الجسد كذلك يكون
تاثيره في اخلاق النفس فكما يضعف الجسد على احتمال ما كان يطيقه
من الاثقال فكذلك تعجز النفس عن احتمال ما كانت تصبر عليه من
مخالفة الوفاق ومضض الشقاق وكذلك ما ضاهاه قال منصور النمري

ما كنت اوفي شبابي كنه غرته حتى مضى فاذا الدنيا له تبع
اصبحت لم تطعمي ثكل الشباب ولم تشجي بغصته فالعذر لا يقع
ما كان اقصر ايام الشباب وما ابقى حلاوة ذكراه التي يدع
ما واجه الشيب من عين وان رمقت الا له نبوة عنه ومرتدع
قد كدت تقضي على فوت الشباب اسى لولا تعزيك ان الشيب منقطع

فهذه سبعة اسباب ان احدثت سو الخلق كان عاما وها هنا سبب خاص
قد يحدث سو خلق خاص وهو البغض الذي ينفر منه النفس فيحدث
نفورا على المبغوض فيؤول الى سوء الخلق يخصه دون غيره واذا كان
سو الخلق حادثا بسبب كان زواله مقرونا بزوال ذلك السبب بالضد

الفصل الثالث في الحيا

اعلم ان الخير والشر
معان كامنة تعرف بسمات داله قالت العرب في امثالها تخبر عن
مجهوله مراته وكما قال عمر ابن سلم الشاعر

لا تسل المرء عن خلايقه في وجهه شاهد من الخبر

ومنها

فسمه الخير الدعه والحيا وسمه الشر النحه والبذا وكفى بالحيا خيرًا
ان يكون على الخير دليلًا وكفى بالنحه والبذا شرا ان يكون
الى الشر سبيلا وقد روى حسان ابن عطيه عن ابى امامه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحيا والعى شعبتان من الايمان
والبذا والبيان شعبتان من النفاق ويشبه ان يكون العى في معنى
الصمت والبيان في معنى التشدق كما جا في الحديث الاخر ابغضكم الي
الثرثارون المتفيهقون المتشدقون وروى ابو سلمه عن ابى
هريره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحيا من الايمان
والايمان في الجنه والبذا من الجفا والجفا في النار وقال بعض الحكما
من كساه الحيا ثوبه لم يرى الناس عيبه وقال بعض البلغا حياء الوجه
بحيائه كما ان حياء الغرس بمائه وقال بعض الادبا يا عجبي كيف لا تستحيي
من كثره ما لا تستحيي وتتقي من طول ما لا تتقي وقال صالح ابن عبد القدوس

• اذا قل ما الوجه قل حياؤه • ولا خير في وجه اذا قل ماؤه •
• حياوك فاحفظه عليك فانما • يدل على فعل الكريم حياؤه •

وليس لمن سلب الحيا صاد عن قبيح ولا زاجر عن محظور وهو يقدم على ما
يشا وياتي ما يهوى وبذلك جا الخبر روى شعبه عن منصور ابن
ربعي عن ابن مسعود البدري قال قال رسول الله صلى الله عليه ان مما
ادرك

ادرك الناس من كلام النبوه الاولى يا ابن ادم اذا لم تستحي فاصنع
ما شيت وليس هذا القول اغرا منه بفعل المعاصي عند قله الحيا كما
توهمه بعض من جهل معاني الكلام ومواضعات الخطاب وفي مثل الخبر قول
الشاعر • اذا لم تخش عاقبه الليالي • ولم تستحي فاصنع ما تشا •
• فلا والله ما في العيش خير • ولا الدنيا اذا ذهب الحيا •
واختلف العلما في معنى الخبر قال ابو بكر ابن علي الشاشي في اصول الفقه معنى
هذا الخبر ان من لم يستحي دعاه ترك الحيا الى ان يعمل ما يشا ولا يردعه
عنه رادع فينبغي للمرء ان الحيا يردعه وسمعت من يحكي عن ابى بكر
الرازي من اصحاب ابي حنيفه ان المعنى فيه اذا عرضت عليك افعالك
التي هممت بفعلها فلم تستحي منها لحسنها وجمالها فاصنع ما شيت منها فجعل
الحيا حكما على افعاله وكلا القولين حسن والاول اشبه لان الكلام
خرج من النبي صلى الله عليه وسلم مخرج الذم لا مخرج الامر لكن قد
جا في الحديث بما يضاهي القول الثاني وهو قوله صلى الله عليه وسلم
ما احببت ان تسمعه اذناك فاته وما كرهت ان تسمعه اذناك
فاجتنبه ويجوز ان نحمل هذا الحديث على المعنى الصريح فيكون
التاويل الاول في الحديث المتقدم اصح اذ ليس يلزم ان تكون
احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها متفقه المعاني بلا اختلاف

ادخل في الحكمه وابلغ في الفصاحه اذ لم يضاد بعضها بعضا واعلم ان
الحيا قد يكون في الانسان في ثلثه اوجه احدها حياوه من الله تعالى
والثاني حياوه من الناس والثالث حياوه من نفسه فاما حياوه من الله
تعالى فيكون بامتثال اوامره والكف عن زواجره وروي ابن مسعود
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال استحيوا من الله حق الحيا قيل يا رسول
الله كيف نستحي من الله حق الحيا قال من حفظ الراس وما حوى والبطن
وما وعى وترك زينه الحياه الدنيا وذكر الموت والبلى فقد استحيا
من الله حق الحيا وهذا الحديث من ابلغ الوصايا رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات ليله فقلت يا رسول الله اوصني فقال استحي
من الله حق الحيا ثم قال تغير الناس فقلت كيف يا رسول الله قال كنت
انظر الى الصبي فارى في وجهه البشر والحيا وانا انظر اليه اليوم فلا
ارى ذلك في وجهه ثم تكلم بعد ذلك بوصايا وعظات تصورتها
واذهلني السرور عن حفظها ووددت ان لو حفظتها فلم يبد صلى الله
عليه وسلم بشي قبل الحيا من الله تعالى وجعل ما سلبه الصبي من البشر
والحيا سببا لتغير الناس وحص الصبي لان ما ياتيه بالطبع من غير
تكلف فصلى الله عليه من هاد ذي امه تابع انذارها وقطع اعذارها
وواصل تاديبها وحفظ تهذيبها وجعل لكل عمر حظا من زواجره
ونصيبا

الوصيه

ونصيبا من اوامره اعان الله على قبولها بالعمل وعلى استدامتها بالتوفيق
وقد روي ان علقمه ابن علاثه قال يا رسول الله عظني فقال النبي
صلى الله عليه وسلم استحي من الله استحياك من ذي الهيبة من قومك
وهذا النوع من الحيا تكون قوه الدين وصحه اليقين ولذلك قال النبي
صلى الله عليه وسلم قله الحيا كفر يعني من الله تعالى لما فيه من مخالفه
اوامره وقال النبي صلى الله عليه وسلم الحيا نظام الايمان فاذا انحل
نظام الشي تبدد ما فيه وتفرق واما حياوه من الناس فيكون بكف
الاذي وترك المجاهره بالقبيح وقد روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال من تقوى الله اتقا الناس وروي ان حذيفه ابن اليمان
اتى الجمعه فوجد الناس قد انصرفوا فتنكب الطريق عن الناس وقال
لا خير فيمن لا يستحي من الناس وقال بشار ابن برد

ولقد اصرف الفواد عن الشي حيا وحبه في الفواد
امسك النفس بالعفاف وامسي ذاكرا في غد حديث الاعادي

وهذا النوع من الحيا قد يكون من كمال المروه وحب الثنا ولذلك
قال النبي صلى الله عليه وسلم من القى جلباب الحيا فلا غيبه له
يعني والله اعلم لقله مروته وظهور شهوته وروي الحسن
عن ابي هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من مروه

الرجل بمساه ومدخله ومخرجه ومجلسه والفه وجليسه وقال بعض
الشعراء ٥ ورب قبيحة ما حال بيني وبين ركوبها الا الحيا
اذا رزق الفتى وجها وقاحا تقلب في الامور كما يشا
وقال آخر ٥ اذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا وتستحي مخلوقا فما شئت فاصنع
واما حياوه من نفسه فيكون بالعفة وصيانة الخلوات وقال بعض
الحكما ليكن استحياوك من نفسك اكثر من استحيايك من غيرك وقال
بعض الادباء من عمل في السر ما يستحي منه في العلانية فليس لنفسه
عنده قدر ودعا قوم رجلا كان يالف عشرتهم فلم يجبهم وقال اني دخلت
في الاربعين وانا استحي من سني وقال بعضهم شعرا
فسري كاعلاني وتلك خليقتي وظلمة ليلي مثل ضوء نهاريا
وهذا النوع من الحيا قد يكون من فضيلة النفس وحسن السريرة فمتى
كمل حيا الانسان من وجوهه الثلثة فقد كملت فيه اسباب الخير وانتفا
عنه اسباب الشر وصار بالفضل مشهورا وبالجميل مذكورا وقال بعض
الشعراء ٥ واني ليثنيني عن الجهل والخنا وعن شتم ذي القربى خلايق اربع
حيا واسلام وتقوى وانني كريم ومثلي قد يضر وينفع
ومن اخل باحد وجوه الحيا لحقه من النقص باخلاله بقدر ما كان
يلحقه من الفضل بكماله وقد قال الرياشي يقال ان ابا بكر الصديق
رضي

الفصل الرابع في الحلم والغضب

رضي الله عنه كان يتمثل بهذا الشعر ٥
وحاجة دون اخرى قد سنحت بها جعلتها للذي اخفيت عنوانا
اني كاني ارى من لا حيا له ولا امانة بين الناس عريانا

الفصل الرابع في الحلم والغضب

روى محمود ابن حارث الهمداني ان جبريل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه
فقال يا محمد اني اتيتك بمكارم الاخلاق في الدنيا والاخرة خذ العفو
وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين فروى سفين ابن عيينة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حين نزلت هذه الاية خذ العفو
وامر بالمعروف يا جبريل ما هذا قال لا ادري حتى اسال العالم
ثم رجع (عاد) جبريل وقال يا محمد ان ربك يامرك ان تصل من قطعك وتعطي
من حرمك وتعفو عمن ظلمك وروى هشام عن الحسن ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم
كان اذا خرج من منزله يقول اللهم اني قد تصدقت بعرضي على عبادك
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يحب
الحليم الحيي ويبغض الفاحش البذي وقال علي ابن ابي طالب
عليه السلام من حلم ساد ومن تفهم ازداد وقال بعض الادباء
من غرس شجر الحلم اجتنى ثمر السلم وقال بعض البلغاء ما ذب

عن الاعراض كالصفح والاعراض وقال بعض الشعراء

احب مكارم الاخلاق دهري واكره ان اعيب وان اعابا

واصفح عن سباب الناس حلماً وشر الناس من يهوى السبابا

ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا

فالحلم من اشرف الاخلاق واحقها بذوي الالباب لما فيه من سلامة العرض وراحة الجسد واجتلاب الحمد وقد قال علي ابن ابي طالب عليه السلام اول عوض الحليم عن حلمه ان الناس انصاره وحد الحلم ضبط النفس عن هيجان الغضب وهذا يكون لباعث وسببه فاسباب الحلم الباعثة على ضبط النفس اثنا عشر احدها الرحمة وذلك من خير يوافق رقة القلب وقد قيل في منثور الحكم من اوكد الحلم رحمة الجهال وقال ابو الدرداء لرجل اسمعه كلاما يا هذا لا تغرقن في سبنا ودع للصلح موضعا فانا لا نكافي من عصى الله فينا باكثر من ان نطيع الله فيه وشتم رجل الشعبي فقال ان كنت كما قلت فغفر الله لي وان لم اكن كما قلت فغفر الله لك واغتاظت عائشة على خادم لها ثم رجعت الى نفسها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفا وقسم معاوية قطفا فاعطى شيخا من اهل دمشق قطيفة فلم تعجبه فحلف ان يضرب بها راس معوية فاتاه خبره فقال على الانتصار وذلك من

سعة

سعة الصدر وحسن الثقة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قدرت علي عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه وقال بعض الحكما ليس من الكرم عقوبة لا تجد امتناعا من السطوة وقال بعض البلغاء احسن المكارم عفو المقتدر وجود المفتقر والثالث من اسبابه الترفع عن السباب وذلك من شرف النفس وعلو الهمة كما قال الحكما شرف النفس ان تحمل المكاره كما تحمل المكارم وقد قيل ان الله تعالى سمى يحيى سيدا لحلمه وقال الشاعر

لن يبلغ المجد اقوام وان كرموا حتى يذلوا وان عزوا لاقوام

ويشتموا فترى الالوان مسفرة لا صفح ذل ولكن صفح احلام

والرابع من اسبابه الاستهانة بالسباب وذلك عن ضرب من الكبر والاعجاب كما حكي عن مصعب ابن الزبير انه لما ولي العراق وامر مناديه فنادى اين عمرو ابن جرموز وهو الذي قتل اباه الزبير فقيل له ايها الامير انه قد باعد من الارض فقال او ظن الجاهل اني اقيده بابي عبد الله فليظهر امنا ويأخذ عطاه مسلما فعد الناس ذلك من مستحسن الكبر ومثل ذلك قول بعض الزعما في شعره

او كلما طن الذباب طردته ان الذباب اذن على كريم

واكثر رجل من سب الاحنف وهو لا يجيبه فقال والله ما منعه

من جواب الاحمق عليه وفي مثله يقول الشاعر

نجا بك لؤمك منجى الذباب حمته مقاذره ان ينالا

واسمع رجل ابن هبيره فاعرض عنه فقال له الرجل اياك اعني فقال وعنك

اعرض وفي مثله يقول الشاعر

فاذهب فانت طليق عرضك انه عرض عززت به وانت ذليل

وقال عمر ابن علي رضي الله عنه اذا نطق السفيه فلا تجبه فخير من اجابته السكوت

سكت عن السفيه فظن اني عييت عن الجواب وما عييت

والخامس من اسبابه الاستحيا من جزا الجواب وهذا يكون من صيانه

النفس وكمال المروه فقد قال بعض الحكما احتمال السفيه خير من التحلي

بصورته والاغضا عن الجاهل خير من مشاكلته وقال بعض الادبا

ما افحش حليم ولا اوحش كريم وقال لقيط ابن زراره

وقل لبني سعد فما لي وما لكم ترقون مني ما استطعتم واعتق

اغركم اني باحسن شيمه بصير واني بالفواحش اخرق

وانك ان ساببتني فقد تني هي ما تريات بالفحش احذق

والسادس من اسبابه التفضل على الساب فهذا يكون من الكرم

وحب التالف كما قيل للاسكندر ان فلانا وفلانا ينتقصانك

ويثلبانك فلو عاقبتهما قال هما بعد العقوبه اعذر في تنقصي وثلبي

فكان هذا تفضلا منه وتالفا وقد حكي عن الاحنف ابن قيس

انه قال ما عاداني احد قط الا اخذت في امره باحدي ثلث خصال

ان كان اعلى مني عرفت له قدره وان كان ادنى مني رفعت قدري

عنه وان كان عديلي تفضلت عليه فاخذه الخليل فنظمه شعرا فقال

سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب وان عظمت منه الي الجرائم

فما الناس الا واحد من ثلثه شريف ومشروف ومثل مقاوم

فاما الذي فوقي فاعرف حقه واتبع فيه الحق والحق لازم

واما الذي دوني فاحلم دايبا اصون به عرضي وان لام لايم

واما الذي مثلي فان زل او هفا تفضلت ان الفضل بالعز حاكم

والسابع من اسبابه استنكاف السباب وقطع السباب وهذا يكون

من الحزم كما حكي ان رجلا قال لضرار ابن القعقاع والله لو قلت واحده

لسمعت عشرا فقال الضرار والله لو قلت عشرا لم تسمع واحده وحكي

ان على ابن ابي طالب عليه السلام قال لعامر ابن مره الزهري من

احمق الناس قال من ظن انه اعقل الناس قال صدقت فمن اعقل

الناس فقال من لم يتجاوز الصمت في عقوبه الجهال وقال الشعبي

ما ادركت امي فابرها ولاكني لا اسب احدا فيسبها وقال بعض الحكما

في اعراضك صون اعراضك وقال بعض الشعرا

وفي الحلم ردع للسفيه عن الاذى وفي الخرق اغرا فلا تك اخرقا

وقال آخر

قل ما بدا لك من زور ومن كذب حلمي اصم واذني غير صما

والثامن من اسبابه الخوف من العقوبة على الجواب وهذا يكون
من ضعف النفس وربما اوجبه الراي واقتضاه الحزم وقد قيل في
منثور الحكم الحلم حجاب الافات وقال الشاعر

ارفق اذا خفت من ذي هفوة خرقا ليس الحليم كمن في امره خرق

والتاسع من اسبابه الرعاية ليد سالفة او حرمة لازمة وهذا
يكون من الوفا وحسن العهد وقد قيل في منثور الحكم اكرم الشيم ارعاها
للذمم وقال الشاعر

ان الوفا على الكريم فريضة واللوم مقرون بذي الاخلاف

وترى الكريم لمن يعاشر منصفا وترى اللئيم مجانب الانصاف

والعاشر من اسبابه المكر وتوقع الفرص الخفية وهذا يكون من
الدها وقد قيل في منثور الحكم من ظهر غضبه قل كيده وقال بعض الادباء
غضب الجاهل في قوله وغضب العاقل في فعله وقال بعض الحكما اذا سكت
عن الجاهل فقد اوسعته جوابا واوجعته عقابا وقال اياس بن قتادة

تعاقب ايدينا ويحلم راينا ونشتم بالافعال لا بالتكلم

وقال بعض الشعراء

وكم من لئيم ود اني شتمته وان كان شتمي فيه صاب وعلقم

وللكف عن شتم اللئيم تكرما اضر له من شتمه حين يشتم

فهذه

فهذه عشرة اسباب تدعوا الى الحلم وبعض الاسباب افضل من بعض
وليس اذا كان بعض اسبابه مفضولا ما يقتضي ان يكون نتيجة من
الحلم مذموما وانما الاولى بالانسان ان يدعوا الى الحلم افضل اسبابه
وان كان الحلم كله فضلا فان عري عن احد هذه الاسباب كان ذلا
ولم يكن حلما فانا قد ذكرنا من حد الحلم انه ضبط النفس عن هيجان الغضب
فاذا فقد الغضب بسماع ما يغضب كان ذلك من ذل النفس وقلة الحمية
ولذلك قالت الحكما ثلثة لا يعرفون الا في ثلثة مواطن لا يعرف
الجواد الا في العسرة والشجاع الا في الحرب والحليم الا في الغضب
وقال الشاعر

من يدعي الحلم اغضبه لتعرفه لا يعرف الحلم الا ساعة الغضب

وانشد للنابغة الجعدي بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولا خير في حلم اذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه ان يكدرا

ولا خير في جهل اذا لم يكن له حليم اذا ما اورد الامر اصدرا

فلم ينكر قوله عليه السلام ومن فقد الغضب في الاشيا المغضبة حتى استوت
حالتاه قبل الاغضاب وبعده فقد عدم من فضايل النفس الشجاعة والانفة
والحمية والغيرة والدفاع والاخذ بالثار لانها خصال مركبة من الغضب
فاذا عدمها الانسان هان بها ولم يكن لباقي فضايله في النفس موضعا
ولا لوفور حلمه في القلوب موقعا وقد قال المنصور اذا كان الحلم مفسدة

كان العفو مجرمًا وقال بعض الحكما العفو يفسد من اللئيم بقدر اصلاحه
من الكريم وقال عمرو ابن العاص اكرموا سفهاكم فانهم يكفونكم العار والشنار
وقال مصعب ابن الزبير ما قل سفهاء قوم الا ذلوا وقال ابو تمام الطائي

والحرب تركب راسها في مشهد عدل السفيه به بالف حليم

وليس هذا القول اغرا بتحكيم الغضب والانقياد له عند حدوث ما يغضب
فيكتسب بالانقياد للغضب من الرذايل اكثر مما يسلبه عدم الغضب من
الفضايل ولكن اذا ثار به الغضب عند هجوم ما يغضب كف سورته
بحزمه واطفا نايرته بحلمه وكل من استحق المقابلة الى غيره فلن
يعدم مسيا مكافيا كما لن يعدم محسنا مجازيا والعرب تقول دخل
بقيا ما خرج منه اي ان خرج منه خير دخله خير وان خرج منه شر
دخله شر وانشد ابن دريد عن ابي حاتم

اذا امن الجهال جهلك مرة فعرضك للجهال غنم من الغنم
فعم عليه الحلم والجهل والقه بمنزلة بين العداوة والسلم
اذا انت جازيت السفيه كما جزى فانت سفيه مثله غير ذي حلم
ولا تغضبن عرض السفيه وداره بحلم فان اعيا عليك فبالصرم
فيرجوك تارات ويخشاك تارة وياخذ فيما بين ذلك بالحزم
فان لم تجد بدا من الجهل فاستعن عليه بجهال فذاك اكرم العزم

وهذا

وهذا من احكم ابيات وجدتها في تدبير الحلم والغضب وهذا التدبير
انما يستعمل في من لا يجد الانسان بدا من مقارنته ولا سبيلا الى
اطراحه ومتاركته اما لخوف شره او للزوم امره فاما من امكن اطراحه
ولم يضر ابعاده فالاهوان به اولى والاعراض عنه اصون فاذا كان
على ما وصفنا استفاد بتحريك الغضب فضايله وامن بكف نفسه عن
الانقياد له رذايله وصار الحلم مدبرا للامور المغضبة بقدر لا
يعتوره نقص بعدم الغضب ولا يلحقه زيادة بفقد الحلم ولو عزب
عنه الحلم حتى انقاد لغضبه ضل عنه وجه الصواب فيه وضعف
خبره اسبابه ودواعيه حتى يصير بليد الراي مغمور الروية مقطوع
الحجة مسلوب العز قليل الحيلة مع ما يناله من اثر ذلك في نفسه وجسمه
حتى يصير اضر عليه مما غضب له وقد قال بعض الحكما من كثر شططه
كثر غلطه وروى انس ان سليمان الفارسي قال للعلي عليه السلام ما
الذي يباعدني من غضب الله تعالى قال ان لا تغضب وقال
بعض السلف اقرب ما يكون العبد من غضب الله اذا هو غضب وقال
بعض البلغا من رد غضبه هد من اغضبه وقال بعض الادبا ما اهيج
جاشك كغيظ اجاشك وقال رجل لبعض الحكما عظني فقال لا تغضب
فينبغي لذي اللب السوي والحزم القوي ان يتلقى فوران الغضب

حلمه فيفسدها ويقابل عوادي شرته بحزمه فيردها للحظ بالجلا
الجميل وتسعد بحميد العاقبه فقد قال بعض الادبا من اعظم راحه
اعصابك وسبب الغضب هجوم ما تكرهه النفس ممن دونها وسبب
الحزن هجوم ما تكرهه النفس ممن فوقها والغضب يتحرك من داخل
الجسد الى خارجه والحزن يتحول من خارج الجسد الى داخله ولذلك
قتل الحزن ولم يقتل الغضب لبروز الغضب وكمون الحزن فصار الحادث
عن الغضب السطوه والانتقام لبروزه والحادث عن الحزن المرض والسقم
لكمونه فمن اجل ذلك افضى الحزن الى الموت ولم يفض الغضب وهذا
فرق ما بين الحزن والغضب واعلم ان لتسكين الغضب اذا هجم اسبابا
يستعان بها على الحلم منها ان يذكر الله تعالى فيدعوه ذكره الى الخوف منه
ويبعثه الخوف منه على الطاعه له فيرجع الى ادبه وياخذ بندبه فعند
ذلك يزول الغضب قال الله تعالى واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى
ان يهدين ربي قال عكرمه يعني اذا غضبت وقال الله تعالى واما
ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله معنى قوله ينزغنك اي يغضبك
فاستعذ بالله انه هو السميع العليم يعني سميعا بجهل من جهل عليما بما
يذهب عنك الغضب وذكر ان في التوراه مكتوبا يا ابن ادم اذكرني
حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق وحكي ان

بعض

بعض ملوك الفرس كتب كتابا ودفعه الى وزيره وقال اذا غضبت
فناولنيه وكان مكتوب فيه ما لك والغضب انما انت بشر ارحم من في الارض
يرحمك من في السما وقال بعض الحكما من ذكر قدرة الله تعالى لم يستعمل قدرته
في ظلم عباد الله وقال عبد الله ابن مسلم ابن محارب لهارون الرشيد
يا امير المومنين اسالك بالذي انت بين يديه اذل مني بين يديك وبالذي
هو اقدر على عقابك منك على عقابي لما عفوت عني فعفا عنه لما ذكره
قدرة الله تعالى عليه وروي ان رجلا شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
القسوه فقال اطلع في القبور واعتبر بالنشور وكان بعض ملوك الطوايف
اذا غضب القى عنده مفاتيح ترب الملوك فيزول غضبه ولذلك قال
عمر ابن الخطاب رضي الله عنه من اكثر ذكر الموت رضي من الدنيا
باليسير ومنها ان ينتقل عن الحاله التي هو فيها الى حاله غيرها فيزول
عنه الغضب بتغير الاحوال والتنقل من حال الى حال وكان هذا مذهب
المامون اذا غضب وكانت الفرس تقول اذا غضب القايم فليجلس
واذا غضب الجالس فليقم ومنها ان يتذكر ما يؤول اليه الغضب من
الندم ومذمه الانتقام وكتب ابرويز الى ابنه شيرويه ان كلمة منك
تسفك دما وان اخرى منك تحقن دما وان نفاذ امرك مع ظهور كلامك
فاحترس في غضبك من قولك ان تخطي ومن لونك ان يتغير ومن

جسدك ان نحف فان الملوك نعاقب قدرة وتعفوا حلماً وقال
بعض الحكما الغضب على من لا تملك عجز وعلى من تملك لوم وقال
بعض الادباء اياك وعزة الغضب فانها تفضي بك الى ذل العذر
وقال بعض الشعراء

اذا ما اعترتك في الغضب العزة فاذكر تذلل الاعتذار

ومنها ان يذكر ثواب العفو وجزا الصفح فيقهر نفسه على الغضب
رغبة في الجزاء والثواب وحذر من استحقاق الذم والعقاب
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ينادي منادي يوم
القيمة من له اجر على الله فليقم فيقوم العافون عن الناس ثم تلا
فمن عفى واصلح فاجره على الله وقال رجا ابن حيوة لعبد الملك
ابن مروان في اسارى ابن الاشعث ان الله قد اعطاك ما تحب
من الظفر فاعط الله ما تحب من العفو وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال الخير ثلث خصال من كن فيه استكمل الايمان
من اذا رضي لم يدخله رضاه في باطل واذا غضب لم تخرجه
غضبه من حق واذا قدر عفا ... واسمع رجل لعمر ابن عبد العزيز
كلاما فقال اردت ان يستفزني الشيطان بعز السلطان
فانال منك اليوم ما تناله مني غدا انصرف رحمك الله ومنها
ان

ان يتذكر انعطاف القلوب عليه وميل النفوس اليه فلا يرى اضاعة
ذلك بتنفير الناس عنه فيرغب في التألف وجميل الثنا وروي
ابن ابي ليلى عن عطيه عن ابي سعيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما ازداد احد بعفو الا عزا فاعفوا يعزكم الله
وقال بعض البلغا ليس من عادة الكرام سرعة الانتقام ولا من
شروط الكرم ازالة النعم وقال المامون لابرهيم ابن المهدي
اني شاورت في امرك فاشاروا علي بقتلك الا اني وجدت قدرك
فوق ذنبك وكرهت القتل للازم من حرمتك فقال يا
امير المومنين ان المشير اشار بما جرت به العادة في السياسة الا
انك ابيت ان تطلب النصر الا من حيث عودته من العفو فان
عاقبت فلك نظير وان عفوت فلا نظير لك وانشا يقول

البر بي وطا العذر عندك لي فيما فعلت فلم تعذل ولم تلم
وقام علمك بي فاحتج عندك لي مقام شاهد عدل غير متهم
لئن جحدتك معروفا مننت به اني لفي اللوم احظى في الكرم
تعفوا بعدل وتسطوا ان سطوت به فلا عدمناك من عاف ومنتقم

الفصل الخامس في الصدق والكذب

قال الله تعالى وهو اصدق القائلين ثم نبتهل فنجعل لعنة الله

على الكاذبين وقال انما يفتري الكذب الذين لا يومنون وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للحسن ابن علي عليهما السلام
دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الكذب ريبة والصدق طمانينه
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله امرا اصلح من
لسانه وقصر عنانه والزم طريق الحق مقوله ولم يعود الخطل
مفصله وروي صفوان ابن سليم قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم
ايكون المومن جبانا قال نعم قيل افيكون بخيلا قال نعم قال افيكون
كذابا قال لا وقال ابن عباس في قوله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل
اي لا تخلطوا الصدق بالكذب وقيل في منثور الحكم الكذاب لص
لان اللص يسرق مالك والكذاب يسرق عقلك وقال بعض
الحكما الخرس خير من الكذب وصدق اللسان اول السعاده وقال
بعض الادبا لا سيف كالحق ولا عون كالصدق وقال بعض الشعراء
الشعراء ه وما شي اذا فكرت فيه باذهب للمروة والجمال
من الكذب الذي لا خير فيه وابعد بالبها من الرجال
والكذب جماع كل شر واصل كل ذم لسوء عواقبه وخبث نتايجه لانه
ينتج النميمة والنميمة تنتج البغضا والبغضا تؤول الى العداوة وليس
مع العداوة امن ولا راحه ولذلك قيل من قل صدقه قل صديقه

والصدق والكذب يدخلان الاخبار الماضيه كما ان الوفا والخلف
يدخلان المواعيد المستقبله فالصدق هو الاخبار عن الشي على ما
هو عليه والكذب الاخبار عن الشي بخلاف ما كان عليه ولكل واحد
منهما دواعي فدواعي الصدق لازمه ودواعي الكذب
عارضة لان الصدق يدعوا اليه عقل موجب وشرع موكد والكذب
يمنع منه العقل ويصد عنه الشرع ولذلك جاز ان يستفيض الاخبار
الصادقه حتى تصير متواترة ولم يجز ان يستفيض الاخبار الكاذبه لان
اتفاق الناس في الصدق والكذب انما هو الدواعي فدواعي الصدق
يجوز ان يتفق الجمع الكثير عليها حتى اذا نقلوا خبرا وكانوا عددا يمتنع
عن مثلهم المواطاه نفي عن النفس صدقه لان الدواعي اليه نافعه واتفاق
الناس في الدواعي النافعه ممكن ولا يجوز ان يتفق العدد الكثير
الذي لا يمكن مواطاه مثلهم على نقل خبر يكون كذبا لان الدواعي
اليه غير نافعة وربما كانت ضاره وليس في جاري العاده ان يتفق
الجمع الكثير على دواع غير نافعه فلذلك جاز اتفاق الناس على
الصدق لجواز اتفاق دواعيهم واذا كان للصدق والكذب دواع
فلا بد من ذكر ما سنح به الخاطر من دواعيهما اما دواعي الصدق
فمنها العقل فانه موجب لقبح الكذب لا سيما ما كان مستحسنا ويمنع

لاتفاق

منه اذا لم تجلب نفعًا وتدفع ضررًا والعقل يدعوا الي فعل ويمنع
اتيان ما كان منه مستقبحًا ولبين ما استحسن من مبالغات الشعراء حتى
صارت كذبًا صريحًا استحسانًا للكذب في العقل كالذي انشد فيه
الازدي لبعض الشعراء ⁂ توهمه فكري فاصبح خده وفيه مكان الوهم من فكري اثر

وصافحه كفي فالم كفه فمن لمس كفي في انامله عقر ⁂

ومر بقلبي خاطرًا فجرحته ولم ار شيا قط يجرحه الفكر ⁂

وكقول العباس ابن الاحنف وان كان دون هذه المبالغه

تقول وقد كتبت دقيق خطي اليها لم تجتنب الجليلا ⁂

فقلت لها نحلت فصار خطي مشاكلة لكاتبه نحيلا ⁂

لانه خرج مخرج المبالغة في التشبيه والاقتدار على صنعة الشعر وان
شواهد الحال تخرجه عن تلبيس الكذب فلذلك ما استحسن في
الصنعة لم يستقبح في العقل وان كان الكذب مستقبحا فيه ومنها
الدين الوارد باتباع الصدق وحظر الكذب لان الشرع لا يجوز
ان يرد بارخاص ما حظره العقل بل قد جا الشرع زايدًا على ما
اقتضاه العقل من حظر الكذب لان الشرع ورد بحظر الكذب وان
جر نفعًا او دفع ضررًا والعقل انما حظر ما لا يجلب نفعا ولا يدفع
ضررًا ومنها المروة فانها مانعة من الكذب باعثة على الصدق لانها

قد

قد تمنع من فعل ما كان مستكرهًا فاولى ان تمنع من فعل ما كان
مستقبحًا ومنها حب الثنا والاشتهار بالصدق حتى لا يرد عليه قول
ولا يلحقه ندم وقد قال بعض البلغا ليكن مرجعك الي الحق ومنزعك
الي الصدق فالحق اقوي معين والصدق افضل قرين وقال بعض
الشعراء ⁂ عود لسانك صدق القول تحظ به ان اللسان لما عودت معتاد ⁂

موكل بتقاضي ما سننت به فاختر لنفسك وانظر كيف ترتاد ⁂

فاما دواعي الكذب فمنها اجتلاب النفع واستدفاع الضر فيري ان
الكذب اسلم واغنم فيرخص لنفسه فيه اغترارا بالخدع واستشفافا
للطمع وربما كان الكذب ابعد لما يامل واقرب لما يخاف لان
القبيح لا يكون حسنًا والشر لا يصير خيرًا وليس يجتني من الشوك العنب
ولا من الكرم الحنظل وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال تحروا الصدق وان رايتم ان فيه الهلكة فان فيه النجاة وتجنبوا
الكذب وان رايتم فيه النجاة فان فيه الهلكة وقال عمر بن الخطاب رضي
الله عنه لان يضعني الصدق وقل ما يفعل احب الي من ان يرفعني الكذب
وقل ما يفعل وقال بعض الحكما الصدق منجيك وان خفته والكذب
مرديك وان امنته وقال الجاحظ الصدق والوفا توامان والصبر
والحلم توامان فيهن تمام كل دين وصلاح كل دنيا واضدادهن سبب كل

واصل كل فساد ومنها ان يؤثر ان يكون حديثه مستعذبا وكلامه مستظرفا
فلا يجد صدقا يعذب ولا حقا يطرب فيستعذب الكذب الذي ليست غرايبه
معوزة ولا طرايفه معجزة وهذا النوع اسوا حالا مما قبل لانه يصدر
عن مهانة النفس ودناءة الهمة وقد قال الجاحظ لم يكذب احد قط الا
لصغر قدر نفسه عنده وقال ابن المقفع لا تتهاون بارسال الكذبة من الهزل
فانها تسرع الى ابطال الحق ومنها ان يقصد بالكذب التشفي من عدوه فيسمه
بقبايح يخترعها عليه ويصفه بفضايح ينسبها اليه ويرى ان معرة الكذب
غنم وان ارسالها في العدو سهم وسم وهذا اسوا حالا من النوعين
الاولين لانه قد جمع بين الكذب المعر والشر المضر ولذلك ورد الشرع
برد شهادة العدو على عدوه ومنها ان يكون دواعي الكذب قد ترادفت
عليه حتى الفها فصار الكذب له عادة ونفسه اليه منقادة حتى لو رام مجانبة
الكذب عسر عليه واعلم ان للكذاب قبل خبرته امارات دالة عليه
فمنها انك اذا لقنته الحديث تلقنه ولم يكن بين ما لقنته وبين ما اورده
فرق عنده ومنها انك اذا شككته فيه تشكك حتى يكاد ان يرجع فيه ولولا
ما خالجه الشك فيه ومنها انك اذا رددت عليه قوله حصر وارتبك ولم
يكن عنده نصرة المحتجين ولا برهان الصادقين ولذلك قال علي ابن
ابي طالب عليه السلام الكذب كالسراب ومنها ما يظهر عليه من ريبة الكذابين
فيتم

فيتم عليه من ذلة المتوهمين لان هذه امور لا يمكن الانسان دفعها عن
نفسه لما في الطبع من اثارها ولذلك قال الحكماء العينان انم من اللسان
وقال بعض البلغاء الوجه مراة تريك اسرار المرايا وقال بعض الشعراء

تريك اعينهم ما في صدورهم ان العيون يؤدي سرها النظر

واذا اوسم بالكذب نسبت اليه شوارد الكذب المجهولة واضيف
الى اكاذيبه زيادات مفتعلة حتى يصير الكاذب مكذوبا عليه فيجمع بين
معرة الكذب منه ومضرة الكذب عليه وقد قال الشاعر

حسب الكذوب من البلية بعض ما يحكى عليه
فاذا سمعت بكذبة من غيره نسبت اليه

ثم ان تحري للصدق اتهم وان جانب الكذب كذب حتى لا يعتقد له حديث
مصدق ولا كذب مستنكر قال الشاعر

اذا عرف الكذاب بالكذب لم يكد يصدق في شيء وان كان صادقا
ومن افة الكذاب نسيان كذبه وتلقاه ذا حفظ اذا كان حاذقا

وقد وردت السنة بارخاص الكذب في الحرب واصلاح ذات البين
على وجه التورية والتاويل دون التصريح به فان السنة لا تجوز
ان ترد باباحة الكذب لما فيه من التنفير وانما ذلك على طريق
التورية والتعريض كما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تطرف

بدرًا وانفرد عن اصحابه فقال له رجل ممن انت فقال من ما فورّى
عن الاخبار بنسبه بامر محتمل وظن السايل لانه عنا القبيله المنسوبه
الى ذلك وانما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من الما الذي يخلق
منه الانسان فبلغ ما احب من اخفا نسبه وصدق في خبره وكالذي
حكى عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه كان يسير خلف رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين هاجر معه فتلقاه العرب وهم يعرفون ابا بكر
ولا يعرفون النبي فيقولون يا ابا بكر من هذا فيقول يهديني السبيل
فيظنون انه يعني هدايه الطريق وهو انما اراد سبيل الخير فيصدق
في قوله ويوري عن مراده وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان في المعاريض ما يكفي ان يعف الرجل عن الكذب وقال
بعض اهل التاويل في قوله تعالى لا تواخذني بما نسيت انه لم ينس ولكنه
يعارض الكلام وقال ابن سيرين الكلام اوسع من ان يصرح فيه
بالكذب واعلم ان من الصدق ما يقوم مقام الكذب في القبح والمعره
ويزيد عليه في الاذى والمضره وهو الغيبه والنميمه والسعايه
فاما الغيبه فانها خيانه وهتك ستر يحدثان عن حسد وغدر قال
الله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا
يعني كما انه لا يحل لحمه ميتا لا يحل غيبته حيا وروي ان امراتين صامتا

على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلتا يغتابان الناس فاخبر
بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال صامتا على ما احل لهما وافطرتا على
ما حرم عليهما ٥ وروت اسما بنت يزيد قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ذب عن لحم اخيه بظهر الغيب كان حقا على الله ان يحرم
لحمه على النار وقال عدي ابن حاتم الغيبه رعي اللئام وكان الحسن
البصري يقول الغيبه فاكهه النساك وقال رجل لابن سيرين
رحمه الله اني اغتبتك فاجعلني في حل فقال ما احب ان احل لك ما حرم
الله عليك وقال ابن السماك لا تعن الناس على عيبك بسوء غيبتك
وقال الشاعر ٥ لا تلتمس من مساوي الناس ما ستروا فيهتك الله سترا من مساويكا ٥
واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا ولا تعب احدا منهم بما فيكا ٥
وربما اعذر المغتاب نفسه بانه يقول حقا ويلعن فسقا ويستشهد
بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلثه ليست غيبتهم بغيبه
الامام الجاير وشارب الخمر والمعلن بفسقه فيبعد من الصواب
ويجانب الادب لانه وان كان بالغيبه صادقا فقد هتك سترا
كان بصونه اولى وجاهر من اسر واخفى بما دعا المرتاب ذلك
الى اظهار ما كان يستره والمجاهر بما كان يضمره فلم يفد ذلك
الا فساد اخلاقه من غير ان يكون فيه صلاح لغيره وقد قيل لابي سروان

ما الذي لا خير فيه قال ما ضرني ولم ينفع غيري واضر غيري
ولم ينفعني لا اعلم فيه خيرا وقيل في منثور الحكم لا تبد من العيوب ما
يستر علام الغيوب وقد روى العلا ابن عبد الرحمن عن ابيه عن
ابي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال
هو ان تقول لاخيك ما فيه فان كنت صادقا فقد اغتبته وان كنت
كاذبا فقد بهته وقال عبد الرحمن ابن زيد في قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم انه استهزاء
المسلم بمن اعلن بفسقه ودخلت امراة على النبي صلى الله عليه وسلم
تستفتيه فلما خرجت قالت عايشة يا رسول الله ما اقصرها فقال
مهلا اياك والغيبة قالت يا رسول انما قلت ما فيها قال اجل ولولا ذاك
لكان بهتانا وسئل بعض الادبا عن صفة اللئيم فقال اللئيم اذا غاب
غاب واذا حضر اغتاب واما الخبر فمحمول على الانكار لاتعالها ولا
ولا يكون الانكار غيبة لانه نهي عن منكر وفرق بين انكار المجاهر
وغيبة المساتر فاما النميمة فهي تجمع الى مذمة الغيبة رداه وشرا
وتضم الى لومها دناة وغدرا ثم تؤول الى تقاطع المتواصلين
وتباعد المتقاربين وتباغض المتحابين وقد روى شهر ابن حوشب
عن اسما بنت يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الا اخبركم
بشراركم

بشراركم قالوا بلى قال من شراركم المشاؤون بالنميمة المفسدون بين
الاحبة الباغون العيوب وروى محمد ابن عمر عن ابي سلمة عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون ذو الوجهين
ملعون ذو اللسانين ملعون كل شغار ملعون كل قتات ملعون كل
منان الشغار المحرش بين الناس يلقي بينهم العداوة والقتات النمام
وقيل ان النمام هو الذي يكون مع القوم يتحدثون فينم حديثهم
والقتات هو الذي يتسمع عليهم وهم لا يعلمون فينم حديثهم والمنان
الذي يعمل الخير ويمن به وقيل في منثور الحكم النميمة سيف قاتل
وقال بعض الادباء لم يمش ماش شر من واش واما السعاية
فهي شر الثلثة لانها تجتمع الى مذمة الغيبة ولوم النميمة والتغرير
بالنفوس والاموال والقدح في المنازل والاحوال وروى ابن قتيبة
ان النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الجنة لا يدخلها ديبوب ولا قلاع
فالديبوب الذي يجمع بين الرجال والنسا سمي بذلك لانه يدب
بينهم والقلاع هو الساعي الذي يقع في الناس عند الامير سمي قلاعا
لانه ياتي الرجل المتمكن عند الامير فلا يزال يقع فيه حتى يقلعه
وقال بعض الحكما الساعي بين منزلتين قبيحتين اما ان يكون صدق
فقد خان الامانة واما ان يكون قد كذب فخالف المروة وقال

بعض حكما الفرس الصدق يزين كل احدٍ الا السعاه فان الساعي اذم
واثم ما يكون اذا صدق وقال بعض البلغا النميمه دناه والسعايه
رداه وهما راس الغدر واساس الشر فجنب سبيلهما واجتنب اهلهما
ووقع الفضل ابن سهل على قصه ساع سعى اليه نحن نرى قبول
السعايه شرا منها لان السعايه دلاله والقبول اجازه فاتقوا الساعي
فانه كان في سعايته صادقا كان في صدقه اثما اذ لم يحفظ الحرمه ان
ويستر العوره وقال الاسكندر لساع سعى اليه برجل احب ان يقبل
منك ما تقول فيه على ان يقبل منه ما يقول فيك قال لا قال كف
عن الشر يكف عنك الشر وحكي ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلم
ان في بلدك ساعيا ولست امطرك وهو في ارضك قال يا رب دلني
عليه حتى اخرجه قال يا موسى اكره النميمه وانم

الفصل في الحسد والنميمه

اعلم ان الحسد خلق ذميم مع
اضراره بالبدن وافساده الدين حتى لقد امر الله تعالى بالاستعاذه
من شره فقال تعالى ومن شر حاسد اذا حسد وناهيك بحال ذلك
شرا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال دب اليكم دا الامم
قبلكم البغضا والحسد هي الحالقه حالقه الدين لا حالقه الشعر
والذي نفس محمد بيده لا تومنوا حتى تحابوا الا انبيكم بامر اذا فعلتموه
تحاببتم

تحاببتم افشوا السلام بينكم فاخبر عليه السلام بحال الحسد وان
التحابب ينفيه وان السلام يبعث على التحابب فصار السلام اذا نافيا
للحسد وقد جاءت اية الله تعالى بما وافق هذا القول قال الله تعالى
ادفع بالتي هي احسن السيئه فاذا الذي بينك وبينه عداوه كانه
ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وحكي عن مجاهد ان معناه ادفع
بالسلام اساه المسي وقال الشاعر

• قد يلبث الناس حينا ليس بينهم ود فيزرعه التسليم واللطف •

وقال بعض السلف الحسد اول ذنب عصي الله تعالى به في السماء
يعني حسد ابليس لادم واول ذنب عصي الله تعالى به في الارض
يعني حسد ابن ادم لاخيه حتى قتله وقال بعض الحكما من رضي بقضا
الله تعالى لم يسخطه احد ومن قنع بعطايه لم يدخله حسد وقال
بعض البلغا الناس حاسد ومحسود ولكل نعمه حسود وقال
بعض الادبا ما رايت ظالما اشبه بمظلوم من الحسود نفس دايم وهم
لازم وقلب هايم فاخذه بعض الشعراء فقال

• ان الحسود الظلوم في كرب يخاله من يراه مظلوما •
• ذا نفس دايم على نفس يظهر منه ما كان مكتوما •

ولو لم يكن من ذم الحسد الا انه خلق دني يتوجه نحو الاكفا والاقا رب

وتخص بالمخالط والصاحب لكانت النزاهة عنه كرما والسلامة
منه مغنما فكيف وهو بالنفس مضر وعلى الهم مصر حتى ربما افضى
بصاحبه الى التلف من غير نكاية من عدو ولا اضرار بمحسود وقد
قال معويه ليس من خصال الشر اعدل من الحسد يقتل الحاسد
قبل ان يصل الى المحسود وقال بعض الحكما يكفيك من الحسود ان
يغتم في وقت سرورك وقد قيل في منثور الحكم عقوبة الحاسد من نفسه
وقال الاصمعي قلت لاعرابي ما اطول عمرك فقال تركت الحسد
فبقيت وقال رجل لشريح القاضي اني لاحسدك على ما ارى من صبرك
على الخصوم ووقوفك على غامض الحكم فقال ما نفعك الله بذلك ولا
ضرني وقال عبد الله ابن المعتز

اصبر على كيد الحسود فان صبرك قاتله • فالنار تاكل بعضها ان لم تجد ما تاكله •

وحقيقة الحسد شدة الاسا على الخيرات تكون للناس الافاضل وهو
غير المنافسة وربما غلط قوم فظنوا ان المنافسة في الخير هي الحسد
وليس الامر كما ظنوا لان المنافسة طلب التشبه بالافاضل من غير
ادخال ضرر عليهم والحسد مصروف الى الضرر لان غايته
ان يعدم الفاضل فضله من غير ان يصير الفضل له فهذا هو الفصل
بين المنافسة والحسد فالمنافسة اذن فضيلة لانها داعية الى
اكتساب

اكتساب الفضايل والاقتدا بالاخيار والافاضل وقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المومن يغبط والمنافق يحسد
وقال الشاعر

• نافس على الخيرات اهل العلى فانما الدنيا احاديث •
كل امرئ في شانه كادح فوارث منهم وموروث •

واعلم ان دواعي الحسد ثلثة احدها بغض المحسود فياسى عليه بفضيلة
تظهر او منقبة تشكر فيثير حسدا قد خامر بغضا وهذا النوع لا يكون
عاما وان كان اضرها لانه ليس يبغض كل الناس والثاني ان يظهر
من المحسود فضل يعجز عنه الحاسد فيكره تقدمه فيه واختصاصه
به فيثير ذلك حسدا لولاه لكف وهذا اوسطها لانه لا يحسد
الاكفا ومن دنا وانما يختص بحسد من علا وقد يمتزج بهذا النوع
ضرب من المنافسة ولكنها مع عجز فلذلك صار حسدا والثالث
ان يكون في الحاسد شح بالفضايل وبخل بالنعم وليست اليه
فيمنع منها ولا بيده فيدفع عنها لانها مواهب قد منحها الله تعالى
من شا فيسخط على الله تعالى في قضايه ويحسد على ما منح من
عطايه وان كانت نعم الله تعالى عنده اكثر ومنحه عليه اظهر
وهذا النوع من الحسد اعمها واخبثها اذ ليس لصاحبه راحة
ولا لرضاه غاية فان اقترن بشر وقدرة كان بوارا وانتقاما

وان صادف عجزا او مهانة كان كمدا وسقاما وقد قال عبد الحميد
الحسود من الهم كساقي السم فاذا سرى سمه سرى عنه همه واعلم
ان بحسب فضل الانسان وظهور النعمة عليه يكون حسد الناس له فان
كثر فضله كثر حساده وان قل قلوا لان ظهور الفضائل يثير الحسد
وحدوث النعمة تضاعف الكمد ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
استعينوا على قضاء الحوائج بسترها فان كل ذي نعمة محسود وقال
عمر بن الخطاب ما كانت لله تعالى على احد نعمة الا وجد لها حاسدا
ولو كان الرجل اقوم من القدح لما عدم غامزا وقال الشاعر

• ان يحسدوني فاني غير لائمهم قبلي من الناس اهل الفضل قد حسدوا •
• فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات اكثرنا غيظا بما يجد •

وربما كان الحسد منبها على فضل المحسود كما قال ابو تمام

• واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود •
• لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود •
• لولا التخوف للعواقب لم يزل للحاسد النعمى على المحسود •

فاما ما يستعمله من كان الحسد عليه غالبا وكان طبعه اليه مائلا لينتفي
عنه فيكفاه ويسلم من ضرره وعدواه فامور هي لحسم ان صادفته
عزم من اتباع الدين في اجتنابه والرجوع الى الله تعالى في ادبه
واداب

واداب فيقهر نفسه على مذموم خلقها وينقلها عن لئيم طبعها وان
كان نقل الطباع عسرا لكن بالرياضة والتدرج يسهل منه ما استصعب
ويحبب منه ما اتعب وان تقدم قول القائل من رَبُه خلقة لم يتخل
خلقة غير انه اذا عانا تهذيب نفسه تظاهر بالتخلق دون الخلق ثم بالعادة
فيصير كالخلق قال ابو تمام

• فلم اجد الاخلاق الا تخلقا ولم اجد الافضال الا تفضلا •

ومنها العقل الذي يستقبح به من نتائج الحسد ما لا يرتضيه ويستنكف
من هجنة مساويه فيذلل نفسه انفة ويبعدها حمية فيذعن
لرشادها ويجيب الى صلاحها وهذا انما يصح لذي النفس الابية والهمة
العالية وان كان ذو الهمة يجل عن دناءة الحسد وقد قال الشاعر

• ابى له نفسان نفس زكية ونفس اذا ما خافت الظلم تشمس •

ومنها ان يستدفع ضرره ويتوقى اثره ويعلم ان مكانته في نفسه
ابلغ ومن المحسود ابعد فيستعمل الحزم في دفع ما كره واجتهد
ليكون اطيب نفسا واهنا عيشا وقد قيل العجب لغفلة الحاسد عن
سلامة الاجساد وقال الشاعر

• بصير باعقاب الامور كانما يرى بصواب الراي ما هو واقع •

ومنها ما يرى من نفور الناس عنه وبعدهم منه فيخافهم اما على

نفسه من عداوه او على عرضه من ملامه فتالفهم بمجاملته نفسه
وراهم ان صلحوا اجدى نفعا واخلص ودا وقال ابن العميد

داوِ جوى بجوى وليس لحازم من يستكف النار بالحلفا

وقال المومل ابن اميل المحاربي

لا تحسبوني غنيا عن مودتكم اني اليكم وان ايسرت مفتقر

ومنها ان يساعد للقضا ويستسلم للمقدور فلا يرى ان يغالب
قضا الله فيرجع مغلوبا ولا ان يعارضه في امره فيرد مسلوبا ومحزونا
وقد قال اردشير ابن بابك اذا لم يساعدنا القضا ساعدناه
وقال بعض الشعراء في معنى ذلك

ان لم يكن ما يريد المومن سبب فواجب ان يريد المرء ما كانا
والنفس ان يئست مما تؤمله رات باعز عند الله قد هانا

وقال محمود الوراق

قدر الله كاين حين يقضي وروده
قد مضى فيك علمه وانتهى ما يريده
واخو الحرص حرصه ليس مما يزيده
فارد ما يريد ان لم يكن ما تريده

فان اظفرته السعاده باحد هذه الاسباب وهديته المراشد
الى

الى استعمال الصواب سلم من سقامه وخلص من غرامه واستبدل
بالنقص فضلا واعتاض من الذم حمدا ولمن استنزل نفسه عن
مذمه وصرفها عن لايمه فهو اظهر حزما واقوى عزما ممن كفته النفس
جهادها واعطته قيادها ولذلك قال علي عليه السلام
خياركم كل مفتن تواب فان صرفته الشقوة عن مرام مراشده
واضله الحرمان عن مقاصده فانقاد للطبع اللئيم وغلب الخلق
الذميم حتى ظهر حسده واستشرى كمده فقد باء باربع مذام احداهن
حسرات الحسد وسقام الجسد ثم لا نجد لحسرته انتها ولا يامل
لسقامه شفا وقد قال ابن المعتز الحسد دا الجسد والثانيه
انخفاض المنزله وانحطاط الرتبه لانحراف الناس عنه ونفورهم
منه وقد قيل في منثور الحكم الحسود لا يسود والثالثه مقت
الناس له حتى لا يجد فيهم محبا وعداوتهم له حتى لا يرى فيهم وليا
فيصير بالعداوه ماثورا وبالمقت مهجورا ولذلك قال النبي صلى
الله عليه وسلم شر الناس من يبغض الناس ويبغضونه والرابعه
اسخاط الله تعالى في معارضته واجتناب الاوزار في مخالفته
وليس يرى قضا الله عدلا ولا لنعمه من الله اهلا ولذلك
قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الحسد ياكل الحسنات كما تاكل

النار الحطب وقال عبد الله ابن المعتز الحاسد مغتاص على من
لا ذنب له بخيل بما لا يملكه طالب لما لا يجده واذا بلي الانسان بمن
هذه حاله من حساد النعم واعدا الفضل استعاذ بالله من شره
وتوقى مصارع كيده وتحرز من غوايل حسده وبعد من ملابسته وادنايه
لعضل دايه في اعواز دوايه فقد قيل حاسد النعمة لا يرضيه
الا زوالها وقال بعض الحكما من ضر بطبعه فلا تانس بقربه فان
قلب الاعيان صعب المرام وقال عبد الحميد اسد تقاربه خير من حسود
تراقبه وقال محمود الوراق

اعطيت كل الناس من نفسي الرضا الا الحسود فانه اعياني

ما ان لي ذنب اليه علمته الا تظاهر نعمة الرحمان

واني بما يرضيه الا ذلتي وذهاب اموالي وقطع لساني

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلثة لا يسلم احد
منهن الطيرة وسو الظن والحسد فاذا تطيرت فلا ترجع واذا
ظننت فلا تحقق واذا حسدت فلا تبغ

فصل

واما ادب المواضعة والاصطلاح فضربان احدهما ما تكون المواضعة
من فروعه واصوله وذلك منقسم في الفصول التي نذكرها اذا
شرت وهي ثمانية

الفصل الاول في الكلام والصمت

اعلم

اعلم ان الكلام ترجمان يعبر عن مستودعات الضماير ويخبر بمكنونات السراير
لا يمكن استرجاع بوادره ولا يقدر على رد شوارده فحق على العاقل ان
يتحرز من زلله بالامساك عنه او بالاقلال منه روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال رحم الله من قال خيرا فغنم او سكت فسلم وقال
النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ يا معاذ انت سالم ما سكت فاذا تكلمت فعليك
او لك وقال علي ابن ابي طالب عليه السلام اللسان معيار اطاشه الجهل
وارجحه العقل وقال بعض الحكما الزم الصمت تعد حليما جاهلا كنت
او عليما وقال بعض الادبا سعيد من لسانه صموت وكلامه قوت وقال
بعض العلما من اعود ما يتكلم به العاقل ان لا يتكلم الا لحاجته او حجته ولا
يتفكر الا في اخرته او عاقبته وقال بعض البلغا الزم الصمت فانه يكسبك
صفو المحبة ويومنك سو المغبة ويلبسك ثوب الوقار ويكفيك مؤونة
الاعتذار وقال بعض الفصحا اعقل لسانك الا عن حق توضحه او باطل
تدحضه او حكمة تنشرها او نعمة تذكرها وقال بعض الشعراء

رايت العز في ادب وعقل وفي الجهل المذلة والهوان

وما حسن الرجال لهم بحسن اذا لم يسعد الحسن البيان

كفى بالمرء عيبا ان تراه له وجه وليس له لسان

واعلم ان للكلام شروطا لا يسلم المتكلم من الزلل الا بها ولا يعرى من

النقص الا ان يستوعبها وهي اربعة فالشرط الاول ان يكون
الكلام لداعي يدعوا اليه اما في اجتلاب نفع او دفع ضرر والشرط
الثاني ان ياتي به في موضعه ويتوخى به اصابة فرصته والشرط الثالث
ان يقتصر منه على قدر حاجته والشرط الرابع ان يتخير اللفظ الذي
يتكلم به فهذه اربعة شروط متى اخل المتكلم بشرط منها فقد اوهن بلاغتها
وسنذكر من تعليل كل شرط منها ما ينبي عن لزومه فاما الشرط الاول
وهو الداعي الى الكلام فلان ما لا داعي اليه هذيان وما لا سبب له هجر
ومن سامح نفسه في الكلام اذا عن ولم يراع صحة دواعيه او اصابة
معانيه كان قوله مرذولا ورايه معلولا كالذي حكى ابن عايشة ان
شابا كان يجالس الاحنف ويطيل الصمت فاعجب ذلك الاحنف فخلت الحلقة
يوما فقال له الاحنف تكلم يا ابن اخي فقال يا عم ارايت لو ان رجلا
سقط من شرف هذا المسجد كان يضره شي فقال يا ابن اخي ليتنا تركناك
مستورا ثم تمثل الاحنف بقول الاعور الشني

وكاين ترى من صاحب لك معجب زيادته او نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم

وكالذي حكي عن ابي يوسف الفقيه ان رجلا كان يجلس اليه فيطيل الصمت
فقال له ابو يوسف الا تسال قال بلى متى يفطر الصايم قال اذا غربت الشمس
قال

قال فان لم تغرب الشمس الى نصف الليل قال فتبسم ابو يوسف وتمثل
ببيتين للخطفي جد جرير

عجبت لازرا العيي بنفسه وصمت الذي بالعلم كان اعلما
وفي الصمت ستر للعيي وانما صحيفة لب المرا ان يتكلما

ومما اطرفك به اني كنت يوما في مجلس وانا مقبل على تدريس اصحابي
اذ دخل شيخ مسن قد ناهز الثمانين او جاوزها فقال قد قصدتك
بمسله اخترتك لها فقلت سل عافاك الله وظننته يسل عن حادث قد
نزل به فقال اخبرني عن نجم ابليس ونجم ادم فان هذين
لعظم شانهما لا يسل عنهما الا العلما الدين فعجبت ومن في مجلسي من سواله
وبدر اليه منهم بالانكار قوم فكففتهم وقلت هذا لا يقنع مع ما ظهر
من حاله الا الجواب مثله فاقبلت عليه وقلت يا هذا ان المنجمين
يزعمون ان نجوم الناس لا تعرف الا بمعرفة مواليدهم فان ظفرت بمن
يعرف ذلك فاسله يخبرك فاقبل علي وقال جزاك الله خيرا ثم انصرف
مسرورا فلما كان بعد ايام عاد وقال ما عرفت الى وقتي هذا من يعرف
مولد هذين فانظر الى هاولا كيف ابان الكلام عن جهلهم واعرب
عن بعضهم اذ لم يكن لهم داعي اليه ولا روية فيما تكلموا به ولو صدر عن
روية ودعا اليه داع لسلموا من شينه وبروا من عيبه ولذلك قال

النبي صلى الله عليه وسلم لسان العاقل من وراء قلبه فان اراد الكلام رجع الى قلبه فان كان له تكلم وان كان عليه امسك وقلب الجاهل من وراء لسانه يتكلم بكل ما عرض له وقال عمر ابن عبد العزيز من لم يعد كلامه من عمله كثرت خطاياه وقال بعض الحكما عقل المرء مخبوء تحت لسانه وقال بعض البلغا احبس لسانك قبل ان يطيل حبسك او يتلف نفسك فلا شي اولى بطول حبس من لسان يقصر عن الجواب ويسرع الى الصواب وقال ابو تمام الطائي

ومما كانت الحكما قالت لسان المرء من خدم الفؤاد

وكان بعض العلما يحسم الرحمه في الكلام ويقول اذا جالست الجهال فانصت لهم واذا جالست العلما فانصت لهم فان في انصاتك عن الجهال زيادة في الحلم وفي انصاتك للعلما زياده في العلم واما الشرط الثاني وهو ان يأتي الكلام في موضعه فان الكلام في غير حينه لا يقع موقع الانتفاع به وما لا ينفع من الكلام فقد تقدم القول بانه هذيان وهجر فان قدم ما يقتضي التاخير كان عجله وخرقا وان اخر ما يقتضي التقديم كان توانيا وعجزا لان لكل مقام قولا وفي كل زمان عملا وقد قال الشاعر

نضع الحديث على مواضعه وكلامنا من بعده نزر

واما الشرط الثالث وهو ان يقتصر منه على قدر حاجته فان الكلام

اذا

اذا لم ينحصر بالحاجه ولم يتقدر بالكفايه لم يكن لحده غايه ولا لقدره نهايه وما لم يكن من الكلام محصورا كان اما حصرا ان قصر او هذرا ان كثر وروي ان اعرابيا تكلم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وطول فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم دون لسانك من حجاب فقال شفتاي واسناني قال فان الله تعالى يكره الانبعاق في الكلام فنضر الله وجه امرء اوجز في كلامه واقتصر على حاجته وحكي ان بعض العلما راي رجلا يكثر الكلام ويقل السكوت فقال ان الله تعالى انما خلق لك اذنين ولسانا واحدا ليكون ما تسمعه ضعف ما تتكلم به وقال بعض الحكما من كثر كلامه كثرت اثامه وقال ابن مسعود انذركم فضول المنطق وقال بعض البلغا كلام المرء بيان فضله وترجمان عقله فاقصره على الجميل واقتصر منه على القليل واياك وما يسخط سلطانك او يوحش اخوانك فمن اسخط سلطانه تعرض للمنيه ومن اوحش اخوانه تبرا من الحريه وقال بعض الشعراء

وزن الكلام اذا نطقت فانما يبدي عيوب ذوي العقول المنطق

ولمخالفه قدر الحاجه من الكلام حالتان تقصير يكون حصرا وتكثير يكون هذرا وكلاهما شين وشين الهذر اشنع وربما كان في الغالب اخوف قال النبي صلى الله عليه وسلم وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم

الاحصا بدا السنتهم وقال بعض الحكما مقتل الرجل بين فكيه
وقال بعض البلغا الحصر خير من الهذر لان الحصر يضعف الحجه
والهذر يتلف المهجه وقال بعض الشعراء
• رايت اللسان على اهله اذا ساسه الجهل ليثا مغيرا • وقال آخر
• ويارب السنه كالسيوف تقطع اعناق اصحابها •
• وما ينقص من شباب الرجال يزد في نهاها والبابها •
وقد ذهب بعضهم الى ان الكلام اذا كثر عن قدر الحاجه وزاد على
حد الكفايه وكان صوابا لا يشوبه خطل وسليما لا يعتوره زلل
فهو البيان والسحر الحلال وقال سليمن ابن عبد الملك وقد ذم
الكلام في مجلسه كلا ان من تكلم فاحسن قدر على ان يسكت فيحسن
وليس كل من سكت فاحسن قدر على ان يتكلم فيحسن ووصف بعضهم الكاتب
فقال الكاتب لمن اخذ شبرا هاه وان اخذ طومارا املاه وانشد بعضهم
في خطباء اياده يرمون بالخطب الطوال وتاره وحي الملاحظ خيفة الرقباء
وقال الهيثم ابن صالح لابنه يا بني اذا اقللت من الكلام اكثرت من
الصواب قال يا ابتي فان انا اكثرت واكثرت يعني كلاما وصوابا
قال يا بني ما رايت موعوظا احق بان يكون واعظا منك وانشد
لابي الفتح البستي نظم • وسدد ما استطعت فانما كلامك حي والسكوت جماد
فان

• فان لم تجد قولا سديدا تقوله فصمتك عن غير السداد سداد •
وقيل لاياس ابن معويه ما فيك عيب الا كثرة الكلام قال افتسمعون
صوابا ام خطا قالوا بل صوابا قال فالزياده من الخير خير قال ابو
عثمن الجاحظ وليس كما قال للكلام غايه ولنشاط السامعين نهايه
وما فضل عن مقدار الاحتمال ودعا الى الاستثقال والملال
فذلك الفاضل هو الهذر وصدق ابو عثمن لان الاكثار منه وان
كان صوابا فانه يمل السامع ويكل الخاطر فهو صادر عن اعجاب
به لولاه لاقصر عنه ومن اعجب بكلامه استرسل فيه والمسترسل
في كلامه كثير الزلل دايم العثار قال بعض الحكما من اعجب
بقوله اصيب بعقله وليس للمكثر الهذر رجا يقابل به خوفه ولا
نفع يوازي ضرره لانه يخاف من نفسه الزلل ومن سامعه السامه
والملل وليس في مقابله هذر حاجه داعيه ولا نفع مرجو وقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ابغضكم الي المتفيهق المكثار
والملح المهدار وسال رجل حكيما فقال متى اتكلم قال اذا اشتهيت
الصمت قال فمتى اصمت قال اذا اشتهيت الكلام وقال جعفر ابن يحيى
اذا كان الايجاز كافيا كان الاكثار عيا واذا كان الاكثار واجبا
كان التقصير عجزا وقيل في منثور الحكم اذا تم العقل نقص الكلام .

وقال بعض الادبا من طال صمته اجتلب من الهيبه ما ينفعه
ومن الوحشه ما لا يضره وقال بعض البلغا عي تسلم به خير من
نطق تندم عليه فاقتصر من الكلام على ما يقيم حجتك ويبلغ حاجتك
واياك وفضوله فانها تزيل القدم وتورث الندم وقال بعض الفصحاء
العاقل ملجم اذا هم بالكلام احجم والجاهل مطلق كلما شا انطلق
وقال بعض الشعراء ان الكلام يعز القوم خلوته حتى يلجج به عي واكثار
واما الشرط الرابع وهو اختيار اللفظ الذي يتكلم به فلان اللسان
عنوان الانسان يترجم عن مجهوله ويبرهن عن فضوله فلزمه ان
يكون بتهذيب الفاظه حريا وبتقويم لسانه مليا وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لعمه العباس يعجبني جمالك قال وما
جمال الرجل قال لسانه وقال خالد بن صفوان ما الانسان لولا
اللسان الا بهيمه مهمله او صوره ممثله وقال بعض الحكما اللسان
وزن الانسان وقال بعض الادبا كلام المرا وافد ادبه وقال
بعض البلغا يستدل على عقل الرجل بقوله وعلى اصله بفعله وقال
بعض الشعراء وان لسان المرا ما لم يكن له حصاة على عوراته لدليل
وليس يصح اختيار الكلام الا لمن اخذ نفسه بالبلاغه وكلفها لزوم
الفصاحه حتى يصير متدربا بها معتادا لها فلا يأتي الكلام مستكره

اللفظ

اللفظ ولا مختل المعنى لان البلاغه ليست على معاني مفرده ولا الفاظ
غريبه وانما البلاغه ان تكون المعاني الصحيحه مستودعه في الفاظ
فصيحه فتكون فصاحة الالفاظ مع صحه المعاني هي البلاغه وقد
قيل لليوناني ما البلاغه قال اختيار الكلام وتصحيح الاقسام وقيل
للرومي فقال حسن الاقتصاد عند البديهه والغزاره يوم الاطاله وقيل
للهندي فقال معرفه الفصل من الوصل وقيل للمغربي فقال حسن ايجازه
وقل مجازه وقيل للبدوي فقال ما دون السحر وفوق الشعر يفت الخردل
ويحط الجندل وقيل للحضري فقال ما كثر اعجازه وتناسبت صدوره واعجازه
وقال ابن المقفع البلاغه قله الحصر والجراه على البشر وسيل الحجاج ابن
القبعثري عن الايجاز فقال ان تقول فلا تبطي وان تصيب فلا تخطي ثم
قال واقلني قال قد فعلت قال هو ان لا تبطي ولا تخطي وقال الشاعر

خير الكلام قليل على كثير دليل
والعي معنى قصير يحويه لفظ طويل
وفي الكلام فضول وفيه قال وقيل

فاما صحه المعاني فتكون من ثلثه اوجه احدها ايضاح تفسيرها
حتى لا تكون مشكله ولا مجهوله والثاني استيفا تقسيمها حتى لا يدخل فيها
ما ليس منها ولا يخرج عنها ما هو منها والثالث صحه مقابلاتها والمقابله تكون

من وجهين احدها مقابله المعنى بما يوافقه وحقيقه هذا المقاربه
لان المعاني نصير مشاكله والثاني مقابلته بما يضاده وهو حقيقه
المقابله وليس بالمقابله الا احد هذين الوجهين الموافقه في
الايتلاف والمضاده مع الاختلاف واما فصاحه الالفاظ فتكون
من ثلثه اوجه احدها مجانبه الغريب الوحشي حتى لا يمجه سمع
ولا ينفر منه طبع والثاني تنكب اللفظ المستبذل والعدول عن
الكلام المسترذل حتى لا يستسقطه خاص ولا ينبوا عن فهمه عام كما
قال الجاحظ في كتاب البيان اما انا فلم ار قوما امثل طريقه في البلاغه
من الكتاب وذلك انهم قد التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متوعرا
وحشيا ولا ساقطا عاميا والثالث ان يكون بين الالفاظ ومعانيها
مناسبة ومطابقة اما المطابقه فهو ان يكون الالفاظ كالقوالب
لمعانيها فلا تزيد عليها ولا ينقص عنها وقد قال بشر ابن المعتمر في وصيته
في البلاغة اذا لم تجد اللفظه واقعه موقعها ولا صايرة الي مستقرها
ولا حاله في مركزها بل وجدتها قلقه في مكانها نافره في موضعها
فلا تكرهها على القرار في غير موضعها فانك ان لم تتعاط قريض الشعر
الموزون ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور لم يعبك بترك ذلك
احد فاذا انت تكلفتهما ولم تكن حاذقا فيهما عابك من انت اقل عيبا منه
وازري

وازري عليك من انت فوقه واما المناسبه فهو ان تكون المعنى يليق
ببعض الالفاظ اما لعرف مستعمل او لاتفاق مستحسن حتى اذا ذكرت
تلك المعاني تغير بتلك الالفاظ كانت نافره عنها وان كانت افصح
واوضح لاعتيادها سواها وقد قال بعض البلغا لا تكون البليغ بليغا
حتى يكون معنى كلامه اسبق الي فهمك من لفظه الي سمعك فاما معاطاه
الاعراب وتجنب اللحن فانما هو من صفات الصواب والبلاغه اعلى
منه رتبه واشرف منزله وليس لمن لحن في كلامه مدخل في الادب فضلا
ان يكون في عداد البلغاء الفصحا واعلم ان للكلام اداباً ان اغفلها
المتكلم اذهب رونق كلامه وطمس بهجه بيانه ولها الناس عن محاسن
فضله بمساوي ادبه وعدلوا عن نشر مناقبه بسوء مثالبه فمن ادابه
ان لا يتجوز في مدح ولا يسرف في ذم وان كانت التراهه عن الذم كرما
والتجوز في المدح ملق يصدر عن مهانه والسرف في الذم انتقام يصدر
عن شر وكلاهما شين وان سلم من الكذب روي انه لما قدم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد تميم سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابن الاهتم عن قيس ابن عاصم فمدحه فقال قيس والله يا رسول الله
لقد علم اني خير مما وصف ولكنه حسد في قدمه عمرو فقال يا رسول
الله لقد صدقت في الاولى وما كذبت في الاخرى لاني رضيت في الاولى

فقلت احسن ما علمت وسخطت في الاخرى فقلت اقبح ما علمت فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا على ان السلامة من الكذب
في المدح والذم متعذر لا سيما اذا مدح تقربا وذم حنقا حكي عن
الاحنف ابن قيس انه قال سهرت ليلة افكر في كلمة ارضي بها سلطاني
ولا اسخط بها ربي فما وجدتها وقال عبد الله ابن مسعود ان الرجل
ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج وما معه دينه قيل وكيف
ذلك قال يرضيه بما يسخط الله تعالى وسمع ابن الرومي رجلا يصف
رجلا ويبالغ في مدحه فانشا يقول

اذا ما وصفت امرا لامرئ فلا تغل في وصفه واقصد
فانك ان تغل تغل الظنون فيه الى الامد الابعد
فيضأل من حيث عظمته لفضل المغيب على المشهد

ومن ادابه ان لا تبعثه الرغبة ولا الرهبة على الاسترسال في وعد
او وعيد يعجز عنهما ولا ينفذ على الوفاء بهما فان من اطلق بهما لسانه
وارسل فيهما عنانه ولم يستثقل من القول ما يستثقله من العمل صار
وعده نكثا ووعيده عجزا وقد حكي عن سليمن ابن داود انه سمع عصفورا
يدور حول عصفورة فقال لاصحابه هل تدرون ما يقول لها قالوا لا يا
نبي الله قال انه يخطبها الى نفسه وهو يقول زوجيني نفسك اسكنك
اي

اي غرف شيث من دمشق قال سليمن وكذب العصفور غرف دمشق
مبنية بالصخر لا يقدر ان يسكنها هناك ولكن كل خاطب كذاب ومن
ادابه انه اذا قال قولا حققه بفعله واذا تكلم بكلام صدقه بعمله فان
ارسال القول اختيار والعمل به اضطرار ولان يفعل ما لم يقل اجمل من ان
يقول ما لا يفعل وقد قال بعض الحكماء احسن الكلام ما لا يحتاج فيه الى الكلام
ان يكتفي بالفعل من القول وقال محمود الوراق القول ما صدقه الفعل
والفعل ما وكده العقل لا يثبت القول اذا لم يكن يقله من تحته الاصل ومن
ادابه ان يراعي مخارج كلامه بحسب مقاصده واغراضه فان كان ترغيبا قرنه
باللين واللطف وان كان ترهيبا قرنه بالخشونة والعنف فان لين اللفظ في
الترهيب وخشونته في الترغيب خروج عن موضعهما وتعطيل للمقصود
بهما فيصير الكلام لغوا والغرض المقصود لهوا وقال ابو الاسود الدؤلي
لابنه يا بني اذا كنت في قوم فلا تتكلم بكلام من هو فوقك فيمقتوك ولا
بكلام من هو دونك فيزدروك ومن ادابه ان لا يرفع بكلامه صوتا
مستكرها ولا ينزعج له انزعاجا مستهجنا وليكف عن حركة تكون طيشا
وعن اشارة تكون عيا فان نقص الطيش اكثر من فضل البلاغة وقد
حكي عن الحجاج انه قال لاعرابي اخطيب انا قال نعم لولا انك تكثر

الرد ونبتدي بالحمد وتقول اما بعد ومن ادابه ان يتجافى في هجر القول
ومستقبح الكلام وليعدل الى الكناية عما يستقبح صريحه ويستهجن فصيحه
ليبلغ الغرض ولسانه نزه وادبه مصون وقال محمد ابن علي في تاويل قوله
تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما قال كانوا اذا ذكروا الفروج كنوا عنها
وكما انه يصون لسانه عن ذلك فهكذا يصون سمعه عنه ولا يسمع خنا ولا يصغي
الى فحش فان سماع الفحش داع الى اظهاره وذريعة الى اكثاره واذا وجد عن
الفحش معرضا كف قايله وكان قايله احد الشريرين كما ان سامعه احد المغتابين
انشدني ابو الحسن ابن ابي الحرب الهاشمي لنفسه

وسمعك صن عن سماع القبيح ... كصون اللسان عن النطق به
فانك عند استماع الحديث ... شريك لقايله فانتبه

ومما يجري مجرى فحش القول وهجره في وجوب اجتنابه ولزوم تنكبه ما
كان شنيع البديهة مستنكر الظاهر وان كان مع التامل سليما وبعد الكشف
والروية مستقيما كالذي رواه الازدي عن الصولي لبعض المتكلفين
من الشعراء: امتي شيخ كبير كافر بالله سيري ... انت ربي والهي رازق الطفل الصغير
يريد بقوله كافر اي لابس لان الكفر التغطية ولذلك سمي الكافر بالله
ان يستر وقوله انت ربي يعني تربيني ولذلك من التربية والهي رازق
الطفل

الطفل الصغير كما انه رازق الجلد الكبير فانظر الى هذا التكلف
الشنيع والتعسف البشع اما اعتاض من قبح البديهة اذا سلم بعد الفكر
والروية الا لوما ان حسن فيه الظن او ذما ان قوي فيه الارتياب
ولقل ما يكون ذلك الا من خليع بطر او متريب اشر فاما الحديث
المروي عن رسول الله (النبي) صلى الله عليه وسلم انه قال لا تصلوا على
النبي فخارج عن هذا النوع من التلبيس وفي تاويله وجهان احدهما
انه اراد النهي عن الصلاة في الكلام المرتفع المحدودب ماخوذ من
النبوة والثاني انه اراد الطريق ومنه سمي رسل الله الانبيا لانهم
الطريق اليه وانما زال عنه التلبيس اذ قاله النبي صلى الله عليه وسلم
وان كان من قول غيره تلبيسا شنيعا لان موضع خطابه وشواهد احواله
يصرفان كلامه عن الظنون والاسترسال في امر او نهي الى ما يجوز ان
يرد به شرع وينهى عنه نبي وليس يمتنع ذلك في غيره فلذلك ما
افترق وجوده منه ومن غيره ومن ادابه ان يجتنب امثال العامة
والغوغا ويتخصص بامثال العلما والادبا فان لكل صنف من الناس
امثالا تشاكلهم فلا تجد لساقط الامثال ساقطا وتشبيها مستقبحا
وقد قال الصنوبري

وللساقط امثال فيها تمثلهم لذي الشيء المريب

اذا ما كنت ذا بول صحيح الا فاضرب به وجه الطبيب
ولذلك علتان احداهما ان الامثال من هواجس الهمم وخطرات
النفوس فلم يكن لذي الهمة الساقطة الا الامثال المرذولة وتشبيها معلولا
والثاني ان الامثال مستخرجة من احوال المتمثلين بها فبحسب ما هم عليه
يكون امثالهم فلهاتين العلتين ما وقع الفرق بين امثال الخاصة والعامة
وربما الف المتخصص مثلا عاميا وتشبيها ركيكا لكثرة ما يطرق سمعه من مخالطة
الارذال فيسترسل في ضربه مثلا فيصير به في الناس مثلا كالذي حكي
عن الاصمعي ان الرشيد سأله يوما عن انساب بعض العرب فقال على
الخبير سقطت يا امير المومنين فقال له الربيع اسقط الله حشك اتخاطب
امير المومنين بمثل هذا الخطاب وكان الربيع قليل العلم اعرف بما يستعمل
من الكلام في محاورة الخلفاء من الاصمعي الذي هو واحد عصره وفريد
دهره وللامثال في الكلام مواقع في الاسماع وتاثير في القلوب لا
يكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها ولا يؤثر تاثيرها لان المعاني بها لائحة
والشواهد بها واضحة والنفوس بها واثقة والعقول لها موافقة
ولذلك ضرب الله سبحانه لها الامثال في كتبه وجعلها من دلايل
رسله واوضح بها الحجة على خلقه لانها في العقول معقولة وفي القلوب
مقبولة ولها اربعة شروط احدها صحة التشبيه واصابة التمثيل والثاني
ان

ان يكون العلم بها سابقا والكل عليه موافقا والثالث ان يسرع وصولها
الي الفهم ويتعجل تصورها في الوهم من غير ارتياء في استخراجها ولا كد
فكر في استنباطها والرابع ان يكون حال السامع ابلغ تاثيرا واحسن
موقعا فاذا اجتمعت للامثال المضروبة هذه الشروط الاربعة كانت
زينة الكلام وجلاء المعاني وتدبر الافهام

الفصل الثاني في الصبر والجزع

اعلم ان من حسن التوفيق
وامارات السعادة الصبر في الملمات والرفق عند النوازل بذلك نزل
الكتاب وجاءت السنة قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اصبروا
وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون يعني اصبروا على ما
افترض الله تعالى عليكم وصابروا عدوكم ورابطوا فيه تاويلان
احدهما ورابطوا على الجهاد والثاني ورابطوا على انتظار الصلوات
روي ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ادلكم
على ما يحط الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله
قال اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا الي المساجد وانتظار الصلوة
بعد الصلاة فذلكم الرباط فنزل الكتاب بتاكيد الصبر فيما امر به وندب
اليه وجعله من عزائم التقوى فيما افترضه وحث عليه وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر ستر من الكروب وعون على الخطوب

وقال علي ابن ابي طالب عليه السلام الصبر مطيه لا تكبوا والقناعه
سيف لا ينبوا وقال عبد الحميد لم اسمع اعجب من قول عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه لو ان الصبر والشكر بعيران ما باليت ايهما ركبت وقال
عبد الله ابن عباس افضل العدة الصبر على الشدة وقال بعض البلغاء
من خير خلالك الصبر على اختلالك وقيل في منثور الحكم من احب البقا
فليعد للمصايب قلبا صبورا وقال بعض الحكما بالصبر على مواقع الكره
تدرك الحظوط وقال بعض الشعراء وهو عبيد الله ابن الابرص

صبر النفس عند كل ملم ان في الصبر حيله المحتال

لا تضيقن في الامور فقد يكشف غماوها بغير احتيال

ربما تجزع النفوس من الامر لها فرجه كحل العقال

وقال ابن المقفع في كتاب اليتيمه الصبر صبران فاللئام اصبر
اجساما والكرام اصبر نفوسا وليس الممدوح صاحبه ان يكون الرجل قوي
الجسد على الكد والعمل لان هذا من صفات الحمير ولكن ان يكون
للنفس غلوبا وللامور محتملا ولجاشه عند الحفاظ مرتبطا واعلم ان
الصبر على سته اقسام وهو في كل قسم منها محمود فاول اقسامه واولاه
الصبر على امتثال ما امر الله تعالى به والانتها عما نهى الله عنه لان
به تخلص الطاعه وبخلوص الطاعه يصح الدين وتؤدى الفرايض

ويستحق

ويستحق الثواب كما قال في محكم الكتاب انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم الصبر
من الايمان بمنزله الراس من الجسد وليس لمن قل صبره على طاعة
الله حظ من بر ولا نصيب في صلاح ولمن لم ير لنفسه صبرا يكسبها
ثوابا ويدفع عنها عقابا كان مع سو الاختيار بعيدا من الرشاد حقيقا
بالضلال وقد قال الحسن البصري يا من يطلب من الدنيا ما لا يلحقه
اترجوا ان تلحق من الاخره ما لا تطلبه وقال ابو العتاهيه

اراك امرا ترجوا من الله عفوه وانت على ما لا يحب مقيم

تدل على التقوى وانت مقصر فيا من يداوي الناس وهو سقيم

وهذا النوع من الصبر انما يكون لفرط الجزع وشدة الخوف فان من
خاف الله تعالى صبر على طاعته ومن جزع من عقابه وقف على
اوامره والقسم الثاني الصبر على ما تقضى وفاته من رزقه قد
اجهده الحزن عليها او حادثه قد استكده الكد والهم بها فان الصبر عليها
يعقبه الراحه منها ويكسبه المثوبه بها فان صبر طايعا والا احتمل هما
لازما وصبر كارها آثما وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول
الله تعالى من لم يرض بقضاي ويصبر تحت بلاي فليختر ربا سواي
وقال علي ابن ابي طالب عليه السلام للاشعث ابن قيس انك ان

صبرت جرى عليك القلم وانت ماجور وان جزعت جرى عليك القلم
وانت مازور وقد ذكر ذلك ابو تمام في شعره فقال

وقال علي في التعازي لاشعث وخاف عليه بعض تلك المآثم
اتصبر للبلوى عزاء وحسبة فتوجر او تسلو سلو البهائم

وقال شبيب ابن شيبة للمهدي ان احق ما صبر عليه ما لم نجد سبيلا
الى دفعه وانشد واذا يصبك مصيبة فاصبر لها عظمت مصيبة مبتلا لا يصبر

والقسم الثالث الصبر على ما فات ادراكه من رغبة مرجوة واعوز
نيله من مشتهى مأمول فان الصبر عنها يعقب السلو منها والاسف بعد الياس
حرق ٥ وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اعطي فشكر
ومنع فصبر وظلم فغفر وظلم فاستغفر اولئك لهم الامن وهم مهتدون
وقال بعض الحكماء اجعل ما طلبته من الدنيا فلم تنله مثل ما لم يخطر
ببالك ولم تنله وقال بعض الشعراء

اذا ملك القضاء عليك امرا فليس يحله غير القضاء
فما لك والمقام بدار ذل ودار العز واسعة الفضاء

وقال بعض الحكماء ان كنت تجزع على ما فات من يدك فاجزع على ما لم
يصل اليك فاخذه بعض الشعراء فقال

لا تطل الحزن على فائت فقل ما يجدي عليك الحزن

سيان

سيان محزون على فائت ومضمر حزنا لما لم يكن

والقسم الرابع الصبر فيما يخشى حدوثه من رهبة يخافها او يحذر حلوله
من نكبة يخشاها فلا يتعجل هم ما لم يات فان اكثر الهموم كاذبة والاغلب
من الخوف مدفوع وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
بالصبر يتوقع الفرج ومن يدمن قرع الابواب يلج ٥ وقال الحسن البصري
لا تحمل على يومك هم غدك فحسب كل يوم همه وانشد الجاحظ
لحارثة ابن بدر ٥ اذا الهم امسى وهو داء فامضه ولست بممضيه وانت تعادله

ولا تنزلن امرة شديدة بامرئ اذا هم امرا عوقته عواذله
وقل للفؤاد ان نزى بك نزوة من الروع افرح اكثر الهم باطله

والقسم الخامس الصبر فيما يتوقعه من رغبة يرجوها وينتظر من
نعمة يأملها فانه ان ادهشه التوقع لها واذهله التطلع اليها انسدت
عليه سبل المطالب واستفزه تسويل المطامع وكان ابعد لرجائه
واعظم لبلائه واذا كان مع الرغبة وقورا وعند الطلب صبورا انجلت
عنه عماية الدهش وانجابت عنه حيرة الوله فابصر رشده وعرف
قصده وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر ضيا
يعني والله اعلم انه يكشف ظلم الحيرة ويوضح حقائق الامور ٥
وقال اكثم ابن صيفي من صبر ظفر وقال ابن المقفع في قصار

مكتوب الصبر مفتاح الدرك وقال بعض الحكما تحسن التأني تستسهل
المطالب وقال بعض البلغا من صبر نال المنى ومن شكر حصن النعما
وقال محمد ابن بشير شعر

ان الامور اذا اشتدت مطالبها فالصبر يفتق منها كلما ارتتجا
لا تيأس وان طالت مطالبه اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا
اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته ومدمن القرع للابواب ان يلجا

والقسم السادس الصبر على ما نزل من مكروه او حل من مخوف وبالصبر
على هذا ينفتح وجوه الآرا وتستدفع مكايد الاعدا فان من قل صبره
عزب رايه واشتد جزعه فصار صريع همومه وفريسة غمومه وقد
قال الله تعالى واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور
وروي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان استطعت
ان تعمل لله بالرضي واليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر فان في الصبر
على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب واليسر
مع العسر وقال علي ابن ابي طالب عليه السلام الصبر مناضل الحدثان
والجزع من اعوان الزمان وقال بعض الحكما بمفتاح عزيمة الصبر
تعالج مغاليق الامور وقال بعض البلغا عند اشتداد الفرج تبدوا
مطالع الفرج روي عن ابن عباس ان سليمن ابن داود لما استكد
شياطينه

شياطينه في البنا شكوا ذلك الي ابليس فقال الستم تذهبون فرغا
وترجعون مشاغيل قالوا بلى قال ففي هذا راحة قال فبلغ ذلك
سليمن فشغلهم ذاهبين وراجعين فشكوا ذلك الي ابليس فقال الستم
تستريحون بالليل قالوا بلى قال ففي هذا راحة لكم نصف دهركم
فبلغ ذلك سليمن فاشغلهم بالليل والنهار فشكوا ذلك الي ابليس لعنه الله
فقال الآن جاكم الفرج فما لبثوا ان اصيب سليمن عليه السلام ميتا على
عصاه واذا كان هذا في نبي من انبيا الله تعالى يعمل بامره ويقف
على حده فكيف بما جرته الاقدار من ايد عاديه وساقه القضا من
حوادث نازله هل تكون مع التناهي الا منقرضه وعند بلوغ الغايه
الا منحسمه وانشد بعض الادبا لعمر ابن عثمان رحمه الله عليه

خليلي لا والله لا من ملمة تدوم على حي وان هي جلت
وان نزلت يوما فلا تخضعن لها ولا تكثر الشكوى اذا النعل زلت
فكم من كريم قد بلي بنوايب فصابرها حتى مضت واضمحلت
وكم غمرة هاجت بامواج غمرة تلقيتها بالصبر حتى تجلت
وكانت على الايام نفسي عزيزة فلما رات صبري على الذل ذلت

وتسهيل المصايب وتخفيف الشدايد اسباب اذا قارنت حزما وصادفت
عزما هان وقعها وقل تاثيرها وضررها فمنها اشعار النفس

بما نعلمه من طول الفنا وتقضي المسار وان لها اجالا منصرمة ومددا منقضية
اذ ليس للدنيا حال تدوم ولا المخلوق فيها بقا روي ابن مسعود عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب
مال الى ظل شجرة في يوم صايف ثم راح وتركها وسيل علي ابن ابي
طالب عليه السلام عن الدنيا فقال تغر وتضر وتمر وقال عمر ابن
عبد العزيز الدنيا امد والاخرة امدد وقال ابو شروان ان
احببت ان لا تغتم فلا تقتني واخذه بعض الشعراء فقال

الم تر ان الدهر من سوء طبعه يكدر ما اعطى ويسلب ما اسدى
فمن سره ان لا يرى ما يسوءه فلا يتخذ شيا يبالي به فقدا

وانشد بعض الحكماء شعرا

لحكيمنا بقراط خير قضية ووصية تنفي الهموم والكدا
قال الهموم تكون من طمع الورى من ليث فما في طبعه ان تشعدا
فاذا اقتنيت من الزجاجة فابلا للكسر فانكرت فلا تك مكمدا

وانشدني بعض اهل العلم لسعيد ابن مسلم

انما الدنيا هبات وعواري مسترده
شدة بعد رخا ورخا بعد شده

ولما قتل بزرجمهور وجد في زر قميصه رقعة فيها مكتوب اذا لم يكن جد
فنعم

فنعم الكد واذا لم يكن للامر دوام فنعم السرور واذا لم يرد الله تعالى دوام
ملك فنعم الحيلة وقال ابن الرومي

رايت حياة المرء رهنا لموته وصحته رهنا لذلك بالسقم
اذا طاب لي عيش تنغص طيبه بصدق يقيني ان سيذهب كالحلم
ومن يك في عيش يراعي زواله فذلك في بوس وان كان في نعم

ومنها ان يتصور انجلا الشدايد وانكشاف الهموم وانها تتقدر باوقات
لا تنصرم قبلها ولا تستديم بعدها ولا تقصر بجزع ولا تطول بصبر
وان كل يوم يمر بها فهو يذهب منها بشطر وياخذ منها بنصيب حتى
تنجلي وهو عنها غافل حكي ان الرشيد حبس رجلا ثم سال عنه بعد
زمان فقال للموكل قل له كل يوم تمضي من نعيم يمضي من بوسي
مثله والامر قريب والحكم الله فاخذ هذا المعنى بعض الشعراء
فقال

لو ان ما انتم فيه يدوم لكم ظننت ما انا فيه دايما ابدا
لكنني عالم باني وانكم سنستجد خلاف الحالتين غدا

وانشد لبعض الشعراء

عواقب مكروه الامور خيار وايام شر لا تدوم قصار
وليس بباق بوسها ونعيمها اذا كر ليل ثم كر نهار

وانشد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حين حضرته الوفاه

الم تر ان ربك ليس تحصى اياديه الحديثة والقديمه
تسل عن الهموم فليس شي بمقيم ولا همومك بالمقيمه
لعل الله ينظر بعد هذا اليك بنظرة منه رحيمه

ومنها ان يعلم ان فيما وقي من الرزايا وكفي من الحوادث ما هو اعظم من رزيته واشد من حادثته ليعلم انه ممنوح بحسن الدفاع ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى في اثنا كل محنة منحة وقيل للشعبي في نايبة كيف اصبحت فقال بنعمتين خير منشور وشر مستور وقال بعض الشعراء

لا تكره المكروه عند حلوله ان العواقب لم تزل متباينة
كم نعمة لا تستقل بشكرها لله في طي المكاره كامنة

ومنها ان يتاسى بذوي الغير ويتسلى باولي العبر ويعلم انهم الاكثرون عددا والاسرعون مددا فيستجد من سلوة الاسى وحسن العزا ما تخفف شجوه ويقلل هلعه وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه المعزوا بذوي الغير تتسع قلوبكم على مثل ذلك كان مراثي الشعرا حتى قال البحتري

فلا عجب للاسد ان ظفرت بها كلاب الاعادي من فصيح واعجم
فحربة وحشي سقت حمزة الردى وموت علي من حسام ابن ملجم

وقال ابو نواس في المراثي

مصايب لا تنقضي حتى يرى شخصه في رمسه
فموجل يلقى الردى في اهله ومعجل يلقى الردى في نفسه

ومنها

ومنها ان يعلم ان النعمة زايرة وانها لا محالة زايلة وان السرور بها اذا اقبلت مشوب بالحذر من فراقها اذا ادبرت وانها لا تفرح باقبالها فرحا حتى تعقب بفراقها ترحا فعلى قدر السرور يكون الحزن وقد قيل في منثور الحكم المفروح به هو المحزون عليه وقيل من بلغ غاية ما يحب فليتوقع غاية ما يكره وقال بعض الحكما من علم ان كل نايبة الى انقضا حسن عزاوه عند نزول البلاه وقيل للحسن البصري كيف ترى الدنيا فقال شغلني توقع بلايها عن الفرح برخايها فاخذه ابو العناهيه فقال

تزيد الايام اذا اقبلت شدة خوف لتصاريفها
كانها في حال اسعافها تسمعه وقع تخويفها

ومنها ان يعلم ان سروره مقرون بمساءة غيره وحزنه كذلك مقرون بسرور غيره اذ كانت الدنيا تنتقل من صاحب الى صاحب وتصل صاحبا بفراق صاحب فيكون سرورا لمن وصلته وحزنا لمن فارقته ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ما قرعت عصا على عصا الا فرح بها قوم وحزن اخرون وقال البحتري

متى ارت الدنيا نباهة خامل فلا ترتقب الا خمول نبيه

واوضحه المتنبي فقال

بذا قضت الايام ما بين اهلها مصايب قوم عند قوم فوايد
وانشد بعض اهل الادب

الا انما الدنيا غضارة ايكة اذا اخضر منها جانب جف جانب
فلا تحزنن منها لشي تقيله ستذهب يوما مثل ما انت ذاهب
وما هذه الايام الا فجايع وما العيش واللذات الا مصايب

ومنها ان تعلم ان طوارق الانسان من دلايل فضله ومحنه من شواهد
نبله ولذلك احدى علتين اما لان الكمال معوز والنقص لازم فاذا
توفر الفضل عليه صار النقص فيما سواه وقد قيل من زاد في عقله
نقص من رزقه وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال ما انتقصت جارحة من انسان الا كانت ذكا في عقله وقال ابو
العتاهية ما جاوز المرء من اطرافه طرفا الا تخونه النقصان من طرف
وانشد بعض الادبا لابرهيم ابن هلال

اذا اجتمعت بين امرين صناعة فاحبنت ان يدري الذي هو احذق
فلا تتفقدنهما غير ما جرت به لهما الارزاق حين تفرق
فحيث يكون النقص فالرزق واسع وحيث يكون الفضل فالرزق اضيق

واما لان ذا الفضل محسود بالاذى مقصود وهو لا يسلم من
بزة معاد واستطاط مناو وقد قال الصنوبري

محن

محن الفتى تخبرن عن فضل الفتى كالنار مخبرة بفضل العنبر
وقل ما تكون محنة فاضل الا من جهة ناقص ويلوي عالم الا على
يد جاهل لاستحكام العداوة بينهما بالمباينة وحدوث الانتقام
لاجل التقدم وقال الشاعر

فلا غروان يمنى اديب لجاهل فمن ذنب التنين منكسف الشمس

ومنها ان يغتاضه من الارتياض بنوايب عصره ويستفيد من الحنكه
بلوا دهره فيصلب عوده ويستقيم عموده ويحمل بادي شدته
ورخايه فيتعظ خالتي عقوه وبلايه حكى عن ثعلب قال دخلت على
عبيد الله ابن سليمن ابن وهب وعليه خلع الرضا بعد النكبة فلما
مثلت بين يديه قال يا ابا العباس

نوايب الدهر ادبتني وانما يوعظ الاديب
قد ذقت حلوا وذقت مرا كذاك عيش الفتى ضروب
ما مر بوس ولا نعيم الا ولي فيهما نصيب
كذاك من صاحب الليالي في كل خطب له خطوب

قلت لمن هذه الابيات قال لي ومنها ان تختبر امور زمانه وينتبه
على صلاح شانه فلا يغتر برخا ولا يطمع في استوا ولا يامن
ان تبقى الدنيا على حاله او تخلوا من تقلب واستحاله فان من

عرف الدنيا وجرب اهلها هان عليه بؤسها ونعيمها انشد بعض
الادباء ٥ اني رايت عواقب الدنيا فتركت ما اهوى لما اخشى •
• فكرت في الدنيا وما فيها فاذا جميع امورها تفنى •
• وبلوت اكثر اهلها فاذا كل امرء في شانه يسعى •
• اسنى منازلها وارفعها في العز اقربها من المهوى •
• تعفو اساويها محاسنها لا فرق بين النعي والبشرى •
• ولقد مررت على القبور فما ميزت بين العبد والمولى •
• اتراك تدري كم رايت من الاحباب ثم رايتهم موتى •
فاذا ظفر المصاب باحد هذه الاسباب تخففت عنه احزانه وتسهلت
عليه اشجانه فصار وشيك السلوه قليل الجزع حسن العزا وقال
بعض الادبا (الحكماء) من حاذر لم يهلع ومن راقب لم يجزع ومن كان متوقعا
لم يلف متوجعا وقال بعض الشعراء
• ما يكون الامر سهلا كله انما الدنيا سهول وحزون •
• هون الامر تعش في راحة قل ما هونت الا سيهون •
فان اغفل نفسه عن دواعي السلوه ومنعها من اسباب الصبر تضاعف
عليه من شدة الاسى وهم الجزع ما لا يطيق صبرا عليه ولا يجد سلوا
عنه وقال ابن الرومي له شعر

ان

• ان البلا يطاق غير مضاعف فاذا تضاعف صار غير مطاق •
فان ساعد جزعه بالاسباب الباعثه عليه وامد هلعه بالذرايع
الداعيه اليه فقد سعى في حتفه واعان على تلفه فمن اسباب ذلك
تذكر المصاب حتى لا يتناساه وتصوره حتى لا يعزب عنه ولا يجد من التذكار
سلوة ولا يخلط مع التصور تعزية وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
لا تستغزروا الدموع بالتذكر وقد قال الشاعر ٥
• ولا يبعث الاحزان مثل التذكر ٥ ومنها الاسف وشدة الحسرة فلا
يرى من مصابه خلفا ولا يجد لمفقوده بدلا فيزداد بالاسف ولها
وبالحزن هلعا ولذلك قال تعالى لكي لا تاسوا على ما فاتكم ولا
تفرحوا بما اتاكم وقال بعض الشعراء
• إذا ابتليت فثق بالله وارض به ان الذي يكشف البلوى هو الله •
• الياس يقطع احيانا بصاحبه فلا تياسن ان الصانع الله •
• اذا قضى الله فاستسلم لقدرته ما لامرء حيلة فيما قضى الله •
ومنها كثرة الشكوى وبث الجزع فقد قيل في قوله تعالى فاصبر صبرا
جميلا انه الصبر الذي لا شكوى فيه ولا بث روي انس بن
مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما صبر من بث وحكي
عن كعب الاحبار انه مكتوب في التوراة من اصابته مصيبة فشكى

الي الناس فانما يشكو ربه وحكي ان اعرابية دخلت من البادية
فسمعت صوارخ في دار فقالت ما هذا فقيل لها مات لهم ميت فقالت
اراهم الا من ربهم يستغيثون وبقضايه يتبرمون وعن ثوابه يرغبون
وقيل في منثور الحكم من ضاق قلبه اتسع لسانه وانشدني بعض
اهل الادب ٥ العلم شعر

• لا تكثر الشكوي الي الصديق وارجع الي الخالق لا المخلوق
ولا تخرج الغريق بالغريق ٥ وقال بعض الشعراء

• لا تشك دهرك ما صححت به ان الغني هو صحة الجسم •
• هبك الخليفة كنت منتفعا بغضارة الدنيا مع السقم •

ومنها اليأس من خير مصابه ورد طلابه فيقترن بحزن الحادثه قنوط
الاياس فلا يبقي معهما صبر ولا يتسع لها صدر ولذلك قيل المصيبه
بالصبر اعظم المصيبتين وقال ابن الرومي

• اصبري ايتها النفس فان الصبر احجا ربما خاب رجا وانجح ما ليس رجا •

وانشدني بعض اهل الادب

• اتحسب ان البؤس في اليأس دايما ولو دام شيء عده الناس في العجب •
• لقد عرفتك الحادثات نفوسها وقد ادبت ان كان ينفعك الادب •
• ولو طلب الانسان من صرف دهره دوام الذي يخشي لاعياه ما طلب •

ومنها

ومنها ان يعري بملاحظة من حبطت سلامته وحرست نعمته حتي
التحف بالامن والدعة واستمتع بالثروة والسعة ويري انه
قد خص من بينهم بالرزيه بعد ان كان مساويا وافرد بالحادثه
بعد ان كان مكافيا فلا يستطيع صبرا علي بلوي ولا يلتزم شكري
علي نعما ولو قابل بهذه النظرة ملاحظة من شاركه في الرزيه وساواه
في الحادثه لتكافا الامران فهان عليه الصبر وحان منه الفرج
وانشدت لامراة من الاعراب

• ايها الانسان صبرا ان بعد العسر يسرا كم راينا اليوم حرا لم يكن بالامس حرا •
• ملكنا الصبر فاضحي مالكا خيرا وسترا ٥ اشرب الصبر وان كان من الصبر امرا •

وانشد بعض اهل الادب

• يراعي الفتي للخطب تبدو صدوره فياسي وفي عقباه يأتي سروره •
• الم تر ان الليل لما تراكمت دجاه بدا وجه الصباح ونوره •
• فلا تصحبن الناس ان كنت عالما لبيبا فان الدهر شتي اموره •

واعلم انه قل من صبر علي حادثته وتماسك في نكبته الا كان انكشافها
وشيكا وكان الفرج منها قريبا ٥ اخبرني بعض اهل العلم والادب
ان ابا ايوب الكاتب حبس في السجن خمسة عشر سنة حتي ضاقت
حيلته وقل صبره فكتب الي بعض اخوانه يشكو طول حبسه وقلة

صبره فكتب اليه بعض اخوانه

صبراً ابا ايوب صبراً مبرحاً فاذا عجزت عن الخطوب فمن لها

ان الذي عقد الذي انعقدت له عقد المكاره فيك يملك حلها

صبراً فان الصبر يعقب راحه ولعلها ان تنجلي ولعلها

فاجابه ابو ايوب

صبرتني ووعظتني وانا لها وستنجلي لا اقول لعلها

ويحلها من كان صاحب عقدها كرماً به اذ كان يملك حلها

فلم يلبث بعد ذلك في السجن الا اياماً ثم اطلق مكرماً وانشد ابن دريد عن ابي حاتم

اذا اشتملت على الياس القلوب وضاق لما به الصدر الرحيب

واوطنت المكاره واطمأنت وارست في اماكنها الخطوب

ولم تر لانكشاف الضر وجهاً ولا اغنى بحيلته الاريب

اتاك على قنوط منك غوث يمن به القريب المستجيب

وكل الحادثات وان تناهت فموصول بها فرج قريب

الفصل الثالث في المشوره ان من الحزم لكل ذي لب ان لا يبرم امراً الا بمشورة ولا يمضي عزماً الا بمشورة ذي الراي الناصح ومطالعة ذي العقل الراجح فان الله تعالى امر بالمشوره نبيه صلى الله عليه وسلم مع ما تكفل به من ارشاده ووعده به من تاييده فقال وشاورهم في الامر فاذا عزمت قال قتاده امره

نشاورتهم

نشاورتهم تالفاً لهم وتطييباً لانفسهم وقال الضحاك امره نشاورتهم لما علم فيها من الفضل وقال الحسن البصري امره نشاورتهم ليستن به المسلمون ويتبعه فيها المومنون وان كان عن مشورتهم غنياً وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المشاوره حصن من الندامه وامان من الملامه وقال علي ابن ابي طالب عليه السلام نعم الموازره المشاوره وبئس الاستعداد الاستبداد وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الرجال ثلثه رجل ترد عليه الامور فيصدرها برايه ورجل يشاور فيما اشكل عليه وينزل حيث يامره اهل الراي ورجل حاير بامره لا ياتمر رشداً ولا يطيع وقال عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه ان المشوره والمناظره بابا رحمه ومفتاحا بركه لا يضل معهما راي ولا يفقد معهما حزم وقال يوسف ابن اسباط من اعجب برايه لم يشاور ومن استبد برايه كان من الصواب بعيداً وقال عبد الحميد المشاور في رايه ناظر من رايه وقيل في منثور الحكم المشوره راحه لك وتعب على غيرك وقال بعض الحكما الاستشاره عين الهدايه وقد خاطر من استغنى برايه وقال بعض الحكما ما حار من استخار ولا ندم من استشار وقال بعض البلغا من حق العاقل ان يضيف الى رايه راي العقلا ويجمع الى عقله عقول الحكما فالراي الفذ ربما زل والعقل الفرد ربما ضل وقال بشار ابن برد

اذا بلغ الراي المشوره فاستعن براي نصيح او مشوره حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة مكان الخوافي قوة للقوادم

فاذا عزم على المشاوره ارتاد لها من اهلها من قد استكملت فيه خمس خصال
احداهن عقل كامل مع تجربه سالفه فان بكثره التجارب تصح الرويه وقد
روى ابو الزناد عن الاعرج عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال استرشدوا العاقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا وقال عبد الله
ابن الحسن لابنه محمد احذر مشوره الجاهل وان كان ناصحا كما تحذر عداوه
العاقل اذا كان عدوا فانه يوشك ان يورطك بمشورته فيسبق اليك
مكر العاقل وتوريط الجاهل وقيل لرجل من عبس ما اكثر صوابكم قال
نحن الف رجل وفينا حازم ونحن نطيعه فكانا الف حازم وكان يقال
اياك ومشاوره رجلين شاب معجب بنفسه قليل التجارب في غيره او كبير
قد اخذ الدهر من عقله كما اخذ من جسمه وقيل في منثور الحكم كل شي يحتاج
الى العقل والعقل محتاج الى التجارب ولذلك قيل الايام تهتك لك
عن الاسرار الكامنه وقال بعض الحكما التجارب ليست لها غايه
والعاقل منها في زياده وقال بعض البلغا من استعان بذوي العقول
فانه يدرك المامول وقال ابو الاسود الدؤلي

وما كل ذي نصح يوفيك نصحه ولا كل موت نصحه بلبيب

ولكن

ولكن اذا ما استجمعا عند صاحب فحق له من طاعه بنصيب

والخصله الثانيه ان يكون ذا دين وتقى فان ذلك عماد كل صلاح وباب
كل نجاح ومن غلب عليه الدين فهو مامون السريره موفق العزيمه روى
عن عكرمه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
اراد امرا فشاور فيه امرا مسلما وفقه الله لارشد اموره والخصله الثالثه
ان يكون ناصحا ودودا فان النصح والموده يصدقان الفكره ويمحضان
الراي وقد قال بعض الحكما لا تشاور الا الحازم غير الحسود واللبيب
غير الحقود واياك ومشاوره النسا فان رايهن الى الافن وعزمهن الى
الوهن وقال بعض الادباء مشوره المشفق الحازم ظفر ومشوره غير الحازم
خطر وقال بعض الشعراء

صف ضميرا لمن تعاشره واسكن الى ناصح تشاوره

من يكشف الناس لا يجد احدا تصح منهم له سرائره

اوشك ان لا تدوم وصل اخ في كل زلاته تنافره

والخصله الرابعه ان يكون سليم الفكر من هم قاطع وغم شاغل فان من
عارضت فكره شوائب الهموم لم يسلم له راي ولم يستقم له خاطر وقيل
في منثور الحكم بترداد الفكر ينجاب لك العمى وكان كسرى اذا دهمه امر
بعث الى مرازبته فاستشارهم فان قصروا في الراي ضرب قهارمته
وقال ابطاتم بارزاقهم فاخطوا في رايهم وقال صالح ابن عبد القدوس

ولا مشير كذي نصح ومقدره في مشكل الامر فاختر ذاك منتصحا

والخصله الخامسه ان لا يكون له في الامر المستشار غرض يتابعه ولا
هوى يساعده فان الاغراض جاذبه والهوي صاد والراي اذا عارضه
الهوي وجاذبته الاغراض فسد وقال الفضل ابن العباس ابن عتبه
ابن ابي لهب ه وقد يحكم الايام من كان جاهلا ويردي الهوي ذا الراي وهو لبيب
ويحمد في الامر الفتى وهو مخطي ويعذل في الاحسان وهو مصيب
فاذا استكملت هذه الخصال الخمس في رجل كان اهلا للمشوره ومعدنا
للراي فلا تعدل عن استشارته اعتمادا على ما تتوهمه من فضل رايك وثقه
بما تستشعره من صحه رويتك فان راي غير ذي الحاجه اسلم وهو من
الصواب اقرب لخلوص الفكر وخلو الخاطر مع عدم الهوي وارتفاع الشهوه
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال راس العقل بعد
الايمان بالله تعالى التودد الي الناس وما استغنى مستبد برايه
وما هلك احد عن مشوره واذا اراد الله تعالى بعبد هلكه كان اول ما
يهلكه رايه وقال علي ابن ابي طالب عليه السلام الاستشاره عين الهدايه
وقد خاطر من استغنى برايه وقال لقمن لابنه شاور من جرب الامور فانه
يعطيك من رايه ما قام عليه بالغلا وانت تاخذه بالمجان وقال
بعض الحكما نصف رايك مع اخيك فشاوره ليكمل لك الراي وقال بعض

الادبا

الادبا من استغنى برايه ضل ومن اكتفى بعقله زل ه وقال بعض
البلغاء الخطا مع الاسترشاد احمد من الصواب مع الاستبداد وقال بعض
الشعراء ه خليلي ليس الراي في صدر واحد اشيرا علي بالذي تريان
ولا ينبغي ان يتصور في نفسه انه شاور في امر ظهر للناس ضعف رايه وفساد
رويته حتى افتقر الي راي غيره فان هذه معاذير النوكى وليس يراد
الراي للمباهاه وانما يراد للانتفاع بنتايجه والتحرز من الخطا عند
زلله وكيف يكون عارا ما ادي الي الصواب وصد عن خطا وقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المحوا عقولكم بالمذاكره واستعينوا
على اموركم بالمشاوره وقال بعض الحكما من كمال عقلك استظهارك على
عقلك وقال بعض البلغاء اذا اشكل عليك الامور وتغير لك الجمهور
فارجع الي راي العقلاء وافزع الي استشاره العلما ولا تانف
من الاسترشاد ولا تستنكف من الاستمداد فلان تسل وتسلم خير لك من
ان تستبد وتندم ه وينبغي ان تكثر من استشاره ذوي الالباب لا سيما
في الامر الجليل فقل ما يضل عن الجماعه راي او يذهب عنهم صواب
لارسال الخواطر الثاقبه واجاله الافكار الصادقه فلا تعزب عنها
ممكن ولا تخفى عليها جايزه وقد قيل في منثور الحكم من اكثر المشوره
لم يعدم عند الصواب مادحا وعند الخطا عاذرا وان كان الخطا

من الجماعه بعيدًا فاذا استشار الجماعه فقد اختلف اهل الراي
في اجتماعهم عليه وافراد كل واحدٍ منهم به ما قدحه خاطره ونتيجه
فكره حتى ان كان فيه قدح عورض او توجه عليه رد نوقض
كالجدل الذي يكون فيه المناظره وتقع فيه المنازعه والمشاجره
لا يبقى فيه مع اجتماع القرائح عليه خلل فيه الا ظهر ولا زلل
الا بان وذهب غيرهم من اصناف الامم الى ان الاولى استيثار
كل واحدٍ بالمشوره ليجيل كل واحد منهم فكره في الراي طمعًا في الحظوه
بالصواب فان القرائح اذا انفردت استكدها الفكر واستفرغها
الاجتهاد واذا اجتمعت فوضت وكان الاول من يبدا بها متبوعًا
ولكل واحدٍ من المذهبين وجهٌ ووجهُ الثاني اظهر والذي اراه
من الاولى غير هذين المذهبين على الاطلاق ولكن ينظر في الشورى
فان كانت في حالٍ واحدةٍ هل هي صواب ام خطا كان اجتماعهم
عليها اولى لانها تتردد بين امرين فالمراد منه الاعتراض على
فساده او ظهور الحجة من صلاحه وهذا مع الاجتماع ابلغ وعند
المناظره اوضح وان كانت الشورى في خطب قد استبهم صوابه واستعجم
جوابه من امور خافيةٍ واحوالٍ غامضةٍ لم يحصرها عدد ولم يجمعها
تقسيم ولا عرف لها جواب فينكشف عن خطابه وصوابه فاولى في
مثله

مثله انفراد كل واحد فكره وخلوه بخاطره ليجتهد في الجواب ثم
يقع الكشف عنه اخطا هو ام صواب فيكون الاجتهاد في الجواب
منفردًا والكشف عن الصواب مجتمعًا لان الانفراد في الاجتهاد اصح
والاجتماع على المناظره ابلغ فهذا هذا وينبغي ان يسلم اهل الشورى
من حسد او تنافس فيمنعهم من تسليم الصواب لصاحبه ثم يعرض
المستشير ذلك على نفسه مع مشاركتهم في الارتياد والاجتهاد فاذا
تصفح اقاويل جميعهم كشف عن اصولها واسبابها وبحث عن نتائجها
وعواقبها حتى لا يكون في الامور مقلدًا ولا في الراي مفوضًا فانه
يستفيد بذلك مع ارتياضه بالاجتهاد ثلث خصال احداهن معرفه
عقله وصحه رويته والثانيه معرفه عقل صاحبه وصواب رايه
والثالثه وضوح ما استبهم من الراي وانفتاح ما انغلق من الصواب
فاذا تقرر له الراي امضاه ولم ياخذهم بعواقب ما كرا فيه فانما
على الناصح الاجتهاد وليس عليه ضمان النجح لا سيما والمقادير غالبه
ومتى عرف منه تعقب المشير وكل الى رايه ولا يسلم الى نفسه فصار
فردًا لا يعان براي ولا يمد بمشوره وقد قالت الحكما الفرس في حكمها
اضعف الحيله خير من اقوى الشده واقل التاني خير من اكثر العجله
والدوله رسول القضا المبرم واذا استبد الملك برايه عميت عليه

عليه المراشد واذا ظفر براي من خامل لا يراه للراي اهلا ولا للمشوره مستوجبا اغنته عن ... فان الراي كالضاله توجد اين وجدت لا تهون لمهانه صاحبه فيطرح فان الدره لا يضعها مهانه غايصها والضاله لا تترك لذله واجدها وليس يراد الراي لمكان المشير به فيراعي قدره وانما يراد لانتفاع المستشير به وانشد ابو العينا عن الاصمعي

النصح ارخص ما باع الرجال فلا ترد على ناصح نصحا ولا تلم

ان النصايح لا تخفى مناهجها على الرجال ذوي الالباب والفهم

ثم لا وجه لمن تقرر له راي ان يتانى في امضايه فان الزمان غادر والفرص منتهزه والثقه عجزه قيل لملك زال عنه ملكه ما الذي سلبك ملكك قال تاخيري عمل اليوم الى غد وقد قال الشاعر

اذا كنت ذا راي فكن ذا عزيمه ولا تك بالترداد للراي مفسدا

فاني رايت الوثب في العزم همه وانفاذ ذي الراي العزيمه ارشدا

وينبغي لمن انزله المستشار واحله محل الناصح الواد حتى صار بمامول النصح يرجو الصواب ان يودي حق هذه النعمه باخلاص السريره ويكافي على الاستسلام ببذل النصح فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان من حق المسلم على المسلم اذا استنصحه ان ينصحه وربما اطربه المشاوره فاعجب برايه فاحذره في المشوره فليس للمعجب راي

براي صحيح ولا رويه سليمه وربما نصح بالراي بعداوه او حسد فوري او مكر فاحذر العدو ولا تثق بحسود ولا عذر لمن استشار عدوا او صدا بكتم رايا وقد استرشد ولا يخون وقد ايتمن روى محمد ابن المنكدر عن عايشه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عليكم المستشير معان والمستشار موتمن وقال سليم ابن يزيد

واحب اخاك ان استشارك ناصحا وعلى اخيك نصيحه لا تردد

ولا ينبغي ان يشير قبل ان يستشار الا فيما مس ولا ان يتسرع بالراي الا فيما لزم فانه لا ينفك من ان يكون متهما او مطرحا وفي اي هذين كان وصمه وانما يكون الراي مقبولا اذا كان عن رغبه وطلب او كان لباعث وسبب روى ابو هلال العجلي عن حذيفه ابن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال لقمن لابنه اذا استشهدت فاشهد واذا استعنت فاعن واذا استشرت فلا تعجل حتى تنظر قال ابن نهشل الكلابي

من الناس من ان يستشرك فتجتهد له الراي يستغششك ما لم تتابعه

فلا تمنح الراي من ليس اهله فلا انت محمود ولا الراي نافعه

الفصل الرابع في كتمان السر

اعلم ان كتمان الاسرار من اقوى اسباب النجاح وادوم احوال الصلاح

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال استعينوا على الحاجات بالكتمان
فان كل ذي نعمة محسود ٥ وقال علي ابن ابي طالب عليه السلام سرك
اسيرك فاذا تكلمت به صرت اسيره وقال بعض الحكما لابنه يا بني كن جوادا
بالمال في موضع الحق ضنينا بالاسرار على جميع الخلق فان احمد جود
المرا الانفاق في وجه البر والبخل بمكتوم السر وقال بعض الادبا من
كتم سره كان الخيار اليه ومن افشاه كان الخيار عليه وقال بعض
البلغا ما اسرك ما كتمت سرك وقال بعض الفصحا ما لم تغيبه الاضالع
فهو منكشف ضايع وقال بعض الشعراء وهو قول انس ابن لبيد

لم تر ان وشاه الرجال لا يدعون اديما صحيحا
فلا تفش سرك الا اليك فان لكل نصيح نصيحا

وكم من اظهار سر اراق دما لصاحبه ومنع نيل مطالبه ولو كتمه كان
من سطوته امنا ومن عواقبه سالما ولنجاح حوايجه راجيا وقال
انوشروان من حصن سره فله بتحصينه خصلتان الظفر بحاجته والسلامة
من السطوات واظهار الرجل سر غيره اقبح من اظهاره سر نفسه
لانه يبو باحدى وصمتين اما الخيانه ان كان موتمنا او النميمه
ان كان مستودعا فاما الضرر فربما استويا فيه او تفاضلا وكلاهما
مذموم وهو فيهما ملوم وفي الاسترسال بابدا السر دلايل على ثلثه ٥
احوال

احوال مذمومه احدها ضيق الصدر وقله الصبر حتى لم يتسع لسر ولم
يقدر على صبر وقد قال الشاعر

اذا المرا افشى سره بلسانه ولام عليه غيره فهو احمق ٥
اذا ضاق صدر المرا عن سر نفسه فصدر الذي يستودع السر اضيق ٥

والثاني الغفله عن تحذر العقلا والسهو عن يقظه الادبا وقد قال بعض
الحكما انفرد بسرك ولا تودعه حازما فيزل ولا جاهلا فيخون والثالث ما
ارتكبه من الغرر واستعمله من الخطر وقال بعض الحكما سرك من دمك
فاذا تكلمت به فقد ارقته واعلم ان من الاسرار ما لا يستغني فيه عن
مطالعه صديق مساهم واستشاره ناصح مسالم فليختر العاقل لسره امينا
ان لم يجد الى كتمه سبيلا وتحري في اختيار من ياتمنه عليه ويستودعه
اياه فليس كل من كان على الاموال امينا كان على الاسرار امينا والعفه
عن الاموال ايسر من العفه عن اذاعه الاسرار لان الانسان قد يذيع
سر نفسه بمبادره لسانه وسقط كلامه ويشح على اليسير من ماله
حفاظا له وصيانه ولا يرى ما اذاع من سره كثيرا في جنب ما حفظه
من يسير ماله مع عظم الضرر الداخل عليه فمن اجل ذلك كان امنا
الاسرار اشد تعذرا واقل وجودا من امنا الاموال وكان حفظ
الاموال ايسر من حفظ الاسرار لان احراز الاموال منيعه واحراز

يذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق وقال عمر ابن عبد العزيز
القلوب اوعيه السراير والشفاه اقفالها والالسن مفاتيحها
فليحفظ كل امر مفتاح سره ومن صفات امين السر ان يكون ذا عقل
صاد ودين حاجز ونصح مبذول وود موفور وكتوما بالطبع فان
هذه امور تمنع من الاذاعه وتوجب حفظ الامانه فمن كملت فيه فهو
عنقا مغرب ٥ وقيل في منثور الحكم قلوب العقلاء حصون الاسرار
وليحذر صاحب السر ان يودع من يتطلع اليه ويوثر الوقوف عليه
فان طالب الوديعه خاين ٥ وقيل في منثور الحكم لا تنكح خاطب
سرك وقال صالح ابن عبد القدوس

فلا تودع سرا الى طالب ... فانما الطالب للسر مذيع

ويحذر كثره المستودعين لسره فان كثرتهم سبب الاذاعه وطريق
الى الاشاعه لامرين احدهما ان اجتماع هذه الشروط في العدد الكثير
معوز ولا بد اذا كثروا من ان يكون فيهم من اخل ببعضها والثاني
ان كل واحد منهم يجد سبيلا الى نفي الاذاعه عن نفسه واحاله
ذلك الى غيره فلا يضاف اليه ذنب ولا يتوجه اليه عتب وقد قال
بعض الحكما كلما كثر خزان الاسرار ازدادت ضياعا وقال بعض
الشعراء ٥ وسرك ما كان عند امرء ... وسر الثلاثه غير الخفي

فقال

200

وقال اخر ٥ فلا تنطق بسرك كل سر ... اذا ما جاوز الاثنين فاشي
ثم لو سلم من اذاعتهم لم يسلم من ادلالهم واستطالتهم فان من
ظفر بسر من فرط الادلال وكثره الاستطاله ما ان لم يحجزه عنه
عقل ولم يكفه عنه فضل كان اشد من ذل الرق وخضوع العبيد
ولذلك قال بعض الحكما من افشى سره كثر عليه المتامرون فاذا
اختاروا ورجوا ان يوفق الاختيار واضطر الى استيداع سره وليته كفي
الاضطرار وجب على المستودع له ادا الامانه فيه بالتحفظ والتناسي
حتى لا يخطر بباله فلا يبدو لزله في خلده ثم يرى ذلك حرمه يرعاها
ولا يدل ادلال اللئام وحكي ان رجلا اسر الى صديق له حديثا
ثم قال افهمت قال بل جهلت قال احفظت قال بل نسيت وقيل لرجل
كيف حفظك للسر فقال اجحد المخبر واحلف المستخبر وقال بعض الشعراء

ولو قدرت على نسيان ما اشتملت ... مني الضلوع على الاسرار والخبر
لكنت اول من ينسى سرايره ... اذ كنت من نشرها يوما على خطر

وحكي ان عبد الله ابن طاهر تذاكر الناس في مجلسه حفظ السر
فقال عبيد الله ٥ ومستودعي سرا تضمنت سره ... فاودعته من مستقر الحشا قبرا
فقال ابنه عبد الله ٥
وما السر في قلبي كميت بحفرة ... لاني ارى المدفون ينتظر النشرا

ولكنني اخفيه حتى كأنه من الدهر يوما ما احطت به خبرا

الفصل الخامس في المزاح والضحك

اعلم ان المزاح ازاحة الحقوق ومخرجا الى القطيعة والعقوق يصم
المازح ويوذي الممازح فوصمة المازح انه تذهب عنه الهيبة والبها
ويجري عليه الغوغا والسفها واما اذيه الممازح فلانه معنوف
بقول وجوبه وفعل ممض ان امسك عنه قلبه وان قابل عليه جانب اربه
فحق على العاقل ان يتقيه وينزه نفسه وضيمه مساويه فقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المزاح استدراج من الشيطان
واختداع من الهوى وقال عمر ابن عبد العزيز اتقوا المزاح فانها
حمقة تورث ضغينه وقال الا انما المزاح سباب الا انه يضحك وقيل
انما سمي المزاح مزاحا لانه يزيح عن الحق وقال ابرهيم النخعي المزاح
من سخف او بطر وقيل في منثور الحكم ياكل الهيبة كما تاكل النار
الحطب وقال بعض الادبا من كثر مزاحه زالت هيبته ومن كثر
خلافه طابت غيبته وقال بعض البلغا من قل عقله كثر هزله
وذكر خالد ابن صفوان المزاح فقال يصك احدكم صاحبه باشد من
الجندل وينشقه احرق من الخردل ويفرغ عليه احر من المرجل
ثم يقول انما كنت امازحك وقال بعض الحكما خير المزاح لا ينال

وشره

وشره لا يقال وقال ابو نواس

حل جبينك لرام وامض عنه بسلام . مت بدا الصمت خير لك من دا الكلام
انما السالم من الجم فاه بلجام . ربما استفتح بالمزح مغاليق الحمام
والمنايا اكلات شاربات للانام

واعلم انه قل ما يعري من المزاح من كان سهلا فالعاقل يتوخى
بمزحه احدى حالتين لا ثالثة لهما ايناس المصاحبين والتودد الى المخا لطين
وهذا يكون بما انس من جميل القول وبسط من مستحسن الفعل
كما قال سعيد ابن العاص لابنه اقتصد في مزاحك فان الافراط فيه
يذهب البها ويجري السفها وان التقصير فيه ينقص عنك المؤانسين
ويوحش منك المصاحبين والثانية ان ينفي بالمزاح ما طرا عليه من سام
او حدث به من هم فقد قيل لا بد للصدور ان تنفث وانشد لابي
الفتح البستي افد طبعك المكدود بالجد راحة تجم وعلله بشي من المزح
ولكن اذا اعطيته المزح فليكن بمقدار ما يعطى الطعام من الملح
وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمزح على هذا الوجه وروي
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اني لامزح ولا اقول الا حقا
مزاحه عليه الصلاة والسلام ما روي ان عجوزا من الانصار اتته
فقالت يا رسول الله ادع الله لي بالمغفرة فقال لها اما علمت ان

الجنة لا يدخلها العجايز فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لها
اما قرات قوله تعالى انا انشاناهن انشا فجعلناهن ابكارا عربا اترابا
واتته اخرى في حاجة لزوجها فقال لها ومن زوجك فقالت فلان
فقال الذي في عينه بياض فقالت لا قال بلى فانصرفت عجلة الى
زوجها وجعلت تامل عينه فقال لها ما شانك فقالت اخبرني رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان في عينك بياضا فقال لها صدق رسول الله
صلى الله عليه وسلم اما ترين بياض عيني اكثر من سوادها واتى رجل
علي ابن ابي طالب رضي الله عنه فقال اني احتلمت على امي فقال
اقيموه في الشمس فاضربوا ظله الحد وسيل الشعبي عن لحم الشيطان
فقال نحن نرضى منه بالكفاف وقيل له ما اسم امراة ابليس فقال
ذاك نكاح ما شهدناه وقال رجل لغلام بكم تعمل معي قال بطعامي فقال له
احسن قليلا قال فاصوم الاثنين والخميس وحكي عن ابي صالح ابن
حسان وكان محدثا انه قال يوما لاصحابه مازحا بيت افقه الناس
وصاح البين اذا قلت هاتي بوسة تبرمت وقالت معاذ الله من فعل ما حرم
فما نولت حتى تضرعت عندها وانباتها ما رخص الله في اللمم
فاما الخروج الى حد الخلاعة فهجنة ومذمة كالذي حكي عن ابي
معوية الضرير وكان محدثا انه خرج يوما الى اصحابه ويقول
فاذا

بالمخنيق

فاذا المعدة جاشت فارمها بثلث من نبيذ ليس بالحلو الرقيق
اما ترى كيف طرق تخلاعته التهمة على تشبيه بهذا المدح فيما لعله بري
منه وبعيد عنه وقد كان ابو هريره مسترسلا في مزاحه فحكا
ابن قتيبه في المعارف ان مروان ربما كان يستخلفه على المدينة فيركب
حمارا قد شد عليه برذعة فيسير فيلقى الرجل فيقول الطريق قد جا
الامير وربما اتى الصبيان وهم يلعبون لعبة الغراب فلا يشعرون
حتى يلقي نفسه بينهم ويضرب برجليه فيفزع الصبيان فيفرون وهذا
خروج عن القدر المستشنع به ويوشك ان يكون لهذا الفعل منه تاويل
سايغ وقد كان صهيب ابن سنان مزاحا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
اتاكل تمرا وبك رمد فقال يا رسول الله انا امضغ على الناحية الاخرى
وانما استجاز صهيب ان يعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمزح لانه
في جوابه لان استخباره صلى الله عليه وسلم قد كان يتضمن المزح فاجابه
عن استخباره بما وافقه من المزح مساعدة لغرضه وتقربا من قلبه
والا فليس لاحد ان يجعل جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم في
حالات المزح هزلا ومن جعل جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم
المبين عن الله احكامه والمودي الى خلقه اوامره هزلا ومزحا
فقد عصى الله ورسوله وصهيب كان اطوع لله ورسوله من ان

يكون بهذه المنزلة منه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا سابق العرب وصهيب سابق الروم وسلمان سابق فارس وبلال سابق
الحبش ومن مستملح المزح ومستحسن الدعابة ما حكى الزبير ابن بكار عن
الكثيري ان القشيري وقف عليه شيخ من الاعراب فقال يا اعرابي
ممن انت قال من بني عقيل قال من اي عقيل قال من بني خفاجه
فقال القشيري رايت شيخا من بني خفاجه فقال الاعرابي ما شانه فقال
له اذا جن الظلام حاجه فقال الاعرابي وما هيه فقال
كحاجة الديك الى الدجاجه فاستغرب الاعرابي ضاحكا وقال قاتلك
الله ما اعرفك بسراير القوم فانظر كيف بلغ هذا المزح غايته ولسانه
نزه وعرضه مصون وهذه غاية ما يتسامح به الفضلا من الخلاعة
وان كان مستكثرا للمجون والتنزه عن مثله اولى وليحذر ان يسترسل
في مزاحه ممازحة عدو فيجعل له طريقا الى اعلان المساوي وهو مجدو
له في التشفي مزحا وهو محوبة وقد قال بعض الحكما اذا مازحت
عدوك ظهرت عيوبك فاما الضحك فان اعتياده شاغل عن
النظر في الامور المهمه ومذهل عن الفكر في النوايب النازلة وليس
لمن اكثر منه هيبة ووقار ولا لمن وسم به خطر ومقدار وروى ابو
ادريس الخولاني عن ابي ذر الغفاري قال قال رسول الله صلى الله
عليه

عليه وسلم اياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب ويذهب بنور الوجه
وقد حكي عن ابن عباس في قوله تعالى ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة الا احصاها ان الصغيرة الضحك وقال عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه من كثر ضحكه قلت هيبته وقال علي ابن ابي طالب عليه السلم
اذا ضحك العالم ضحكة مج من العلم مجة وقيل في منثور الحكم ضحك المومن غفلة
من قلبه والمولع بالضحك كالمولع بالمزاح ان تجافاه الانسان نفر عنه
واوحش منه وان الفه كانت حاله ما وصفناه فليكن عند الايناس بذلك
الضحك تبسما ونزرا وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه التبسم دعابه
وهذا ابلغ في الايناس من الضحك الذي قد يكون استهزا وتعجبا وليس
تنكر منه المرة النادرة استغفل النفس عن دفعه هذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو املك الخلق لنفسه قد تبسم حتى بدت نواجذه وكان ذلك
منه على الوجه ذكرناه

الفصل السادس في الطيرة والتفاول

اعلم انه ليس شي اضر بالراي ولا افسد للتدبير من اعتقاد الطيرة
ومن ظن ان خوار البقر او نعيب غراب يرد قضا او يدفع مقدورا فقد
جهل وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا عدوى
ولا هامه ولا طيرة ولا صفر فالعدوى ما يظنه الناس من تعدي
العلل والامراض فاخبر انه لا يعدي فقيل يا رسول الله انا نرى

النقبة من الجرب في مشفر البعير فيعدي الى جميعه فقال صلى
الله عليه وسلم فما اعدى الاول واما الهامة فهو ما كانت العرب
تعتقده في الجاهلية من ان القتيل اذا طل دمه فلم يدرك بثاره صاحت
هامته في القبر اسقوني قال الزبرقان بن بدر يا عمرو ان لم تدع شتمي
ومنقصتي اضربك حيث تقول الهامة اسقوني ٥ وقال ابرهيم ابن
هرمة ٥ وكيف وقد صاروا عظاما واقبروا واصبح صداها بالعشي وهامها
هانوا ولم يبقوا وكل قبيلة ستربع الى ورد الفناء كرامها
واما الصفر فهو كالحية تكون في الجوف فتصيب الماشية والناس
وهو اعدا عندهم من الجرب وفيه يقول الشاعر
لا يتشكى الساق من اين ولا وصب ولا يعض على شرسوفه الصفر
وروى ابو هريرة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا ظننتم
فلا تحققوا واذا حسدتم فلا تبغوا واذا تطيرتم فامضوا وعلى الله فتوكلوا
وقال الشاعر طيرة الناس لا ترد قضا فاعذر الدهر لا تشبه بلوم
اي يوم تخصه بسعود والمنايا ينزلن في كل يوم
ليس يوم الا وفيه سعود ونحوس تجري لقوم فقوم
وقد كان الفرس اكثر الناس طيرة وكانت العرب اذا ارادت
سفرا نفرت اول طائر تلقاه فان طار يمنة سارت وتيمنت وان طار شامة
رجعت

رجعت وتشاءمت فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال اقروا
الطير على وكناتها وحكى عكرمة قال كنا جلوسا عند عبد الله ابن
عباس فمر طائر يصيح فقال رجل من القوم خير خير فقال ابن عباس لا خير
ولا شر وقال ابن ربيعة
لعمرك ما تدري الضوارب بالحصا ولا زاجرات الطير ما الله صانع
واعلم انه قلما يخلو من الطيرة احد لاسيما من عارضته المقادير في
ارادته وصده القضا عن طلبته فهو يرجو واليأس عليه اغلب
ويأمل والخوف اليه اقرب فاذا عاقه القضا وخانه الرجا
جعل الطيرة عذر خيبته وغفل عن قضا الله ومشيته فاذا هو
تطير من بعد احجم عن الاقدام ويئس من الظفر وظن ان القياس
فيه مطرد وان العبرة فيه مستمرة ثم يصير له ذلك عادة فلا ينجح له سعي
ولا يتم له قصد فاما من ساعدته المقادير ووافقه القضا فهو قليل
الطيرة لاقدامه ثقة باقباله وتعويلا على سعادته فلا يصده
خوف ولا يكفه خبر فلا يؤوب الا ظافرا ولا يعود الا منجحا لان
الغنم بالاقدام والخيبة مع الاحجام فصارت الطيرة من سمات
الادبار واطراحها من امارات الاقبال فينبغي لمن منى بها وبلى ان
يصرف عن نفسه وساوس النوكى ودواعي الخيبة وذرائع الحرمان

ولا يجعل للشيطان سلطان في معصي عزايمه ومعارضه خالقه وعلم ان
قضا الله غالب وان رزق العبد طالب وان الحركه سبب فلا يثنيه
عنها ما لا يضر مخلوقا ولا يدفع مقدورا وليمض في عزايمه واثقا بالله
تعالي ان اعطي وراضيا به ان منع فقد روي ابو هريره قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانسان ثلثه الطيره والظن والحسد
فمخرجه من الطيره ان لا يرجع ومخرجه من الظن ان لا يحقق ومخرجه من الحسد
ان لا يبغي وروي عنه صلى الله عليه وسلم كفاره الطيره التوكل
على الله وقيل في منثور الحكم الحيره في ترك الطيره وليقل ان عارضه
في الطيره ريب اوخامره فيها وهم ما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من تطير فليقل اللهم لا ياتي بالخيرات الا انت
ولا يدفع السيئات الا انت ولا حول ولا قوه الا بالله وقد روي
ان رجلا جا الي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انا
نزلنا دارا فكثر فيها عددنا وكثرت فيها اموالنا ثم تحولنا منها
الي اخري فقلت فيها اموالنا وقل فيها عددنا فقال النبي صلى
الله عليه وسلم ذروها وهي ذميمه وليس هذا القول منه صلى
الله عليه وسلم على وجه الطيره ولكن على طريق التبرك بمفارقه
وترك ما استوحش منه الي ما انس به واما الفال ففيه تقويه
للعزم

للعزم وباعث على الجد ومعونه على الظفر فقد تفال رسول الله صلى
الله عليه وسلم في غزواته وحروبه وروي ابو هريره ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم سمع كلمه فاعجبته فقال اخذنا فالك من فيك
فينبغي لمن تفال ان يتاول الفال باحسن تاويله ولا يجعل لسوء الظن
سبيلا على نفسه فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان البلا موكل
بالمنطق حكي ان يوسف شكي الى الله تعالى طول الحبس فاوحي
الله اليه يا يوسف انت حبست نفسك حيث قلت رب السجن احب الي
مما يدعونني اليه ولو قلت العافيه احب الي لعوفيت وحكي ان المومل مل
ابن جميل الشاعر لما قال

شف المومل يوم الحيره النظر ... ليت المومل لم يخلق له بصر

عمي فاتاه ات في منامه فقال هذا ما طلبت وحكي ان الوليد ابن
يزيد ابن عبد الملك تفال يوما في المصحف فخرج قوله تعالى واستفتحوا
وخاب كل جبار عنيد فمزق المصحف وانشا يقول

ابوعد كل جبار عنيد ... فها انا ذاك جبار عنيد
اذا ما جيت ربك يوم حشر ... فقل يا رب مزقني الوليد

فلم يلبث اياما حتى قتل اشر قتله وصلب راسه على قصره ثم على سور
بلده نعوذ بالله من البغي ومصارعه والشيطان ومكايده وهو حسبنا

وعليه توكلنا

الفصل السادس في المروه

اعلم ان من شواهد الفضل ودلايل الكرم والمروه هي حليه النفوس
وزينه الهمم والمروه هي مراعاه الاحوال ان تكون على افضلها حتى
لا يظهر منها قبيح عن قصد ولا يتوجه اليها ذم باستحقاق وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من عامل الناس فلم يظلمهم
وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروته
وظهرت عدالته ووجبت اخوته وقال بعض البلغا من شرايط
المروه ان تعفف عن الحرام وتتنظف عن الاثام وتنصف في الحكم
وتكف عن الظلم ولا تطمع فيما لا تستحق ولا تستطيل على من لا
تسترق ولا تعن قويا على ضعيف ولا تؤثر دنيا على شريف
ولا تباشر ما يعقب الوزر والاثم ولا تفعل ما يقبح الذكر والاسم
وسيل بعض الحكما عن الفرق بين العقل والمروه فقال العقل
يامرك بالانفع والمروه تامرك بالاجمل ولن تجد الاخلاق
على ما وصفنا من حد المروه منطبعه ولا عن المراعاه مستغنيه
وانما المراعاه هي المروه لا ما انطبعت عليه النفس من فضايل
الاخلاق لان غرور الهوى ونازع الشهوه يصرفان النفس
ان تركب فرص الافضل من خلايقها والاجمل من طرايقها ولو
تلك

سلمت منها وبعيد ان تسلم لها استكملت شرف الاخلاق طبعا ولا استغنيت
عن تهذيبها تكلفا وتصنعا وقال الشاعر

• من لك بالمحض وليس محض • يخبث بعض ويطيب بعض •

ثم انه لو استكمل الفضل طبعا وفي المعوز ان يكون مستكملا لكان
في المستحسن من عادات دهره والموضوع من اصطلاح عصره من
حقوق المروه وشروطها ما لا يتوصل اليه الا بالمعاناه ولا يوقف
عليه الا بالتفقد والمراعاه فثبت ان مراعاه النفس على افضل احوالها
هي المروه واذا كانت كذلك فليس ينقاد لها مع ثقل كلفها الا من
قد تسهلت المشاق رغبه في الحمد وهانت عليه الملاذ حذرا
من الذم ولذلك قيل سيد القوم اشقاهم وقال ابو تمام الطاي

• والحمد شهد لا ترى مشتاره • يجنيه الا من نقيع الحنظل •
• غل لحامله ويحسبه الذي • لم يوه عاتقه خفيف المحمل •

ولقد لحظ المتنبي ذلك في قوله فقال

• واذا كانت النفوس كبارا • تعبت في مرادها الاجسام •

والداعي الى استسهال ذلك شيئان وهما علو الهمه وشرف
النفس اما علو الهمه فلانه باعث على التقدم وداع الى التخصص
انفه من خمول الضعه واستنكار المهانه والنقص ولذلك قال

النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب معالي الامور واشرافها
ويكره سفسافها ه وروي عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه قال
لا تصغرن هممكم فاني لم ار اقعد عن المكرمات من صغر الهمم وقال
بعض الحكما الهمة راية الجد وقال بعض البلغا علو الهمم بذر
النعم وقال بعض العلما اذا طلب امرؤ امرا ظفر به اعظمها مروة
وقال بعض الادباء من ترك التماس المعالي بسوا الرجا لم ينل
حسيبا واما شرف النفس فانه به يكون قبول التاديب واستقرار
التقويم والتهذيب لان النفس ربما جمحت عن الافضل وهي به
عارفة ونفرت من التاديب وهي له مستحسنة لانها عليه غير
مطبوعة وله غير ملايمة فيصير منه انفر ولضده الملايم اثر ولذلك
قيل ما اكثر من يعرف الحق ولا يطبعه واذا شرفت النفس كانت
للاداب طالبة وفي الفضايل راغبة فاذا مازجها صادف طبعها
ملايما فنمى واستقر فاما من مني بعلو الهمة وسلب شرف النفس
فقد صار عرضة لامر اعوزته آلته وافتقدته جهالته فصار كضرير
يروم الكتابة واخرس يريد الخطبة فلا يزيده الاجتهاد الا عجزا
والطلب الا عوزا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ما هلك
امرؤ عرف قدره ه وقيل لبعض الحكما من اسوا الناس حالا قال
من

من بعدت همته وقصرت آلته واتسعت امنيته وقلت مقدرته
وقال ابو الفتوح التغلبي ه ولا خير فيما يكذب المرا نفسه وتقواله للشي يا ليت ذا ليا
لعمرك ما يدري امرا كيف تتقي اذا هو لم يجعل له الله واقيا
وقال بعض الحكما تجنبوا التمني فانها تذهب ببهجة ما خولتم وتستصغرون
نعمة الله عليكم وقيل في منثور الحكم المنى من بضايع النوكى فان
صادف بهمته حظا نال منه املا كان فيما نال كالمغتصب وفيما
وصل اليه كالمتقلب اذ ليس في الخطوط تقدير لمحق ولا تمييز لمستحق
وانما هي كالسحاب الذي يمسك عن منابت الاشجار الى مغايص
البحار فينزل حيث صادف من خبيث وطيب فان صادف ارضا
طيبة نفع وان صادف ارضا خبيثة ضر كذلك الحظ اذا صادف
نفسا شريفة نفع وكان نعمة عامة واذا صادف نفسا دنية
ضر وكانت نقمة طامة ه وحكي ان موسى ابن عمران عليه السلام
دعا على قوم بالعذاب فاوحى الله تعالى اليه قد ملكت سفلتها
على عليتها فقال يا رب كنت احب لهم عذابا عاجلا فاوحى الله اليه
اوليس هذا كل العذاب العاجل الاليم فاما شرف النفس اذا تجرد
من علو الهمة كان الفضل عاطلا والقدر به خاملا وهو كالقوة
في الجلد الكسل والجبان الفشل تضيع قوته بكسله وجلده بفشله

وقد قيل في منثور الحكم من دام كسله خاب امله ٥ وقال بعض الحكما
نكح العجز التواني فخرج بينهما الندامه ونكح الشوم الكسل فخرج بينهما
الحرمان وقال بعض الشعراء

اذا انت لم تعرف لنفسك حقها هوانا بها كانت على الناس اهونا •
فنفسك فاكرمها وان ضاق مسكن عليك بها فاطلب لنفسك مسكنا •
واياك والسكنى بدار مذلة يعد مسيا فيه من كان محسنا •

وشرف النفس مع صغر الهمه اولى من علو الهمه مع دناه النفس
لان من علت همته مع دناه نفسه كان متعديا الى طلب ما لا يستحقه
ومتخطيا الى الناس ما لا يستوجبه ومن شرفت نفسه مع صغر همته
فهو تارك لما يستحقه ومقصر عما يجب له وفضل ما بين الامرين ظاهر
وان كان لكل واحد من الذم نصيب وقد قيل لبعض الحكما ما
اصعب شي على الانسان قال ان يعرف نفسه ويكتم الاسرار فاذا
اجتمع الامران واقترن شرف النفس علو الهمه كان الفضل
بهما ظاهر والادب بهما وافر ومشاق الحمد بينهما مستسهله
وشروط المروه منهما متباينه وقد قال الحصين ابن المنذر
الرقاشي ٥ ان المروه لبس يدركها امرا ورث المكارم عن ابيه واضاعها
امرته نفسه بالدناه والخنا ونهته عن سبل العلى فاطاعها

فاذا

• فاذا اصاب من المكارم خلة بنى الكريم بها المحارم باعها
واعلم ان حقوق المروه اكثر من ان تحصى واخفى من ان تظهر
لان منها ما يقوى في الوهم حسا ومنها ما يقتضيه شاهد الحال
حدسا ومنها ما يظهر بالفعل ويخفى بالتغافل فلذلك اعوز
استيفا شروطها الا من تفرد بالفاضل عليها بفطنته وبستدل
العاقل عليها بفطرته وان كان جميع ما تضمنه كتابنا هذا هو
من حقوق المروه وشروطها وانما يذكر في هذا الفصل الاشهر
من قواعدها واصولها والاظهر من شروطها وحقوقها محصورا
في تقسيم جامع وهي تنقسم قسمين احدهما شروط المروه في
نفسه والثاني شروطها في غيره فاما شروطها في نفسه بعد
التزام ما اوجبه الشرع من احكامه فتكون بثلثه امور وهي
العفه والنزاهه والصيانه فاما العفه عن المحارم فنوعان
احدهما ضبط الفرج عن الحرام والثاني كف اللسان عن الاعراض
فاما ضبط الفرج عن الحرام فلانه مع وعيد الشرع وزواجر
العقل معره فاضحه وهتكه داحضه ولذلك قال النبي صلى
الله عليه وسلم من وقي شر ذبذبه ولقلقه وقبقبه فقد
وقي يريد بذبذبه الفرج وبلقلقه اللسان وبقبقبه البطن

فنوعان احدهما العفه عن المحارم والثاني العفه عن المآثم

و روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال احب العفاف الى الله تعالى عفاف البطن والفرج ه وحكى ان معويه سال عمرا عن المروه فقال تقوى الله تعالى وصلة الرحم ه وسال المغيره فقال هي العفه عما حرم الله تعالى والحرفه فيما احل الله وسال يزيد فقال هي الصبر على البلوى والشكر على النعم والعفو عند المقدره فقال معويه انت مني حقا وقال ابو شروان لابنه هرمز الكامل المروه من حصن دينه ووصل رحمه واكرم اخوانه وقال بعض الحكما من احب المكارم اجتنب المحارم وقيل عار الفضيحه يكدر لذتها وانشدني بعض اهل الادب للحسن ابن علي رضي الله عنه

الموت خير من ركوب العار • والعار خير من دخول النار •

والله من هذا وذاك جاري •

والداعي الى ذلك شيان احدهما ارسال الطرف والثاني اتباع الشهوه وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي ابن ابي طالب عليه السلام يا علي لا تتبع النظره فان الاولى لك والثانيه عليك وفي قوله لا تتبع النظره النظره تاويلان احدهما لا تتبع نظر عينك نظر قلبك والثاني لا تتبع النظره الاولى التي وقعت سهوا بالنظره الثانيه التي توقعها عمدا وقال عيسى

ابن

ابن مريم عليه السلام اياكم والنظره بعد النظره فانها تزرع في القلب الشهوه وكفى لصاحبها فتنه وقال علي ابن ابي طالب عليه السلام العيون مصايد الشيطان وقال بعض الحكما من ارسل طرفه استدعى حتفه وقال بعض الشعراء

• وكنت متى ارسلت طرفك رايدا • لقلبك يوما اتعبتك المناظر •

• رايت الذي لا كله انت قادر • عليه ولا عن بعضه انت صابر •

واما الشهوه فهي خادعة العقول وغاره الالباب ومحسنة القبايح ومسوله الفضايح وليس عطب الا وهي له سبب وعليه لب وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه وجبت له الجنه وحفظ من الشيطان من ملك نفسه حين يرغب وحين يرهب وحين يشتهي وحين يغضب وقهرها عند هذه الاحوال يكون بثلثه امور احدها غض الطرف عن اثارتها ولهه عن مساعدتها فانه الرايد المتحرك والقايد المهلك روى سعيد ابن سنان عن انس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تقبلوا الي بست اتقبل لكم الجنه قالوا وما هي يا رسول الله قال اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ائتمن فلا يخن غضوا ابصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا ايديكم والثاني

ترغيبها في الحلال عوضا واشتغالها بالمباح بدلا فان الله تعالى
ما حرم شيا الا واغنى عنه بمباح من جنسه لما علمه من نوازع
الشهوه وتركيب الفطره ليكون ذلك عونا على طاعته وحاجزا
عن مخالفته وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما امر الله
تعالى بشي الا واعان عليه ولا نهى عن شي الا واغنى عنه والثالث
استشعار النفس بتقوى الله تعالى في اوامره واتقاوه في زواجره
والزامها ما لزم من طاعته وتحذيرها ما حذر من معصيته
واعلامها انه لا يخفى عليه ضمير ولا يعزب عنه قطمير وانه
يجازي المحسن ويكافي المسي بذلك نزلت كتبه وبلغت رسله
روي ابن مسعود ان اخر ما نزل الله من القران واتقوا يوما
ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون
واخر ما نزل في التوراه اذا لم تستحي فاصنع ما شيت واخر
ما نزل في الانجيل شر الناس من لا يبالي ان يراه الناس مسيا
واخر ما نزل من الزبور من يزرع خيرا يحصد غبطه فاذا استشعرها
ما وصفت انقادت الى الكف واذا دعت بالانقياد فسلم دينه
وظهرت مروته فهذا شرط واما كف اللسان عن الاعراض
فلانه ملاذ السفها وانتقام الغوغا وهو مستسهل الكف ان

لم

لم يقبض نفسه عنه برادع كاف وزاجر صاد تلبط بمعاره وتخبط
بمضاره وظن انه لتحامي الناس عنه حمى يتقى ورتبه ترتقى
فهلك واهلك ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم الا ان
دماكم واموالكم واعراضكم حرام عليكم فجمع بين الدم والعرض
لما فيه من ايغار الصدور وابدا الشرور واظهار البذا واكتساب
الاعدا ولا يبقى مع هذه الامور وزن لمرموق ولا مروه لملحوظ
ثم هو بها موتور وموزور ولاجلها مهجور ومزجور وقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال شر الناس من اكرمه الناس
اتقا لسانه وقال بعض الحكما انما هلك الناس بفضول الكلام
وفضول المال وما يقدح في الاعراض من الكلام نوعان
احدهما ما قدح في عرض صاحبه ولم يتجاوز الى غيره وذلك
شيان الكذب وفحش القول والثاني ما تجاوزه الى غيره وذلك
اربعه اشيا الغيبه والنميمه والسعايه والسب بقذف او شتم
وربما كان السب انكاها للقلوب وابلغها اثرا في النفوس
ولذلك ما زجر الله تعالى عنه بالحد تغليظا وبالتفسيق تشديدا
وتصعيبا وقد يكون ذلك لاحد شيين اما انتقام يصدر عن
سفه وبذا يحدث عن لوم وقد روى ابو سلمه عن ابي هريره

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المومن غر كريم والفاجر خب لئيم
وقال ابن المقفع الاستطالة لسان الجهالة وكف النفس عن
هذه الحال بما يصدها من الزواجر اسلم وهو بذوي المروة
اجمل فهذا شرط واما العفة عن المآثم فنوعان احدهما الكف
عن المجاهرة بالظلم والثاني زجر النفس عن الاستسرار بخيانة
فاما المجاهرة بالظلم فعتو مهلك وطغيان متلف وهو يؤول
ان استمر الى فتنة او جلا اما الفتنة في الاغلب فتخبط بصاحبها
وتنعكس على البادي بها فلا ينكشف الا وهو بها مصروع كما
قال تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال الفتنة نايمة فمن ايقظها كان
طعاما لها وقال جعفر ابن محمد عليهما السلام الفتنة حصاد
الظالمين وقال بعض الحكما صاحب الفتنة اقرب شي اجلا
واسوا شي عملا وقال بعض الشعرا وكتب

وكنت كعنز السو قامت لحتفها الى مدية تحت الثرى تستثيرها

واما الجلا فقد يكون مع قوة الظالم وتطاول مدته فيصير ظلمه
مع المكنة جلا وفنا كالنار اذا وقعت في يابس الشجر فلا يبقى
منه بتمكينها شي حتى اذا افنته ما وجدت خمدت كذلك حال

الظالم

الظالم مهلك ثم هالك والباعث على ذلك شيئان الجراة والقسوة
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اطلبوا الفضل والمعروف
عند الرحما من امتي تعيشوا في اكنافهم والصاد عن ذلك ان يرى
اثار الله تعالى في الظالمين فان له فيهم عبرا ويتصور عواقب ظلمهم
فان فيه مزدجرا وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال من اصبح ولم ينو ظلم احد غفر الله له ما اجترم وروى جعفر
ابن محمد عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا علي اتق دعوة المظلوم فانما يسال الله حقه وان الله تعالى
لا يمنع ذا حق حقه وقيل في منثور الحكم ويل للظالم من يوم
المظالم وقال بعض البلغاء من جار في حكمه اهلكه ظلمه وقال
بعض الشعراء

وما من يد الا يد الله فوقها ولا ظالم الا سيبلى بظالم

واما الاستسرار بالخيانة فضعة لانه بذل الخيانة مهين
ولقلة الثقة به مستكين وقد قيل في منثور الحكم من يخن يهن
وقال خالد الربعي قرات في بعض الكتب السالفة انما تعجل عقوبته ولا
تؤخر الامانة تخان والاحسان يكفر والرحم يقطع والبغي على الناس
ولو لم يكن من ذم الخيانة الا ما يجده الخاين في نفسه من المذلة
لكفاه زاجرا ولو تصور عقبى امانته وجدوى ثقته لعلم ان ذلك

من ارتخ بضايع جاهه ولو تصور عقبى اما نسيه وافوى شنعتها
يقدمه مع ما يجده في نفسه من العز ويقابل عليه من الاعظام
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أدِّ الامانة
الى من ائتمنك ولا تخن من خانك وروي سعيد ابن جبير قال
لما نزلت ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يوده اليك
ومنهم من ان تامنه بدينار لا يوده اليك الا ما دمت عليه
قايما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون يعنون ان اموال العرب حلال
لهم لانهم من غير اهل الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كذب اعدا الله ما من شي كان في الجاهليه الا وهو تحت قدمي
الا الامانه فانها موداه الى البر والفاجر ولا تجعل ما يتظاهر
به من الامانه زورا ولا ما يبديه من العفه غرورا فينهتك
الزور وينكشف الغرور فيكون مع هتكه التدليس اقبح
وبمعره الريا افضح وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لا تزال امتي بخير ما لم تر الامانه مغنما والصدقه
مغرما وقال بعض الحكما من التمس اربعا باربع التمس ما لا
يكون من التمس الجزا بالريا التمس ما لا يكون ومن التمس موده
الناس

الناس بالغلظه التمس ما لا يكون ومن التمس وفا الاخوانه
بغير وفايه التمس ما لا يكون ومن التمس العلم براحه الجسد
التمس ما لا يكون والداعي الى الخيانه نوعان المهانه وقله
الامانه فاذا حسمهما عن نفسه بما وصفت ظهرت مروته
فهذا شرط وقد استوفينا فيه اقسام العفه واما النزاهه
فنوعان احدهما النزاهه عن المطامع الدنيه والثاني النزاهه
عن مواقف الريبه فاما المطامع الدنيه فلان الطمع ذل
والدناه لوم وهما ادفع شي للمروه وقد كان النبي صلى الله
عليه وسلم يقول في دعايه اللهم اني اعوذ بك من طمع يهدي
الى طبع وقال بعض الشعرا

لا تضرعن لمخلوق على طمع فان ذاك مضر منك بالدين
واسترزق الله مما في خزاينه فانما هو بين الكاف والنون

والباعث على ذلك شيان الشره وقله الانفه فلا يقنع بما
اوتي وان كان كثيرا لاجل شرهه ولا يستنكف مما منع وان
كان حقيرا لقله انفته وهذه حال من لا يرى لنفسه قدرا ويرى
المال اعظم خطرا فيرى بذل اهون الامرين لاجلهما غنما وليس
لمن كان المال عنده اجل ونفسه عليه اقل اصغا لتانيب ولا

قبول لتاديب روي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم
اوصني قال عليك باليأس مما في ايدي الناس واياك والطمع
فانه فقر حاضر واذا صليت صلاة فصل صلاة مودع واياك وما
تعتذر منه وقال بعض الحكما عز النزاهة اشرف من سرور
الفايده وقال بعض الشعراء

ومن كانت الدنيا مناه وهمه سبته المنى واستعبدته المطامع

وحسم هذه المطامع شيئان الياس والقناعه وقد روى عبد الله
ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان روح
القدس نفث في روعي ان نفسا لا تموت حتى تستوفي رزقها
فاتقوا الله واجملوا في الطلب ولا يحملنكم ابطا الرزق ان
تطلبوه بمعاصي الله فان الله لا يدرك ما عنده الا بطاعته فهذا
شرط واما موافقة الريبة فهي التردد بين منزلتين حمد وذم
والوقوف بين حالتي سلامة وسقم فتتوجه اليه لايمة المتوهمين
وتناله ذلة المريبين وكفى بصاحبها موقفا ان صح افتضح
وان لم يصح اتهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم دع ما
يريبك الى ما لا يريبك وسئل محمد ابن علي عن المروة فقال
ان لا تعمل في السر عملا تستحيي منه في العلانيه وقال حسان
ابن

ابن ابي سنان ما وجدت شيا هو اهون من الورع قيل له وكيف قال ما
ارتبت بشي تركته والداعي الى هذه الحال شيئان الاسترسال وحسن الظن
والمانع منها شيئان الحيا والحذر وربما انتفت الريبه بحسن الثقه وارتفعت
التهمه بطول الخبرة وكالذي حكي عن عيسى ابن مريم عليه السلام انه راه
بعض الحواريين وقد خرج من منزل ذات بغي وهو منزل فجور فقال يا
روح الله ما تصنع ها هنا فقال الطبيب انما يداوي المرضى لكن لا ينبغي
ان تجعل ذلك طريقا الى الاسترسال وليكن الحذر عليه اغلب والى
الخوف من تصديق التهم اقرب فما كل ريبة ينفيها حسن الثقه هذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابعد خلق الله من الريب واصون
من التهم وقف مع زوجته صفيه ذات ليله على باب منزله متحدثه
تحدثها وكان معتكفا فمر به رجلان من الانصار فلما راياه اسرعا فقال
لهما على رسلكما انها صفيه بنت حيي فقالا او يختلجنا فيك شك يا رسول
الله فقال مه ان الشيطان يجري من احدكم مجرى لحمه ودمه فخشيت
ان يقذف في قلوبكما سوا فكيف من تختلجه فيه الشكوك وتتقابل
فيه الظنون هل يعرى في موافقة الريب من قادح محقق ولا منتقد ف
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا لم يسبق المرا الايما
عمل فقد سعد واذا استعمل الحزم وغلب الحذر وترك موافقة الريب

ومنظانّ التهم لم نقف موقف اعتذار ولا عذر المختار لم يختلج في
نزاهته شك ولم يقدح في عرضه افك وقد قال الشاعر

اصونك ان ادل عليك ظنًا لان الظن مفتاح اليقين

وقال سهل ابن هارون مؤنة التوقف ايسر من تكلف التعسف
وقال بعض الحكما من حسن ظنه بمن لا يخاف الله تعالى فهو مخدوع
وانشد بعض اهل الادب لابي بكر الصولي

احسنت ظني باهل دهري فخسن ظني بهم دهاني
لا امن الناس بعد هذا ما الخوف الا من الاماني

فهذا شرط قد استوفينا فيه نوعي النزاهه واما الصيانه وهي الثالث
من شروط المروه فنوعان احدهما صيانة النفس بالتماس كفايتها
وتقدير مادتها والثاني صيانتها عن تحمل المنن والاسترسال
في الاستعانه فاما التماس الكفايه وتقدير المادة فلان المحتاج
الى الناس كل مهتضم وذليل مستثقل وهو لما فطر عليه محتاج
الى ما يستمده ليقيم اود نفسه ويدفع ضروره وقته ولذلك
قالت العرب في امثالها كلب جوال خير من اسد رابض وما
يستمده نوعان لازم وندب فاما اللازم فما اقام بالكفايه
واقتضى الى سد الخله وعليه في طلبه ثلثه شروط احدها

استطابته

استطابته من الوجوه المباحه وتوقي الوجوه المحصوره فان المواد
المحرمه مستخبثة الاصول ممحوقه الفروع ان صرفها في بر لم يوجر
وان صرفها في مدح لم يشكر ثم هو لاوزارها محتقب وعليها معاقب
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يعجبك رجل اكتسب مالا من غير
حله فان انفقه لم يتقبل منه وان امسكه كان زاده الى النار وقال
بعض الحكما شر الاموال ما لزمك اثم مكتسبه وحرمت اجر انفاقه
ونظر بعض الخوارج الى رجل من اصحاب السلطان يتصدق على مسكين
فقال انظر اليهم الى حسناتهم من سيئاتهم وقال علي ابن الجهم

شر من عاش ماله فاذا حاسبه الله سره الاعدام

والثاني طلبه من احسن جهاته التي لا يلحقه فيها غض ولا يتدنس
له بها عرض فان المال يراد لصيانة الاعراض لا لابتذالها ولعز
النفوس لا لاذلالها فقد قال عبد الرحمن ابن عوف يا حبذا المال
اصون به عرضي وارضي به ربي وقال ابو بكر الضرير

كفى حزنًا اني اروح واغتدي وما لي من مال اصون به عرضي
واكثر ما القى صديقي بمرحبا وذلك لا يبلغ الصديق ولا يرضي

وسئل ابن عائشه عن قول النبي صلى الله عليه وسلم اطلبوا الحوائج من
حسان الوجوه فقال معناه من احسن الوجوه التي تحل والثالث

ان ياتي في تقديره ما دونه ويدبر كفايته بما لا يلحق خلل ولا يناله
زلل فان يسير المال مع حسن التقدير واصابة التدبير اجدى نفعا
واحسن موقعا من كثيره مع سو التدبير او فساد التقدير كالبذر في
الارض اذا روعي يسيره زكا وان اهمل كثيره اضمحل وقد قال محمد ابن علي
الكمال في ثلثه الفقه في الدين والصبر على النوايب وحسن التقدير
في المعيشه ٥ وقيل لبعض الحكما فلان غني فقال لا اعرف ذلك ما
لم اعرف تدبيره في ماله فاذا استكمل هذه الشروط فيما يستمده من
قدر كفايته فقد ادى حق المروه في نفسه سيل الاحنف ابن قيس عن
عن المروه فقال العفه والحرفه وقال بعض الحكما لابنه يا بني لا
تكن على احد كلا فانك تزداد بذلك ذلا واضرب في الارض عودا
وبدا ولا تاسف لمال كان فذهب ولا يعجزن عن الطلب لوصب
ولا نصب فهذا حال اللازم وقد كان ذوو الهمم العاليه والنفوس
الابيه يرون ما وصل الى الانسان كسبا افضل مما وصل اليه ارثا لانه
في الارث بجدوى غيره وبالكسب مجد على غيره وفرق ما بينهما في
الفضل الظاهر وقال سحيم لا استلذ العيش لم ادأب له طلبا
وسعيا في الهواجر والغلس ٥

• فاري حراما ان يواتيني الغنى حتى احاول بالغنى او يلتمس •

• فاصرف نوالك عن اخيك موفرا فالليث ليس يسيغ الا ما افترس •

فاما المذنب فهو ما فضل عن الكفايه وزاد على قدر الحاجه فان الامر
فيه معتبر بحال طالبه فان كان ممن تقاعد في منازل الروسا ونطاول
عن مطاوله النظرا وانقبض عن منافسه الاكفا فحسبه ما كفاه فليس
في الزياده الا شره ولا في الفضول الا نهم وكلاهما مذموم ولذلك
قال النبي صلى الله عليه وسلم خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي
وقال علي ابن ابي طالب عليه السلام الدنيا كل على العاقل وقال
عبد الله ابن مسعود المستغني بالدنيا عن الدنيا كالمطفي النار بالتبن
وقال عبد الله ابن الزبير استر ما وجهك بالقناعه وتسل عن الدنيا
لتجا فيها عن الكرام وان كان ممن قد مني بعلو الهمم وتحركت فيه اريحيه
الكرم واثر ان يكون مرؤسا ومقدما وان يرى في النفوس مفخما ومعظما
فالكفايه لا تقله حتى يكون ماله فاضلا ونايله فايضا قيل لبعض العرب
ما المروه فقال طعام ماكول ونايل مبذول وبشر مقبول وقال الاحنف
ابن قيس ٥

• فلو مد سروي بمال كثير لجدت وكنت له باذلا •

• فان المروه لا تستطاع اذا لم يكن مالها فاضلا •

واما صيانتها عن تحمل المنن والاسترسال في الاستعانه فلان المنه
استرقاق الاحرار تحدث ذله في الممنون عليه وسطوه في المان

والاسترسال في الاستعانه تثقيل ومن ثقل على الناس هان
ولا قدر عندهم لمهان وقال رجل لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه
خدمك بنوك قال اغناني الله عنهم وقال علي ابن ابي طالب عليه
السلام لابنه الحسن في وصيته يا بني ان استطعت ان لا يكون بينك
وبين الله ذو نعمه فافعل ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله
حرا فان اليسير من الله اكرم واعظم من الكثير من غيره وان
كان كل منه كثير وقال زياد لبعض الدهاقين ما المروه فيكم
فقال اجتناب الريب فانه لا ينبل مريب واصلاح الرجل ماله فانه
مروته وقيامه بحوائجه وحوائج اهله فانه لا ينبل من احتاج
الي اهله ولا من احتاج اهله الي غيره وانشد ثعلب

من عف خف علي الصديق لقاوه ... واخو الحوائج وجهه مملول
واخوك من وفرت ما في كيسه ... فاذا عبثت به فانت ثقيل

ولين كان الناس لحاجه لا يستغنون عن التعاون ولا يستقلون عن
المساعده والتظافر وانما ذلك تعاون ايتلاف يتكافون فيه ولا
يتفاضلون وربما كان المستعين مفضلا والمعين متفضلا كاستعانه
السلطان بجنده والمزارع باكرته فليس من هذا بد ولا لاحد عنه
غنا وانما يصون عنه الكرام تعاون التفضل فيقبضوا عن ان يستعينوا
لئلا

لئلا يكونوا عليهم كلا ومن الجاه من غير اضطرار على الاستعانه
بجاه او مال او اهن مروته واستبدل صيانته ومن دعاه الاضطرار
لنايبه الم او جايحه هجم الي الاستعانه ثم يتنفس به من خناق كربه
ويتخلص به من وثاق باسه فلا لوم علي مضطر فان اغناه الاستعانه
بالجاه عن الاستعانه بالمال فلا عذر له في التعريض للمال وبعد
الي ولاه الامور فان الحوايج عندهم انجح وهي عليهم اسهل وهم
لذلك مندوبون لها فليصبر على ابطايهم فان تراكم
عليهم يشغلهم عن الملح الصبور ولذلك قيل قدم لحاجتك
بعض لجاجتك وقد تقدم قول الحكما ريح السلطان على قوم نسيم
وعلي قوم سموم وقال عبد الله ابن المعتز من صحب السلطان
فليصبر علي قسوته كما يصبر الغواص علي ملوحه بحره وقال
سياره سحيم ابن الاعرف

يعد قرابه ويعد صهرا ... ويبعد بالقرابه من رعاها
وما زرناك من عدم ولكن ... يهش الي الاماره من رجاها
وايا ما فعلت فان نفسي ... تعد صلاح نفسك من غناها

فان تعذر عليه اصلاح حاله الا بمال يستعين به علي نوائبه
كان له مع الضروره فسحه فيه لكن ان وجد فرضا امر دو دالم

باخذ صلته وجودا فان الغرض مستنبح به في المروات هذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم معلما على الله من قدره وفضله
على خلقه قد اقترض ثم قضى واحسن وقال صلى الله عليه وسلم
من اعناه رزق الله تعالى حلالا فليستدين على الله وعلى رسوله
فقال صلى الله عليه وسلم المستدين تاجر الله تعالى في ارضه وقال
البحتري ان لا تكن كثر فقل عطيه يبلغ بها باغ الرضا بعض الرضا
او لا تكن هبه فقرض يسرق اسبابه وكواهب من اقرضا
ولين كان الدين رقا فهو افضل من رق الافضال وقد روي
عن علي ابن ابي طالب عليه السلام انه قال من اراد البقا ولا
بقا فليباكر الغدا وليخفف الردا قيل وما خفه الردا قال قله
الدين وان اعوزه ذلك الا استماحا فهو الرق المذل وكذلك
قيل لا مروه لمقل وقال بعض الحكما من قبل عليك فقد باعك مروته
واذل لقدرك عزه وجلالته والذي يتماسك به الباقي من مروه
الراغبين واليسير النافه من صيانه السايلين وان لم يبق لذي رغبه
مروه ولا لسايل بصون في اربعه امور هي جهد المضطر احدها
ان يتجافى في ضرع السايلين وابهه المستقلين فيذل بالضرع ويحرم
بالابهه وليكن بالتجمل على ما يقتضيه حال مثله من ذوي الحاجات
ووز

وقد قيل لبعض الحكما متى يفحش زوال النعم قال اذا زال معها التجمل
وانشد بعض اهل الادب لعلي ابن الجهم
هي النفس ما حملتها تتحمل وللدهر ايام تجور وتعدل
وعاقبة الصبر الجميل جميله واحسن اخلاق الرجال التفضل
ولا عار ان زالت عن الحر نعمه ولكن عارا ان يزول التجمل
والثاني ان يقتصر بالسوال على ما دعته اليه الضروره وقادته
اليه الحاجه ولا يجعل ذلك ذريعه الى الاغتنام فيحرم باغتنا مه
ولا يعذر في ضرورته وقد قال بعض الحكما من الح في المسله الفه
المنع والثالث ان يعذر في المنع ويشكر على الاجابه فانه ان منع
فعن ما لا يملك وان اجيب فالى ما لا يستحق وقال النمر ابن تولب
لا تغضبن على امرى في ماله وعلى كرايم صلب مالك فاغضب
والرابع ان يعتمد على سوال من كان للمسله اهلا وكان النجح عنده
مامولا فان ذا المكنه كثير والمعين منهم قليل ولذلك قال
النبي صلى الله عليه وسلم الخير كثير وقليل فاعله والمرجو للاجابة
من تكاملت فيه خصالها وهي ثلث احداهن كرم الطبع فان
الكريم مساعد واللئيم معاند وقد قيل المخذول من كانت له
الى اللئام حاجه والثانيه سلامه الصدر فان العدو لب على

فلينك وحزن في نايبتك وقد قيل من اوعزت صدره استدعى
شره فان رق لك بكرم طبعه ورحمك بحسن ظفره فاعظم بها محنه
ان يصير عدوك لك راحما وقد قال الشاعر

وحسبك من حادث بامرءٍ نرى حاسديه له راحمينا

والثالث ظهور المسكنه فان من سال ما لا يملك فقد احال وكان
كمستنهض المتجور ومستشفع المدبوز وكان بالرد خليقا وبالحرمان
حقيقا وقد قال علي ابن ابي طالب عليه السلام من لا يعرف لاحق
يقال لا فهو احمق ووصى عبد الله ابن الاهتم لابنه يا بني لا تطلب
الحوائج الي غير اهلها ولا تطلبها في غير حينها ولا تطلب ما لست له
مستحقا فانك ان فعلت ذلك كنت حقيقا بالحرمان قال الشاعر

لا تسالن امرا حاجه تحاول من ربها مثلها
فتترك ما كنت حملته وتبدا بحاجته قبلها

وهذا مختص بشروط المروه في نفسه فاما شروط المروه في غيره
فثلثه الموازره والمياسره والافضال فاما الموازره فنوعان
احدهما الاسعاد بالجاه والثاني الاسعاف في النوايب فاما
الاسعاد بالجاه فقد يكون من الاعلى قدرا والانفذ امرا وهو
ارخص المكارم ثمنا والطف الصنايع موقعا وربما كان اعظم
من

من المال نفعا وهو الظل الذي يلجا اليه المضطرون والحمى الذي
ياوي اليه الخايفون فان وطاه اتسع بكثرة الاقبال والشيع وان
قبضه انقطع بنفور الغاشيه والتبع فهو بالبذل ينمي ويزيد وبالكف
ينقص ويبيد فلا عذر لمن منح جاها ان يبخل به فيكون اسوا حالا
من البخيل بماله الذي قد يعده لنوايبه ويستبقيه للذته ويستكثر
لذريته وضد ذلك من بخل بجاهه لانه قد اضاعه بالشح وبذره
بالبخل وحرم نفسه غنيمة مكنته وفرصة قدرته فلم يعقبه الا ندما
على فايت واسفا على ضايع ومقتا يستحكم في النفوس وذما قد ينتشر
في الناس وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الخلق
كلهم عيال الله تعالى فاحب خلق الله اليه احسنهم صنيعا الى عياله
وقال بعض الحكما اصنع الخير عند امكانه يبقى لك حمده عند زوال
ايامه واحسن والدوله لك تحسن اليك والدوله عليك واجعل زمان
رخايك عدة لزمان بلايك وقال بعض البلغا من علامة الاقبال
اصطناع الرجال وقال بعض الادبا بذل الجاه احد الحاسين
وقال ابن الاعرابي العرب تقول من امل شيا هابه ومن جهل شيا
عابه وبذل الجاه قد يكون من كرم النفس وشكر النعمه وضده من
ضده وليس بذل الجاه للناس الجزا بذلا مشكورا وانما هو بايع جاهه

ومعارض علي نعم الله تعالي والايه فكان الذم احق وقال بعض
الادبا العلي ابن عباس الرومي

لا تبذل العرف حين تبذله كمشتري الحمد او كمغتاضه
بل يفعل العرف حين يفعله لجوهر العرف لا لاعراضه

وعلي من اسعد بجاهه ثلثه حقوق يستكثر بها الشكر ولا يستثقلها
كارها لها فيكون بنعم الله تعالي متبرما ولاحسانه متسخطا وقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من عظمت نعمه الله عليه
عظمت موونه الناس عليه فمن لم تحتمل تلك المونه عرض تلك
النعمه للزوال ٥ والثاني مجانبه الاستطاله وترك الامتنان
فانهما من لوم الطبع وضيق الصدر وفيهما هدم الصنيع واحباط
الشكر وقيل للحكيم اليوناني من اضيق الناس طريقا واقلهم صديقا
قال من عاشر الناس بعبوس وجهه واستطال عليهم بنفسه والثالث
ان لا يقترن بشكور سعيه تقريعا بذنب ولا توبيخا على هفوه فلا
يفي مضض التوبيخ بادراك النجح ويصير الشكر وجدا والحمد عتبا
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اقيلوا ذوي الهيات
عثراتهم وقال النابغه الجعدي

الم تعلما ان الملامه نفعها قليل اذا ما الشي ولى فادبرا

واما

واما الاسعاف في النوايب فلان الايام غادره والنوازل غايره والحوادث
عارضه النوايب راكضه فلا يعذر فيها الا عليم ولا يستقل به الا سليم
وقال عدري ابن زيد

كفى زاجرا للمر ايام دهره تروح له بالواعظات وتغتدي

فاذا وجد الكريم مصابا بحوادث دهره حثه الكرم وشكر النعمه
علي الاسعاف فيها وبما استطاع الاستيلا اليه ووجد قدره عليه
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير من الخير معطيه
وشر من الشر فاعله وقيل لبعض الحكما هل شي خير من الذهب والفضه
قال معطيهما والاسعاف في النوايب نوعان واجب وتبرع فاما
الواجب فما اختص بثلثه اصناف وهم الاهل والاخوان والجيران
اما الاهل فلمماسه الرحم وتعاطف النسب وقد قيل لم يسد من
احتاج اهله الي غيره وقال حسان ابن ثابت

وان امرا نال الغني ثم لم ينل قريبا ولا ذا حاجه لزهيد
وان امرا عاد الرجال علي الغني ولم يسل الله الغني لحسود

واما الاخوان فلمستحكم الود ومتاكد العهد سيل الاحنف ابن
قيس عن المروه فقال صدق اللسان ومواساه الاخوان وذكر الله تعالي
في كل مكان ٥ وقال بعض الحكما من العز صحبه الصديق ان

يبذل لك ماله عند الحاجه ونفسه عند النكبه ويحفظك عند
المغيب ورأي بعض الحكما رجلين يصطحبان ولا يفترقان فسال
عنهما فقيل هما صديقان قال فما بال احدهما فقير والاخر غني
واما الجار فلدنو داره في اتصال مزاره وقد قال علي ابن ابي
طالب عليه السلام ليس حسن الجوار كف الاذي ولكنه الصبر
علي الاذي وقال بعض الحكما من اعان جاره اعانه الله واجاره
وقال بعض البلغا من احسن الي جاره دل علي حسن نجاره وقال بعض
الشعراء ● وللجار حق فاحترس من اذايه وما خير جار لا يزال مواذيا ●
فيجب من حقوق المروه وشروط الكرم فيها ولا الثلثه تحمل اثقالهم
واسعافهم ونوايبهم فلا فسحه لذي مروه مع ظهور المكنه ان
يكلهم الي غيره او يلجيهم الي سواله وليلن سايل نفسه عنهم فانهم
عيال كرمه واضياف مروته وكما انه لا يحسن ان يلجي عياله واضيافه
الي الطلب والرغبه فهكذا من عاله كرمه واضافته مروته
وقال بعض الشعراء حق علي السايل المرجو نايله والمستجار به في العرب والعجم
● ان لا ينيل الاقاصي صوت حاجته حتى يخص به الادنى من الخدم ●
● ان الفرات اذا جاشت غواربه روي السواحل ثم امتد في الامم
واما التبرع فمن عداها ولا الثلثه من البعدا الذين لا يدلون بسبب
ولا

ولا يتعلقون بسبب فان تبرع بفضل الكرم وفايض المروه فنهض
في حوادثهم وتكفل بنوايبهم فقد زاد علي شروط المروه وتجاوزها
الي شروط الرياسه قيل لبعض الحكما اي شي من افعال الناس يشبه
افعال الاله قال الاحسان الي الناس وان كف تشاغلا بمن لزم فلا
لوم وما لم يلج اليه مضطرا ذا القيام بالكل معوز والتكفل بالجميع
متعذر فهذا حكم الموازره واما المياسره فنوعان احدهما العفو عن
الهفوات فلانه لا مبرا من سهو او زلل ولا سليم من نقص او خلل
ومن رام سليما من هفوه والتمس بريا من نبوه فقد تعدي علي الدهر
بشططه وخادع نفسه بغلطه وكان من وجود بغيته بعيدا وصار
با فتراحه فردا وحيدا وقد قالت الحكما لا صديق لمن اراد صديقا
لا عيب فيه وقيل لابي شروان هل من احد لا عيب فيه قال من لا
موت له واذا كان الدهر لا يوجد ما طلب ولا يبلغه ما احب وكان
الوحيد في الناس مرفوضا قصيا والمنقطع عنهم بهيما وحشيا
لزمه مساعده زمانه في القضا ومياسره اخوانه في الصفح والا عفا
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالي امرني
بمداراه الناس كما امرني باقامه الفرايض وقال بعض الادباء
خصال لا تجتمع الا في كريم حسن المحضر واحتمال الزله وقله الملال

والثاني المسامحه في الحقوق فاما العفو عن الهفوات

وقال ابن الرومي ٥

فعذرك مبسوط لذنب تقدم وودك مقبول باهل ومرحب
ولو بلغتني عند اذني اقمتها لدى مكان الكاشح المتكذب
فلست بتقليب اللسان مصارما خليلا اذا ما القلب لم يتقلب

واذا كان الاغضاء حتما والصفح كرما لا يريب فحسب العفو ويترك
بقدر الذنب والهفوات نوعان صغاير وكباير والصغاير
مغفوره والكثير النفوس بها معذوره لان الناس مع اهوائهم
المختلفه واخلاقهم المتفاضله لا يسلمون منها وكان الوجد فيها
مطرحا والعتب فيها مستقبحا وقد قال بعض العلما من هجر اخاه
من غير ذنب كان كمن زرع زرعا ثم حصده قبل اوانه وقال ابو
العتاهيه وشر الاخلا من لم يزل يعاتب طورا وطورا يذم
يريك النصيحه عند اللقا ويبريك في السر بري القلم
واما الكبير فنوعان احدهما ان يهفوا بها خاطيا ويزل بها ساهيا
فالحرج فيهما مرفوع والعتب عنهما موضوع لان هفوه الخاطي هدر
ولومه هذر وقال بعض الحكما لا تقطع اخاك الا بعد عجز
الحيله عن استصلاحه وقال الاحنف ابن قيس حق الصديق ان تحتمل
له ثلثا ظلم الغضب وظلم الداله وظلم الهفوه وحكي عن ابن ابي عون
ان

ان غلاما هاشميا عربد على قوم فاراد عمه ان يشي به فقال يا عم
اني قد اسات وليس معي عقلي فلا تسئ بي ومعك عقلك وقال
ابو فراس ٥ لم اواخذك اذ جنيت لاني واثق منك بالاخا الصحيح
فجميل العدو غير جميل وقبيح الصديق غير قبيح

بان تشبه خطاوه بالعمد وسهوه بالقصد فيتثبت ولم يلم بالتوهم
فيكون ملوما ولا يذم بالظن فيصير مذموما ولذلك قيل
التثبيت نصف العفو وقال بعض الحكما لا يفسدك الظن على صديق
قد اصلحك اليقين له وقال بعض الشعرا ٥

فبعض الامر يصلحه بعض فان الغب يصلحه السمين ٥
فلا تعجل بطنك قبل خبر فعند الخبر تنقطع الظنون ٥
ترى بين الرجال العين فضلا وفيما اضمر الفضل المبين ٥
كلون الما مشتبها وليست تخبر عن مذاقته العيون

والثاني ان يتعمدها اجترم من كباير وتقصد ما اجترح من
سيايته فلا يخلوا حاله فيما اتاه من احوال اربعه فالحال الاوله
ان يكون موتورا قد قابل على ترته وكافى على مساته فاللايمه
على من وتره عايده والى البادي بها راجعه لان المكافي اعذر
وان كان الصفح اجمل ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم

اياكم والمشاره فانها تميت العزه وتحيي الغره وقال بعض الحكما
من فعل ما شا لقي ما لم يشا وقال بعض الادبا من نالته اساتك
همته مساتك وقال بعض البلغا من اولع بقبح المعامله اوجع بقبح
المقابله وقال صلح ابن عبد القدوس

اذا وترت امرًا فاحذر عداوته من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا
ان العدو وان ابدا مسالمه اذا راي منك يومًا فرصةً وثبا

والاغضا عن هذا الذنب وحي وان لم تكن المكافاه ذنبًا لانه قد راي
عقبي اساته فان واصل للشر واصلته بالمكافاه وقد قيل يا عزالك
الشر يعزلك وتحسين النصفه بكثر الواصلون وقال بعض الحكما
من كنت سببًا لبلايه وجب عليك التلطف به في علاجه من دابه
وقال اوس ابن حجر

اذا انت لم تعرض عن الجهل والخنا اصبت حليمًا او اصابك جاهل

والحال الثالث ان يكون عدوًا قد استحكمت سخناوه واستوعرت
شراوه واستخشنت ضراوه فهو يتربص بدوايرالسو انتهاز
فرصه ويتجرع بها ناته العجز مراره غصصه فاذا ظفر بنايبه ساعدها
وان شاهد نعمةً عاندها فالبعد منه حذرًا اسلم والكف عنه
متاركه اغنم فانه لا يسلم من عواقب شره ولا يفلت من غوايل مكره

وقد

وقد قالت الحكما لا تعرض لعدوك دولته فاذا زالت كفيت شره
وقال لقمن لابنه يا بني كذب من قال ان الشر بالشر يطفى فان
كان صادقًا فليوقد نارين ولينظر هل يطفي احدهما الاخري
وانما يطفي الخير الشر كما يطفي الما النار وقال جعفر ابن محمد عليه السلم
كفاك من الله بنصر ان يري عدوك يعصي الله فيك وقال بعض
الادبا بالسيره العادله تقهر المعادي وقال البحتري

واقسم لا اجزيك بالشر مثله كفي بالذي جازيتني جازيا

والحال الثالثه ان يكون ليم الطبع خبيث الاصل قد اغراه لوم الطبع
علي سو الاعتقاد وبعثه خبث الاصل علي ايتان الفساد فهو لا يستقبح
الشر ولا يكف عن المكر فهذه الحال اطم لان الاضرار بها اعم ولا
سلامه من مثله الا بالبعد والانقباض ولا خلاص منه الا بالصفح
والاعراض فانه كالسبع في سوارح النعم وكالنار المتاججه في
يابس الحطب لا يقرب بها الا تالف ولا يدنوا منها الا هالك وقد روي
مكحول عن ابي امامه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الناس
كشجره ذات جنا يوشك ان يعودوا كشجره ذات شوك ان ناقدتهم
ناقدوك وان هربت منهم طلبوك وان تركتهم لم يتركوك فقيل يا
رسول الله وكيف المخرج قال اقرضهم من عرضك ليوم فاقتك وقال

عبد الله ابن العباس العاقل الكريم صديق كل احد الا من ضره والجاهل
اللئيم عدو كل احد الا من نفعه وقال بعض الحكماء شر ما في الكريم ان
يمنعك خيره وخير ما في اللئيم ان يكف عنك شره وقال بعض البلغاء
شرف الكريم تغافله عن اللئيم وقال بعض الادباء اعداؤك داؤك
في البعد منهم شفاؤك ووصى بعض الحكماء ابنه فقال يا بني اذا
سلم الناس منك فلا عليك ان لا تسلم منهم فانه قل ما اجتمعت هاتان
النعمتان وقال عبد المسيح ابن نهيله

والخير والشر مقرونان في قرن فالخير متبع والشر محذور

والحال الرابعة ان يكون صديقا قد استحدث نبوة وتغيرا واخر قد
استحدث جفوة وتنكرا فابدى صفحة عتوبه واطرح لازم حقوقه
وعدل عن بر الاخاء الى جفوة الاعداء فهذا قد يعرض في المودات المستقيمه
كما تعرض الامراض في الاجسام السليمه فان عولجت اقلعت وان اهملت
اسقمت واتلفت ولذلك قالت الحكماء داووا المودة بكثرة التعاهد
وقال كشاجم

اقل ذا الود عثرته وقفه على سنن الطريق المستقيمه
ولا تسرع بمعتبة اليه فقد يهفو ونيته سليمه

ومن الناس من يرى ان متاركة الاخوان اذا تغيروا اصلح
واطراحهم اذا فسدوا اولى كاعضا الجسد اذا فسدت كان قطعها
اسلم

اسلم فان شح بها سرت الى نفسه وكالثوب اذا اخلق كان اطراحه
بالجديد احمد من لبسه وقال بعض الحكماء رغبتك فيمن يزهد فيك
ذل نفس وزهدك فيمن يرغب فيك صغر همه وقال بزرجمهر
من تغير عليك في مودته فدعه حيث كان قبل معرفته وقال نصر ابن
احمد الخبزارزي

صل من دنا وتناس من بعدا لا تكرهن على الهوى احدا
قد اكثرت حوا وقد ولدت فاذا جفا ولد فخذ ولدا

وهذا مذهب من قل وفاؤه وضعف اخاؤه وساءت طرائقه وضاقت
خلائقه ولم يكن فيه فضل الاحتمال ولا صبر على الادلال فقابل على
الجفوه وعاتب على الهفوه واطرح سالف الحقوق وقابل على
العقوق بالعقوق فلا بالفضل اخذ ولا الى العفو اخلد وقد
علم ان نفسه قد تطغى عليه فترديه وان حبه قد يسم عليه
فيؤلمه ويؤذيه وهما اخص به واحنى عليه من صديق قد تميز بذاته
وانفصل باداوته فيريد من غيره لنفسه ما لا يجده من نفسه
لنفسه هذا عين المحال ومحض الجهل مع ان من لم يحتمل بقي فردا
وانقلب الصديق فصار عدوا وعداوة من كان صديقا اعظم من
عداوة من لم يزل عدوا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اوصاني
ربي بسبع الاخلاص في السر والعلانيه وان اعفو عمن ظلمني

واعطي من حرمني واصل من قطعني وان يكون صمتي فكرا ونظري
عبرا ونطقي ذكرا وقال لقمن لابنه يا بني لا تترك صديقك الاول
فلا يطمين اليك الثاني يا بني اتخذ الف صديق فالالف قليل
ولا تتخذ عدوا واحدا فالواحد كثير وقيل للمهلب ابن ابي صفرة
ما تقول في العفو والعقوبة قال هما بمنزلة الجود والبخل فتمسك
بايهما شيت وانشد ثعلب

اذا انت لم تستقبل الامر لم تجد بكفيك في ادباره متعلقا

اذا انت لم تترك اخاك وزلة اذا زلها اوشكتما ان تفرقا

فاذا كان الامر على ما وصفت فمن حقوق الصفح الكشف عن
سبب الهفوة ليعرف الدا فيعالجه فان لم يعرف الدا لم يبق على
الدوا وكان كما قال المتنبي

فان الجرح ينفر بعد حين اذا كان البنا على فساد

واذا كان ذلك كذلك فلا يخلو حال السبب من ان يكون لخلل
او زلل فان كان لخلل فوداد الملول ظل الغمام وحلم النايم وقد
قيل في منثور الحكم لا تامنن ملولا وان تحلى بالصلة وعلاجه
تبرك على ملله فيستمل الجفا كما مل الاخا وان كان لزلل لوحظت
اسبابه فان كان لها مدخل في التاويل وشبهة تؤول الى الجميل
حمله

حمله على احل ناويله وصرفه الى احسن جهته كالذي حكي خالد
ابن صفوان انه مر به صديقان له فعرج اليه احدهما وطواه الاخر
فقيل له في ذلك فقال نعم عرج هذا علينا بفضله وطوانا ذاك
بثقته وانشد بعض اهل الادب لمحمد ابن داود الاصبهاني

ويزعم للواشين اني فاسد عليك واني لست فيما عهدتني

وما فسدت لي يشهد الله نية عليك ولكن خنتني فاتهمتني

وخنت لعهدي عامدا واخنتني فخنت ولو امنتني لامنتني

وان لم يكن للزلة في التاويل مدخل نظر حاله بعد ذلك فان ظهر
ندمه وبان خجله فالندم توبة والخجل انابة ولا ذنب لتايب ولا لوم على
منيب ولا يكلف عذرا عما سلف فيلجا الى ذل التحريف او خجل التعنيف
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والمعاذر فان اكثرها
مفاجره وقال علي ابن ابي طالب عليه السلم كفى بما يعتذر منه تهمة وقال
مسلم ابن قتيبة لرجل اعتذر اليه لا يدعونك امر قد تخلصت منه الى
الدخول في امر لعلك لا تخلص منه وقال بعض الحكما شفيع
المذنب اقراره وتوبته اعتذاره وقال بعض البلغا من لم يقبل
التوبة عظمت خطيته ومن لم يحسن الى التايب قبحت اساته وقال
بعض الادبا الكريم اوسع ما يكون مغفرة اذا ضاق بالمذنب العذر

وقال بعض الشعراء العذر يلحقه التحريف والكذب وليس في عذر من يرضيك لي ارب
وقد اسات فبالنعمى التي سلفت الا مننت بعفو ما له سبب
وان عجل العذر قبل توبته وقدم التنصل قبل انابته فالعذر توبة
والتنصل انابة فلا يكشف عن باطن عذره ولا يعنف بظاهر عذره
فيكون لئيم الظفر سيء المكافاة وقد قيل من غلبه الحقد فلا تعتز
بمودته وقال بعض الحكما شافع المذنب خضوعه الى عدوه فقال
بعض الشعراء اقبل معاذير من ياتيك معتذرا ان بر عندك فيما قال او فجرا
فقد اطاعك من يرضيك ظاهره وقد اجلك من يعصيك مستترا
وان ترك نفسه في ذلك ولم يتداركه بعذره وتنصله ولا محاه بتوبته
وانابته راعيت حاله في المتاركة فستجده لا ينفك فيها من امور ثلثه
اما ان يكون قد كف عن سيئ عمله واقلع عن سالف ذلك فالكف
احدى التوبتين والاقلاع احد العذرين فكن انت المعتذر عنه
بصفحك والمتنصل له بفضلك فقد قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
المحسن على المسيء امير والثاني ان يكون قد وقف على ما اسلف
من ذلك غير تارك ولا متجاوز فوقوف المرض احدى البرئين
وكفه عن الزيادة احدى الحسنيين وقد استبقى بالوقوف عن
التجاوز احدى شطريه فعول به على صلاح شطره الاخر واياك
وارجاه

وارجاؤه فان الارجا يفسد شطر صلاحه والتلافي يصلح شطر فساده
فان من سقم في جسمه فان لم يعالجه سرى السقم الى صحته وان
عالجه سرت الصحه الى سقمه والثالث ان يتجاوز مع الاوقات
ويزيد فيه على مرور الايام فهذا هو الدا العضال فان امكن استدراكه
وتاتى استصلاحه بالمساله عنه ان علا وبارغابه ان دنا وبعثا به
ان ساوى والا فاخر الدا العليا الكي ومن بلغت به الاعذار الى
غايتها فلا لايمه عليه والمقيم على شقاقه باغ مصروع وقد قيل من
سل سيف البغي اغمد في راسه فهذا شرط واما المسامحة في الحقوق
فان الاستيفا موحش والاستقصا منفر ومن اراد كل حقه من
النفوس المستصعبه بشح او طمع لم يصل اليه الا بالمنافره والمشاقه
ولم يقدر عليه الا بالمخاشنه والمشاحنه وقد استقر في الطباع مقت
من شاقها ونافرها وبغض من شاحها ونازعها كما استقر فيها حب
من سامحها وياسرها فكان الين الامور بالمروءه استعطاف النفوس
بالمسامحه والمياسره وتالفها بالمقاربه والمساهله وقد قال
بعض الحكما من عاشر اخوانه بالمسامحه دامت له مودتهم وقال
بعض الادبا اذا احرزت عفو القلوب ذكا ريعك وان استقصيت
الحديث والمسامحه نوعان في عقود وحقوق فاما العقود فهو

ان يكون فيها سهل المتاجرة قليل المحاورة مامون الغيبة بعيدًا
من المكر والخديعة روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اجملوا في طلب الدنيا فان كلا ميسر لما خلق له ولما كتب له منها
وقال صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على شي يحبه الله ورسوله قالوا
بلى يا رسول الله قال التغابن للضعيف وحكى ابن عون ان عمرو
ابن عبيد اشترى للحسن البصري ازارا بست دراهم ونصف
فاعطاه التاجر سبعة دراهم فقال له ثمنه ست دراهم ونصف فقال
اني اشتريته لرجل لا يقاسم اخاه درهما ومن الناس من يرى ان
المساهلة في العقود عجز وان الاستقصا فيها حزم حتى انه ليناقش
في التافه الحقير وان جاد بالجزل الكثير كالذي حكي عن عبد الله
ابن جعفر وقد ماكس في درهم وهو يجود بما يجود به فقيل له في
ذلك فقال ذاك مالي اجود به وهذا عقلي ابخل به وقيل بخلت به
وهذا انما يسوغ من اهل المروة في دفع ما انخداعهم به الادنيا
ويغابنهم به الاشحا وهكذا كانت حاله عبد الله ابن جعفر فاما
ما كسبه الاسترسال والاستسماح فكلا لانه مناف للكرم ومباين
للمروة واما الحقوق فتنوع المسامحة فيها لنوعين احدهما
في الاحوال والثاني في الاموال فاما المسامحة في الاحوال
فهو

فهو اطراح المنازعة في الرتب وترك المنافسة في التقدم فان
مسامحة النفوس فيها اعظم والعناد عليها اكثر فان سامحهم
فيها ولم ينافس كان مع اخذه بافضل الاخلاق واستعماله لاحسن
الاداب اوقع في النفوس من افضاله برغايب الاموال ثم هو
ازيد في رتبته وابلغ في تقدمه فان شاح فيها ونازع كان مع
ارتكابه لاحسن الاخلاق واستعماله لاهجن الاداب وانكا في
النفوس من حد السيف وطعن السنان ثم هو احفض للرتبة
وامنع من التقدم حكي ان فتى من بني هاشم تخطا رقاب الناس
عند ابن ابي دواد فقال له يا بني ان الاداب ميراث الاشراف
ولست ارى لك من سلفك ارثا واما المسامحة في الاموال
فتنوع ثلثة انواع مسامحة اسقاط العدم ومسامحة تخفيف العجز
ومسامحة انظار لعسر وهي مع اختلاف اسبابها تفضل ماثور وتالف
مشكور واذا كان الكريم قد يجود بما تجود به يده ويتقدر فيه تصرفه
كان اولي ان يجود بما خرج عن يده ويتقدر فيه تصرفه وكان
اولي ان يجود بما خرج عن يده وطاب نفسا بفراقه من فضل المسامحة
في الحقوق الى من لا يقبل البر ويابي الصلة فيكون احسن موقعا
وازكي محلا وربما كانت المسامحة فيها الم من رد السايل ومنع

المجتدي لان السايل كما اخبري على سوالك فستبحري ان رددته
على سوال غيرك وليس كل من صار اسير حقك ورهين ذنبك تجد بُدًّا
من مُساحتك ومياسرتك ثم لك مع حسن الثنا وجزيل الاجر وقال محمود
الوراق ٥ المرا بعد الموت احدوثه يفنى وتبقى منه اثاره
فاحسن الحالات حال امراء يطيب بعد الموت اخباره
فهذا حال المياسر واما الافضال فنوعان افضال واصطناع وافضال
واستكفاف ودفاع فاما افضال الاصطناع فنوعان احدهما
ما اسداه جودا في شكور والثاني ما ابا الف به في سوه ونفور وكلاهما
من شروط المروه لما فيها من ظهور الاصطناع وتكاثر الاشاع والاتباع
ومن قلت صنايعه في الشاكرين واعرض عن تالف النافرين كان
فردا مهجورا وتابعا محقورا ولا مروه لمتروك مطرح ولا قدر لمحقور
وقال عمر ابن عبد العزيز ما طاوعني الناس على شي اردته من الحق
حتى بسطت لهم طرفا من الدنيا وقال بعض الحكما اقل ما يجب لمنعم بنعمته
ان لا يتوصل بها الى معصيه وانشد بعض الاعراب
من جمع المال ولم يجد به وجمع المال لعام جدبه هان على الناس هوان كلبه
وقال اسحق ابن ابرهيم الموصلي
يبقى الثنا وتذهب الاموال ولكل دهر دوله ورجال
ما

ما نال محمدة الناس وشكرهم الا الجواد بماله المفضال
لا ترض من رجل حلاوه قوله حتى يصدق ما يقول فعال
فان ضاقت به الحال عن الاصطناع بماله فقد عدم من الله المكارم
عمادها وفقد من شروط المروه سنادها فليواس بنفسه مواساه المتا
عف
وليسعد بها اسعاد متالف كما قال المتنبي
فليسعد النطق ان لم يسعد الحال ٥ وان كان لا براها
وان جهدها الا ابتغا للمفضلين قليله بين المكثرين فان الناس لا شياو
وت
بين المعطي والمانع بينهم فان عقل استكفاف السفها واعرض عن استد
فاع
اهل البذا صار المعطي والمانع لا يغنيهم القول دون الفعل ولا يغنيهم
الكلام عن المال ويرونه كالصدى ان رد صوتا لم يجد نفعا وكما قال
الشاعر ٥ تجود بالوعد ولكنه يدهن من قاروره فارغه
فكلما خرج عنهم عن المال كان فارغا وكلما عدا الافضال به كان هينا
وقد قدمنا القول في شروط الافضال ما اقنع واما افضال الاستكفا ف
فلان ذا الفضل لا يعدم حاسد نعمه ومعاند فضيله يغري به الجهل
باظهار عناده ويبعثه اللوم على البذا بسفهه فان عقل عن استكفا ف
السفها واعرض عن استدفاع اهل البذا صار عرضه هدفا للمثالب
وحاله عرضه للنوايب واذا استكف السفيه واستدفع البذي صان

عرضه وحمى نعمته وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال ذبوا باموالكم عن اعراضكم وامتدح رجل الزهري فاعطاه
قميصه فقال له رجل اتعطي على كلام الشيطان فقال من ابتغى الخير اتقى
الشر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم من اراد بر الوالدين
فليعط الشعرا وهذا صحيح لان الشعر سائر يسير به ما ضمن من مدح وهجا
ولاجل ذلك قيل لا تواخ شاعرا فانه يمدحك بثمن ويهجوك مجانا والاستكفاف
السفها بالافضال شرطان احدهما ان تخفيه حتى لا ينتشر فيه مطامع
السفها فيتوصلوا الى اجتذابه بسبه والى ماله بثلبه والثاني ان يطلب
له في المجامله وجها تجعله في الافضال عليه سببا لئلا يرى انه على
السفه قد اعطى ولاجل البذا قد حبي فيغرى بذلك بزياده السفه
واستدامه البذا واعلم انك ما حييت مخلوط المحاسن محفوظ المساوي
ثم من بعد ذلك حديث منتشر لا يراقبك صديق ولا يحامي عنك شفيق
فكن احسن حديث ينتشر يكن سعيك في الناس مشكورا واجرك
عند الله تعالى مدخورا فقد روى زياد ابن الجراح عن عمر
ابن ميمون الاودي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتنم
خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك
قبل فقرك وهذا ما اقتضاه هذا الفصل من شروط المروه وان
كان

كان ما سواها هذا كله من شروطها وما اتصل بحقوقها

الفصل الثامن من ادب المنثوره

اعلم ان من الادب مع اختلافها تتنقل الاحوال وتغير العادات لا
يمكن استيعابها ولا يقدر على حصرها وانما يذكر كل انسان ما بلغه
الوسع من اداب زمانه واستحسن بالعرف من عادات دهره ولو
امكن ذلك لكان الاول قد اغنى الثاني عنها والمتقدم قد كفى المتاخر
بكلفها وانما حظ الاخير ان يعاني حفظ الشارد وجمع المتفرق ثم
يعرض ما تقدم على حكم زمانه وعادات وقته فيثبت ما كان موافقا
وينفي ما كان مخالفا ثم يستمد خاطره في استنباط زياده واستخراج
فايده فان اسعف بشي فاز بدركه وحظي بفضيلته ثم يعبر عن
ذلك كله بما كان مالوفا من كلام الوقت وعرف اهله فان لاهل
كل وقت في الكلام عاده تولف وعباره تعرف ليكون اوقع في النفوس
واسبق الى الافهام ثم يرتب ذلك على اوايله ومقدماته ويبنيه
على اصوله وقواعده حسب ما يقتضيه الجنس فان لكل نوع من
العلوم طريقه هي اوضح مسلكا واسهل ماخذا فهذه خمسه
شروط هي حظ الاخير مما يعانيه وكذا القول في كل تصنيف مستحدث
فلولا ذلك لكان تعاطي ما تقدم به الاول عناء ضايعا وتكلفا

مستنهجنا وارجوا ان يهدينا لتوفيق لنا دبه هذه الشروط وتنهضنا
المعونة بتوفيته هذه الحقوق حتى نسلم من ذم التكلف ونبرا من
عيب التقصير وان كان المسي معفورا او الخاطي معذورا فقد قيل
من صنف كتابا فقد استهدف فان احسن فقد استعطف وان اسا فقد
استقذف وقد مضت ابواب تضمنت فصولا رايت اتباعها بما لا يجب
الاخلال به فمن ذلك حال الانسان في ماكله ومشربه فان الداعي الى
ذلك شيان حاجة ماسة وشهوة باعثة فاما الحاجة فتدعوا
الى سد الجوعة وسكن الظما وهو مندوب اليه عقلا وشرعا
لما فيه من حفظ النفس وحراسة الحواس ولذلك ورد الشرع
بالنهي عن الوصال بين اليومين لانه يضعف الجسد ويميت النفس
ويعجز عن العباده وكل ذلك يمنع منه الشرع ويدفع عنه العقل
وليس لمن منع نفسه قدر الحاجة حظ من بر ولا نصيب من
زهد لان ما حرمها من فعل الطاعات بالعجز والضعف اكثر
ثوابا واعظم اجرا اذ ليس في ترك المباح ثواب يفي بل فعل
الطاعات واما القرب ومن اخر نفسه رنحا موفورا وحرمها
اجرا مدخورا كان زهده في الخير اقوى من رغبته ولم يبق عليه
من هذا التكلف الا الشهوه برايه وتمنعه واما الشهوه فتتنوع
نوعين

نوعين احدهما شهوه في الاكثار والزياده والثاني شهوه في
تناول الالوان الملذه فاما النوع الاول وهو شهوه الزياده
على قدر الحاجة والاكثار على مقدار الكفايه فهو ممنوع منه في
العقل والشرع كما كان على قدر الكفايه مندوبا اليه بالعقل
والشرع لان تناول ما زاد على الكفايه نهم مغر وشره مضر
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم والبطنه
فانها مفسدة الدين مورثه السقم مكسله عن العباده وقال علي
ابن ابي طالب عليه السلام اذا كنت بطنا فعدك زمنا وقال
بعض البلغاء اقلل طعاما تحمد مناما وقال بعض العلما لا تبتذل
العلم معده مليت طعاما وقال بعض الادباء الرغب لوم والنهب
شوم وقال الحكما اكبر الدوا تقدير الغدا وقال بعض الشعراء

فكم من اكلة منعت اخاها ... بلذة ساعه اكلات دهره
وكم من طالب يسعى لامر ... وفيه هلاكه لو كان يدريه

روي ابو يزيد المديني عن عبد الرحمن ابن المرقع قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه لم يخلق وعا ملي شر من بطن
فان كان لا بد فاعلا فاجعل ثلثا للطعام وثلثا للشراب وثلثا
للريح واما النوع الثاني وهو شهوه الاشيا الملذه ومنازعة

النفس لاطلب الانواع الشهيه فمذاهب الناس في تمكين النفس
فيها مختلفه فمنهم من يري ان صرف النفس عنها اولي وفطمها عن
اتباع شهواتها احري ليذل له قيادها ويهون عليه عنادها
لان تمكينها وما تهوي بطر يطغي واشر يردي لان شهواتها غير
متناهيه فاذا اعطاها المراد من شهوات وقتها تعدتها الي شهوات
قد استحدثتها فيصير الانسان اسير شهوات لا تنقضي وعبد هوي
لا ينتهي ومن كان بهذه الحال لم يرج له صلاح ولم يوجد فيه
فضل وانشدت لابي الفضل البستي

يا خادم الجسم كم تشقي بخدمته لتطلب الربح مما فيه خسران
اقبل على النفس واستكمل فضايلها فانت بالنفس لا بالجسم انسان

وللحذر من هذه الحال ما حكي ان ابا حازم كان يمر على الفاكهة
فيشتهيها فيقول موعدك الجنه وقال اخرون تمكين النفس من لذاتها
اولي واعطاؤها ما اشتهت من المباحات احري لما فيه من ارتياح النفس
بنيل شهواتها ونشاطها بادراكها فينحسر عنها بله المقهور وبلاده المحصور
فلا تقصر عن درك ولا تغص في نصح ولا تنكل عن استعانه وقال
اخرون بل توسط الامرين اولي في اعطائها كل شهواتها سلاطه
والنفس السليطه معانده في منعها من جميع شهواتها بلاده والنفس
البليد

البليده عاجزه وفي منعها عن البعض كف لها عن السلاطه وفي تمكينها
من البعض حسم لها عن البلاده وهذا لعمري اشبه المذاهب بالسداد
لان التوسط في الامور احمد وقد مضي الكلام في الماكول والمشروب
فينبغي ان نتبع بذكر الملبوس واعلم ان الحاجه وان كانت الي الماكول
والمشروب ادعي فهي الي الملبوس ماسه ولها اليه فاقه لما في
اللباس من حفظ الجسد ودفع الاذي وستر العوره وحصول الزينه
قال الله تعالي يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم
وريشا ولباس التقوي ذلك خير فمعني قوله قد انزلنا عليكم لباسا
اي قد خلقنا لكم ما تلبسون من الثياب يواري سواتكم اي يستر
عوراتكم وسميت العوره سوءه لان يسوء صاحبها انكشافها من جسده وقوله
وريشا فيه اربع تاويلات احدها انه المال وهو قول مجاهد والثاني
انه اللباس وهو العيش والنعيم وهو قول ابن عباس والثالث المعاش
وهو قول معبد الجهني والرابع انه الجمال وهو قول عبد الرحمن
ابن زيد وقوله ولباس التقوي فيه سته تاويلات احدها انه
لباس التقوي وهو الايمان وهو قول قتاده والسدي والثاني
انه العمل الصالح وهو قول ابن عباس والثالث انه السمت الحسن
وهو قول عثمن ابن عفان والرابع هو خشية الله تعالي وهو قول

عروة ابن الزبير والخامس هو الجمال وهو قول معبد الجهني والسادس
هو ستر العورة وهو قول عبد الرحمن ابن زيد وقوله ذلك خير فيه
تاويلان احدهما ان ذلك راجع الى جميع ما تقدم من قوله قد انزلنا
عليكم لباسا يواري سواتكم وريشا ولباس التقوى ثم قال ذلك
الذي ذكرته خير كله والثاني ان ذلك الى لباس التقوى ومعنى
الكلام ان لباس التقوى خير من الرياش واللباس وهذا قول قتاده
والسدي فلما وصف الله تعالى حال اللباس واخرجه مخرج الامتنان
علم انه معونة منه لشدة الحاجة اليه واذا كان كذلك ففي اللباس
ثلثة اشيا احدها دفع الاذى والثاني ستر العورة والثالث الجمال
والزينة فاما دفع الاذى به فواجب بالعقل لان العقل موجب
دفع المضار واجتلاب المنافع وقد قال الله تعالى والله جعل لكم مما
خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل
تقيكم باسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون فاخبر بحالها ولم يامر بها
اكتفا بما يقتضيه العقل واستغنا بما يبعث عليه الطبع ويعني بالظلال
الشجر وبالاكنان جمع كن وهو الموضع الذي يستكن فيه ومعنى قوله
سرابيل تقيكم الحر ثياب القطن والكتان والصوف وبقوله وسرابيل
تقيكم باسكم الدروع التي تقي الناس وهي في الحرب فان قيل فكيف

قال

قال تقيكم الحر ولم يذكر البرد وقال وجعل لكم من الجبال اكنانا ولم يذكر
السهل قيل عن ذلك جوابان احدهما ان القوم كانوا اصحاب جبال وخيام
فذكر لهم الجبال وكانوا اصحاب حر دون برد فذكرهم نعمة الله عليهم
فيما هو مختص بهم وهذا قول عطاء والجواب الثاني انه يكتفى باحدها عن
ذكر الاخر اذا كان معلوما ان السرابيل التي تقي الحر تقي البرد وما اتخذ
من الجبال اكنانا اتخذ من السهل وهذا قول الجمهور واما ستر العوره
فقد اختلف الناس فيه هل وجب بالعقل او بالشرع فقالت طائفة
وجب سترها بالعقل لما في ظهورها من القبح وما كان قبيحا فالعقل
مانع منه الا ترى ان ادم وحوى لما اكلا من الشجرة التي نهيا عنها
بدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة تنبيها بعقولهما
عن سترها ورأياه مستقبحا من سواتهما لانهما لم يكونا قد كلفا سترها لم يبد
لهما ولا كلفاه بعد ان بدت لهما وقيل سترهما وقالت طائفة اخرى
بل ستر العورة واجب بالشرع لانه ستر بعض الجسد والذي لا يوجب
العقل ستر باقيه وانما اختصت العورة بحكم شرعي فوجب ان يكون
ما يلزم من سترها حاصلا شرعيا وقد كانت قريش واكثر العرب
يطوفون بالبيت عراة ويحرمون على نفوسهم اللحم والودك ويرون
ذلك ابلغ في القربة وانما القربة ما استحسنت في العقل حتى انزل

لما كانوا عليه من وفور العقل وصحة الالباب صح

الله تعالى يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا
تسرفوا انه لا يحب المسرفين يعني بقوله زينتكم الثياب التي تستر عوراتكم
وكلوا واشربوا ما حرمتموه على انفسكم من اللحم والودك وفي قوله تعالى
ولا تسرفوا تاويلان احدها لا تسرفوا في التحريم وهذا قول السدي والثاني
لا تاكلوا حراما فانه اسراف وهذا قول ابن زيد فاوجب بهذه الايه
ستر العوره بعد ان لم يكن العقل موجبا له فدل ذلك على ان سترها
وجب بالشرع دون العقل واما الجمال به والزينه فهي مستحسنه بالعرف
والعاده من غير ان يوجبه شرع او عقل وفي هذا النوع قد يقع
التجاوز والتقصير والتوسط المطلوب فيه معتبر من وجهين احدهما
من صنعه الملبوس وكيفيته والثاني في جنسه وقيمته فاما صفته
فمعتبره بالعرف من وجهين احدهما عرف البلاد فان لاهل
المشرق زيا مالوفا ولاهل المغرب زيا مالوفا وكذا لمن سواهما
من الاجناس المختلفه عادات في اللباس مختلفه والثاني عرف
الاجناس فان للاجناد زيا مالوفا وللتجار زيا مالوفا وكذا لمن
سواهما من الاجناس المختلفه عادات في اللباس مختلفه وانما
اختلفت عادات الناس في ملابسهم من هذين الوجهين ليكون
اختلافهم فيها سمه يتميزون بها وعلامه لا يخفون معها فان عدل

احد

احد في لباسه عن عرف بلده وجنسه كان ذلك فيه خرقا وحمقا
وكذلك قيل العري الفادح خير من الزي الفاضح واما جنس الملبوس
وقيمته فمعتبر من وجهين احدهما بالمكنه من اليسار والاعسار فان
للموسر في الزي قدرا والمعسر دونه والثاني بالمنزله والحال
فان لذي المنزله الرفيعه في الزي قدرا وللمنخفض عنه دونه
ليتفاضلوا على حسب تفاضل احوالهم فيصيروا به مميزين فان عدل
الموسر الي زي المعسر كان شحا وبخلا وان عدل الرفيع الي زي الدني
كان مهانه وذلا وان عدل المعسر الي زي الموسر كان تبذيرا وترفا
وان عدل الدني الي زي الرفيع كان جهلا وتخلفا ولزوم العرف
المعهود واعتبار الحد المقصود ادل على العقل وامنع من الذم
وكذلك قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه اياكم ولبستين
لبسه مشهوره ولبسه محقوره وقال بعض الحكما البس من الثياب ما
لا يزدريك فيه العظما ولا يعيبه عليك العلما وقال بعض الشعراء

ان العيون رمتك اذ فاجاتها ... وعليك من شهر الثياب لباس
اما الطعام فكل لنفسك ما تشا ... واجعل لباسك ما اشتهاه الناس

واعلم ان من المروه ان يكون الانسان معتدل الحال في مراعاه لباسه
من غير اكثار ولا اطراح فان اطراح مراعاتها وترك تفقدها مهانه وذل

لا

وكثرة مراعاتها وصرف الهمه الي العنايه بها دناه ونقص وربما توهم
بعض من خلا من فضل وعري من تمييز ان ذلك هو المروه الكامله
والسيره الفاضله لما يري من تميزه بذلك عن الاكثرين وخروجه عن
جمله العوام المتبذلين وخفي عنه انه اذا عدا طوره وتجاوز قدره
كان اقبح لذكره وابعث على ذمه وكان كما قال المتنبي

لا يعجبن مضيما حسن بزته • وهل يروق دفينا جوده الكفن

حكي المبرد ان رجلا من قريش كان اذا اتسع لبس رث ثيابه واذا
ضاق لبس احسنها فقيل له في ذلك فقال اذا اتسعت تزينت بالجود
واذا ضقت فبالهيئه وقد اتى ابن الرومي بابلغ من هذا المعنى في شعره
فقال •

وما الحلي الا زينه لنقيصه • تتمم من حسن اذا الحسن قصرا
فاما اذا كان الجمال موفرا • كحسنك لم يحتج الي ان يزورا

وكذلك قالت الحكما لبيت العز في حسن البز وقال بعض الشعرا

• ونرى سفيه القوم يلبس عرضه • سفها ويمسح نعله وشراكها

واذا اشتد كلفه بمراعاه لباسه قطعه ذلك عن مراعاه نفسه وصار
الملبوس عنده اشرف وهو على مراعاته احرص وقد قيل في منثور
الحكم البس من الثياب ما يخدمك ولا يستخدمك وقال خالد ابن
صفوان لاياس ابن معويه اراك لا تبالي ما لبست قال البس ثوبا
يقي

اني به نفسي احب الي من لبس ثوب اقيه بنفسي وكما انه لا يكون
شديد الكلف بها فكذا لا يكون شديد الاطراح لها فقد حكي ابن عايشه
ان رجلا جا الي النبي صلى الله عليه وسلم فنظر اليه رث الهيبه فقال ما لك
قال من كل المال قد اتاني الله قال فان الله يحب اذا انعم على امري نعمه
ان ينظر الي اثرها عليه • وقد قيل المروه الظاهره في الثياب الطاهره
وهكذا القول في غلمانه وحشمه ان اشتد كلفه بهم صار عليهم قيما
ولهم خادما وان اطرحهم قل رشادهم وظهر فسادهم وصاروا سببا
لمقته وطريقا الي ذمه لكن يكفهم عن سيي الاخلاق ويأخذهم باحسن
الاداب كما قال فيهم الشاعر

• سهل الفنا اذا حللت ببابه • طلق اليدين مهذب الخدام •

وليكن من يتفقد احوالهم على ما يحفظ حمله ويصون بذله فقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذهبوا يذهب البوس عنكم
والبسوا تظهر نعمه الله عليكم واحسنوا الي مماليككم فانه اكبت لعدوكم
وليتوسط فيهم حالتي اللين والخشونه فانه ان لان هان عليهم وان خشن
مقتوه وكان على خطر منهم حكي ان الموبذ سمع ضحك الخدم في مجلس ابي
شروان فقال له اما تمنع هولا الغلمان فقال ابو شروان انما يهابنا اعداونا
وقال ابو تمام الطاي في حفظ الصديق عند تمام حاله لصديقه عن صدقه وثقافه

فلينظرن المرا من غلمانه فهم خلايفهم على اخلاقه واعلم ان
للنفس حالتين حاله استراحه ان حرمتها اياه كلت وحاله تصرف ان
ارحتها فيه اختلت فالاولى بالانسان تقدير حالتيه حاله نومه
ودعته وحاله تصرفه ويقظته فان لهما قدرا محدودا وزمانا مخصوصا
يضر بالنفس مجاوزة حدها وبغير زمانها وقد روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال نومه الصبحه معجزه منفخه مكسله مورثه
معسله منشاه للحاجة وقال عبد الله ابن عباس النوم ثلثه نومه خرق
وهي الصبحه ونومه خلق وهي القايله ونومه حمق وهي العشا وقد
روي مجاهد بن برداد عن ميمون ابن مهران عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم نوم الضحى خرق والقيلوله خلق ونوم
العشا حمق وقيل في منثور الحكم من لزم الرقاد عدم المراد فان اعطى
النفس حقها من النوم والدعة واستوفى حقه منها بالتصرف واليقظه
خلص بالاستراحه من عجزها وكلالها وسلم بالرياضه من بلادتها
وفسادها حكي ان عبد الله ابن عمر ابن عبد العزيز دخل على ابنه
فوجده نايما فقال له يا ابه تنام والناس بالباب فقال يا بني نفسي
مطيتي واكره ان اتعبها فتقوم بي وينبغي ان يقسم حال تصرفه ويقظته
على المهم في حاجاته فان حاجة الانسان لازمه والزمان يقصر
عن

عن استيعاب المهم فكيف بان تجاوزا الى ما ليس بمهم هل يكون
الاكثار كه يبضها بالعرا وملبسه بنص اخرى حاجا ثم عليه ان يتصفح
في ليله ما صدر من افعال نهاره فان الليل احضر للخاطر واجمع للفكر
فان كان محمودا امضاه واتبعه بما شاكله وضاهاه وان كان مذموما
استدركه ان امكن وانتهى عن مثله في المستقبل فانه اذا فعل
ذلك وجد افعاله لا تنفك من اربعة احوال اما ان يكون قد
اصاب فيها الغرض المقصود بها او يكون قد اخطا بها فوضعها
في غير موضعها او يكون قد قصر فيها فنقصت عن حدودها او
يكون قد زاد فيها حتى تجاوزت حدودها وهذا التصفح انما هو
استظهار بعد تقديم الفكر قبل الفعل ليعلم به مواقع الاصابة
وينتهز به استدراك الخطا وقد قيل من كثر اعتباره قل عثاره
وكما يتصفح افعال نفسه فكذا يجب ان يتصفح افعال غيره فربما كان
استدراك الصواب منها اسهل لسلامه النفس من شبه الهوى
وخلو الخاطر من حسن الظن فان ظفر بصواب وجده من غيره او
اعجبه جميل من فعل زين نفسه بالعمل به فان السعيد من تصفح
افعال غيره فاقتدى باحسنها وانتهى عن سيئها وقد روي زيد ابن
خالد الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال السعيد من وعظ

بغير وقال الشاعر ٥

ان السعيد له من غيره عظه وفي التجارب تحكيم ومعتبر

وانشد بعض اهل العلم لطاهر ابن الحسن

اذا اعجبتك خصال امراء فكنه يكن منك ما يعجبك ٥

فليس على المجد والمكرمات اذا جيتها حاجب يحجبك

فاما ما يرومه من اعماله ويوثر الاقدام عليه من مطالبه فيجب ان
يقدم الفكر قبل دخوله فان كان الرجا فيه اغلب من الاياس
منه وحمدت العاقبه فيه سلكه من اسهل مطالبه والطف جهاته
ويقدر شرفه يكون الاقدام وان الاياس اغلب عليه من الرجا
مع شده التغرير ودناه الامر المطلوب فليحذر ان يكون له
معترضا فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا
هممت بامر فتفكر في عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان
غيا فانته عنه وقال الحكما طلب ما لا يدرك عجز وقال بعض
الشعراء ه فاياك والامر الذي ان توسعت موارده ضاقت عليك
المصادره فاحسن ان يعذر المرا نفسه وليس له من ساير الناس عاذر
وليعلم ان لكل حين من ايام عمره خلقا وفي كل وقت من اوقات
دهره عملا فان تخلق في كبره باخلاق الصغر وتعاطى افعال الفكاهه
والبطر

والبطر استصغره من هو اصغر وحقره من هو اقل واحقر وكان
كالمثل المضروب بقول الشاعر ٥

وكل بازيحبسه هرم تخرا على راسه العصافير

كن ايها العاقل مقبلا على شانك راضيا عن زمانك مسلما لاهل دهرك
جاريا على عاده عصرك منقادا لمن قدمه الناس عليك متحببا الى
من قدمك الناس عليه ولا تباينهم بالعزله عنهم فيمقتوك ولا تجاهرهم
بالمخالفه لهم فيعادوك فلا عيش لممقوت ولا راحه لمعاد وانشد بعض
اهل الادب ٥ اذا اجتمع الناس في واحد وخالفهم في الرضا واحد

فقد دل اجماعهم دونه على عقله انه فاسد

اجعل نصح نفسك غنيمه عقلك ولا تداهنها باخفا عيبك واظهار
عذرك فيصير عدوك احظا بك في زجر نفسه بانكارك وتجاهرك
من نفسك التي هي احص بك لاغرابك لها باعذارك ومسارتك
فتحسبك سوا برجل ينفع عدوه ويضر نفسه وقد قال بعض الحكما اصلح
نفسك لنفسك تكن الناس تبعا لك وقال بعض البلغاء من
اصلح نفسه ارغم انف اعاديه ومن اعمل جده بلغ كنه امانيه وقال
بعض البلغاء من عرف معايبه لم يلم من عابه وانشدني ابو
ثابت النحوي لبعض الشعراء ٥ ٥

ومصروفه عيناه عن عيب نفسه ولو بان عيب من اخيه لابصرا

ولوكان ذا الانسان ينصف نفسه لامسك عن عيب الصديق وقصرا

فهذب ايها العاقل نفسك بانكار عيوبك وامنعها لتنفعك

لعدوك فان من لم يكن له من نفسه واعظ لم ينفعه المواعظ

اعاننا الله واياكم على القول بالعمل وعلى النصح بالقبول

اخر الكتاب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا

محمد واله وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل

تم نقل الكتاب المبارك بحمد الله تعالى نهار السبت

عشر شهر الله المحرم سنة ثمان وسبعين و...

احسن الله عاقبتها

على يد المملوك خليل الانصاري الحسيني

عفا الله عنه

باب الاعسار بالنفقة وفيه مسائل ا اذا اعسر الزوج عن النفقة فالذي نص عليه
القول قديما وحديثا انها بالخيار ان شاءت صبرت وانفقت من مال نفسها او استقرضت ونفقة ما بيد ذمته
الا ان يوسر وان شاءت طلبت بفسخ النكاح قال وقد قيل لا فسخ وبه قال ابو حنيفة رحمه الله ورضي عنه
اختارها واختلف الاصحاب على طريقين ا وهو الاظهر ان في المسالة قولين اصحهما ان لها حق الفسخ
وبه قال مالك واحمد رضي الله عنهما و ٢ وبه قال ابو حنيفة رضي الله عنه انه لا فسخ لها الطريق ٢
القطع بالاول المسالة ٢ المثبت لحق الفسخ الاعسار فان امتنع ... وجد ... ففيه وجهان لانها تتمكن
من تحصيلها بالسلطان فان كان له مال انفق السلطان منه ... موضع الخلاف ولذا قدرت
على من ماله ولو غاب وهو موسر غيبته ولا يوفيها ... في الوجهان الاظهر لا فسخ ولو لم يعلم ان الغايب
موسر او معسر فكذا ايضا فيه وجهان والاظهر الفسخ وهو اختيار القاضي الطبري وذكر الروياني المصلحة الفتوى
به ولو كان الرجل حاضرا وماله غايب فان كان على دون مسافة القصر فلا خيار لها ويومر
بتعجيل الاحضار وان كان على مسافة القصر فلها الخيار ولو كان له دين موجل فلها الخيار

عجبت من معجب بصورته وكان بالامس نطفة مذره

وفي غد بعد حسن صورته يصير في اللحد جيفة قذره

وهو على تيهه ونخوته ما بين ثوبيه يحمل العذره